بوبي ساندز

@ketab_n
Follow Me
10.5.2016

كتابات من السِّجن

تقديم: جيري آدمز

ترجمة: محمد الحموي

طوى
للثقافة والنشر والإعلام

بوبي ساندز

كِتاباتٌ مِنَ السِجْن

تقديم: جيري آدمز

ترجمة: محمد الحموي

للثقافة والنشر والإعلام

Twitter: @ketab_n

بوبي ساندز: كِتاباتٌ مِنَ السِجْن

Twitter: @ketab_n

Book: Ketabat Men Alsejen

الكتاب: كِتاباتٌ مِنَ السِجْن

تأليف: بوبي ساندز

Bobby Sands

First Edition: 2016

الطبعة الأولى ٢٠١٦

All rights reserved

حقوق الطبع محفوظة ©

للثقافة والنشر والإعلام

طوى للثقافة والنشر والإعلام - لندن

TUWA MEDIA & PUBLISHING LIMITED

19 TANFIELD AVENUE, LONDON, NW2, UNITED KINGDOM

Tel: 009662108111 - 00966505481425

Email: Tuwa.pub@gmail.com

All rights reserved. Except for brief quotations in a review, this book or any part thereof, maynot bc reproduced, stored in or introduced into a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher.

Twitter: @ketab_n

جيري آدامز

كانَ عمرُ بوبي ساندز سبع وعشرون عاماً وكان قد مضى على إضرابه عن الطعام ست وستون يوماً عندما رحل عن الدنيا في H-Block «العنبر هتش» في سجن لونغ كِش (سجن تابع لسلاح الجو الملكي البريطاني ـ م) في الخامس من مايو/ أيّار لعام ١٩٨١. كان متطوع الآي آر آي (الجيش الجمهوري الايرلندي ـ م) اليافع، والذي أمضى تقريباً السنوات التسع الأخيرة من حياته القصيرة خلف القضبان، مشهوراً على مستوى العالم عند مماته، وكان قد تم انتخابه قبل ذلك بشهر واحدٍ فقط كعضو في البرلمان البريطاني بعدَ أن قاومَ كافة أصناف الضغوط، السياسية منها والأخلاقية، لثنيه عن إضرابه، الذي كان الهدف منه دحض محاولات الحكومة البريطانية لتجريم الصراع في سبيل الحرية وذلك من خلال تجريم السجناء الايرلنديين السياسيين.

بالإضافة إلى كل تناقضات البريطانيين الواضحة جداً، التاريخية والسياسية، في سعيهم لتطبيق منهج التجريم ذاك، فقد كان أمامهم مشكلة أخرى مُلحّة: كان مئات السجناء مُحتَجَزين في لونغ كش تحت وضع سياسي أو ضمن تصنيف خاص. قامت بريطانيا بالإعلان عن هذا التصنيف في يونيو/ حزيران ١٩٧٢ عقب إضراب ناجح عن الطعام قام به السجناء الجمهوريون في سجن بلفاست. لكن الآن، وكجزءٍ من استراتيجيتها المضحكة الجديدة، تتعامل حكومة لندن مع هذه الحالة

Twitter: @ketab_n

الشاذة عبر تفعيل تشريع قانوني يصنّف كل السجناء الموقوفين والصادرة بحقهم أحكام قبل الأول من مارس/آذار ١٩٧٦ يصنفهم كمجرمين، لكنهم كانوا سجناء سياسيين قبل منتصف تلك الليلة!

قابلتُ بوبي لأول مرة في زنزانات لونغ كش حيث كان قد تم احتجازنا معاً ضمن فئة خاصة كسجناء سياسيين. من زنزانتنا، الزنزانة رقم ١١، كان بمقدورنا رؤية موقع البناء حيث كان يتم إنشاء العنبر «هتش» ليستقبل السجناء الذين يُحَاكَمون حسب تشريع لندن التجريمي الجديد.

في تلك الأيام كان بوبي يافعاً متوسط البنية وله عُرْفُ فرسٍ من الشعر الطويل وشخصية مفعمة بالحياة، كان يمكنك لمس ذلك سواء خلال مباراة كرة قدم، أو في خضمٍّ جدل سياسي أو درس تعلم العزف على الغيتار. كان قارئاً نهِماً وقد كتب عدة توزيعات موسيقية وأغانٍ ليعزفها على غيتاره.

لكن مَنْ كان بوبي ساندز حقيقةً؟ كان فتى ايرلنديا عادياً عاشَ وماتَ في ظروف استثنائية في الجزء المحتل من إيرلندا. وَقَفَ خلال حياته القصيرة في وجه الظروف المجحفة بشجاعةٍ وإنكار ذات بطوليين نادرين حقاً.

ولِدَ عام ١٩٥٤ في «راثكول» وهي منطقة في شمال بلفاست كانت تقطنها غالبية عظمى من الموالين. كان لديه اهتماماً منقطع النظير بالتاريخ الايرلندي وعندما انطَلَقتْ حركة الحقوق المدنية إلى الشوارع عام ١٩٦٨ ما كان من تصرف الـ آر يو سي (مختصر يشير إلى الشرطة في إيرلندا الشمالية بين عامي ١٩٢٢ ـ ٢٠٠١م) الهمجي على ذلك الاحتجاج السلمي إلا أن أثار ردة فعل وطنية في قلوب جُلّ الشباب الكاثوليكي.

Twitter: @ketab_n

غادرَ بوبي المدرسة في يونيو/حزيران ١٩٦٩ وعَمِل كصانع هياكل سيارات متدرِّب لثلاث سنوات بعد ذلك. لم يُعْرف عنه أنه عبَّرَ عن أي آراء طائفية قطّ. بل على العكس، فقد اعتاد أن يشارك في مسابقات الجري في نادٍ بروتستانتي مشهور هو نادي «ويلوفيلد تيمبرانس هاريرز» (أُسِّسَ عام ١٨٩٨ في شرق بلفاست ـ م). لكن بوبي الذي تعرض لاستفزازات متكررة دفعه وعائلته عام ١٩٧٢ إلى النزوح تحت ضغط التهديدات والهجمات.

انتقلتْ عائلة ساندز إلى «توينبروك» وهي عبارة عن مجمَّع سكني حكومي في الجزء الوطني (يقصد المعارض ـ م) غربي بلفاست. كان بوبي البالغ من العمر ١٨ ربيعاً الابن الأكبر في العائلة المؤلفة من أربعة أطفال: مارسيلا، برناديت وجون.

انضم بوبي إلى صفوف الجيش الايرلندي الجمهوري في أواخر شبابه، وفي عام ١٩٧٣ في عمر ١٨ تم توقيفه والحكم عليه بالحبس لخمس سنوات بتهمة حمل السلاح. تعرفتُ إليه في هذه الفترة. كانوا قد ألقوا القبض عليّ عندما حاولت الفرار من معسكر الموت في لونغ كش، وقد تمَّ تجريمي ومحاكمتي. تشاركنا الزنزانة رقم ١١ مع عدد كبير من السجناء الآخرين الذين سيلعب بعضهم، فيما بعد، دوراً مفصلياً في نزاع العنبر «هتش» من أمثال: برندن هيوز، برندن (بيك) ماكفارلن، لاري مارلي و بات بيغ ماكغيون.

في إبريل/نيسان ١٩٧٦ أطلقوا سراح بوبي من الزنزانة رقم ١١ وسرعان ما التحق بالحركة النضالية. بالإضافة إلى نشاطه في الـ آي آر أي، فقد عمل متطوعاً في حيه السكني في «توينبروك». ساهم بتأسيس جمعية سكنية ونادٍ لليافعين. تزوج وكان لديه طفل يبلغ ثلاثة أعوام واسمه جيرارد.

Twitter: @ketab_n

لكن، وبعد ستة أشهر من إطلاق سراحه، تم إلقاء القبض عليه إثرَ حادثة إلقاء قنبلة على مستودع للأثاث. وقع تبادل لإطلاق النار بين الـ آر آي أي و الشرطة وأصيبَ اثنان من رفاق بوبي. عثروا على مسدس واحد فقط في السيارة التي كانت تقل بوبي ورفاقه وتم تجريم أربعة بتهمة حمل السلاح. اقتادوا بوبي إلى سجن كاسرلي حيث تم استجوابه لسبعة أيام. رفض أن يتكلم إلى محققي الفرع الخاص، كما ورفض أن يعترف بشرعية المحكمة عندما نطقوا الحكم. أحد الذين تم إيقافهم معه كان جوي ماكدونل، الذي حلَّ محل بوبي في إضرابه عن الطعام بعد موته وهو نفسه مات بعد واحد وستين يوماً، وكان ذلك في الثامن من يوليو/ تموز ١٩٨١.

حُكِم على بوبي بأربعة عشر عاماً من السجن في سبتمبر/ أيلول ١٩٧٧. هذه المرة، وإمعاناً من بريطانيا في محاولة تصوير النضال الجمهوري الايرلندي المسلح على أنه مؤامرة إجرامية، تم نزع الصفة الخاصة أو الوضع السياسي عن بوبي وتم سجنه «كسجين عادي» في العنبر «هتش» في سجن لونغ كش.

حاولتْ الحكومة البريطانية لأكثر من عام إرغام السجناء السياسيين في العنبر «هتش» وفي سجن «آراماه» على الخنوع للإجراءات القائمة، وعلى ارتداء لباس السجن الموحد الخاص بالمجرمين والقيام بأعمال إجبارية مهينة وغالباً مُذلة داخل السجن.

السجناء الجمهوريون الايرلنديون، الذين تم توقيفهم بأحكام خاصة، والذين تم استجوابهم في مراكز استجواب خاصة وحُكِمَ عليهم في محاكم خاصة خالية من لجان التحليف، رفضوا أن يتم تجريمهم، رفضوا أن يرتدوا لباس السجن الموحد أو أن يقوموا بأي من أعمال السجن.

Twitter: @ketab_n

من أجل بعض الدفء قاموا بلف بطانيات حول أجسادهم ـ ومن هنا أتى احتجاج البطانيات.

لسنوات وسنوات تم زج السجناء في سجون انفرادية وتم تعريضهم للضرب، مع أنه في نهاية المطاف، بسبب الازدحام وكثرة الأعداد، قد أتيح للكثيرين أن يشاركوا سجناء احتجاج البطانيات زنزاناتهم. في سجن «آرامـاه» قاومت النساء الجمهوريات أيضاً برنامج التجريم وهن أيضاً جرت محاكمتهن على أيدي القائمين على السجن.

في مارس/ آذار عام ١٩٧٨ في محاولة أخرى لكسر إرادتهم، قامت سلطات السجن بحرمان سجناء العنبر «هتش» من دخول المراحيض والحمامات وأَجبرتْ السُّلطات السجناء على العيش في ظروف قذرة. من هنا جاء احتجاج لا للاغتسال/ لا لتنظيف المراحيض والذي استمر حتى مارس/ آذار ١٩٨١.

بعيد وصوله إلى العنبر «هتش» بقليل، تم انتخاب بوبي ساندز أمين سر سجناء احتجاج البطانيات. قامتْ بياناته بتسجيل كل التطورات في العنبر: نشأة احتجاج البطانيات، نشأة احتجاج لا للاغتسال. تعرض السجناء للضرب، نوبات الحراسة في السجن وتفتيش المؤخرات باستخدام المرايا، والأهم أنها سجلت الإصرار الذي رافق كل ذلك والتماسك الذي تحلى به المحتجون، والذين رغم العنف ودعاية الحكومة البريطانية الكاذبة، مضوا في أطول احتجاج على الإطلاق قام به سجناء ايرلنديون جمهوريون.

لقد سبق للبريطانيين أن استخدموا سياسة مهاجمة وقهر نضال عِبر مهاجمة السجناء وذلك بحق أجيال ماضية من السجناء الجمهوريين ـ كما فعلوا ذات الشيء بحق الفنيين في السجون البريطانية (الفينيان

Twitter: @ketab_n

حركة استقلالية ايرلندية نشأت في أواسط القرن الثامن عشر وقامت على نظريتين اثنتين وهما أولاً حق إيرلندا الطبيعي بالاستقلال عن بريطانيا وثانياً التأكيد عن انتزاع هذا الحق عبر النضال المسلح. سميت بهذا الاسم تيمناً بأحد ملوك إيرلندا الأسطوريين، فانيوس، الذي عرف عنه نزوعه نحو الاستقلال ـ م) وكذلك بحق متطوعي الـ آي آر أي بعد ثورة ١٩١٦. (بالطبع فإن بريطانيا كانت أول من أخترع معسكرات التعذيب في جنوب أفريقيا، وقد حاولت أيضاً تجريم الحركات الوطنية في مستعمراتها التي لا تهدأ.)

لدرء مخاطر التجريم لجأ متطوعو الـ آي آر أي إلى الإضراب عن الطعام، وأشهرها كان حالة تيرانس ماكسويني عضو مجلس الشعب، حاكِم مقاطعة كورك، والذي توفي في اليوم الخامس والسبعين من إضرابه عن الطعام في سجن بركستن في عام ١٩٢٠. (ألهمَ إضراب ماكسويني المهاتما غاندي بشكل مباشر).

في عام ١٩٨٠، رغم جهود حملة تضامنية واسعة وبعد سنوات من الاحتجاجات في السجن، أمعنتْ بريطانيا في استراتيجيتها التجريمية. في خريف ذلك العام بدأ العديد من سجناء العنبر «هتش» والعديد من سجينات «آراماه» بالإضراب عن الطعام، وقد استمر الإضراب ٥٣ يوماً وانتهى دون ضحايا عندما وعدتْ الحكومة البريطانية بإدخال نظام سجن أكثر ليبرالية. بوبي الذي لم يكن مشاركاً في ذلك الإضراب، حلَّ محل برندن هيوز كعميد للسجناء.

كان لفشل الحكومة البريطانية في الوفاء بوعدها لتحقيق الاتفاقية الآنفة الذكر الدور الكبير في دفع بوبي ورفاقه للإعلان عن إضراب طعام ثان. قادَ بوبي الإضراب في مارس/آذار ١٩٨١، قبل اسبوعين من بدء فرانسيس هيوز إضرابه عن الطعام، آملاً أن تضحيته بحياته والعواقب

Twitter: @ketab_n

السياسية التي قد تتبع ذلك من شأنها، ربما، أن تجبر الحكومة البريطانية على إبرام اتفاقية ما، قبل أن يموت عدد أكثر من رفاقه.

بعد فترة وجيزة من إضرابه عن الطعام، توفي بسكتيةٍ قلبيةٍ عضو مجلس الشعب المستقل عن منطقة فيرمانا وجنوب تايرون فرانك ماغواير والذي كان أحد الابطال المدافعين عن قضية السجناء. في الانتخابات الفرعية التي تلت ذلك ترشح بوبي بصفة «سجين سياسي» وتم انتخابه كعضو مجلس شعب عن منطقة فيرمانا/ جنوب تايرون وسْطَ شهرةٍ عالمية مدويّة.

أظهرتْ نتيجة هذا العمل البطولي مدى التعاضد مع السجناء في صفوف الناس الوطنيين ـ وصفت ماكينة الدعاية البريطانية السجناء بأن ليس لهم أي دعم شعبي ـ وتم الاعتقاد بأن هذا الوضع الجديد سيفرض على رئيسة الحكومة البريطانية مارغريت ثاتشر تسوية تنهي أزمة السجناء. إلا أنه بدلاً من ذلك، رفضتْ الحكومة البريطانية التفاوض وقامت بتفعيل تشريع يجيز تغيير قانون الانتخابات لمنع ترشيح سجين جمهوري آخر. هذا غيضٌ من فيض الديمقراطية البريطانية! الانتخابات التي تمت على خلفية من المضايقات والاستفزازات ضد ترشحه على يد قوات التاج البريطانية، كانت فريدة النوع، هذا طبعاً إذا استثنينا الضغوط التي مارستها قيادة الحزب الاشتراكي العمالي على لجنة الإنتخابات الوطنية، وضغوط السلطة الكاثوليكية والسياسيين البريطانيين. بالرغم من كل هذه الضغوط، حصدَ بوبي ساندز ٣٠,٤٩٢ صوتاً في إشارة جليَّةٍ لكل من شكك بالأمر أن الوطنين ينظرون إلى السجناء الجمهورين على أنهم سجناء سياسيين وأنهم يدعمون نضالهم. لكن، ورغم نتيجة الانتخابات، فقد مضت بريطانيا في تعنتها.

في الخامس من مايو/ أيار، رحل عن الدنيا متطوع الـ آي آر أي

Twitter: @ketab_n

عضو مجلس الشعب بوبي ساندز في اليوم السادس والستين من إضرابه عن الطعام. دخل اسمه قاموس الأبطال المحليين في إيرلندا وهَزَمتْ تضحيته الكبرى هذه، بالإضافة إلى تضحيات رفاقه الذين تبعوه، أقولُ هزمت ماكينة الدعاية البريطانية في إيرلندا وكان لها أثراً حقيقياً في تسريع عجلة الحرية الايرلندية.

بحلول أغسطس/آب عام ١٩٨١، تسعة سجناء من احتجاج البطانيات، وهم فرانسيس هيوز، ريموند ماكريش، باتسي أوهارا، جوي ماكدونل، مارتن هيرسن، كيفن لينش، كيران دوهورتي، توماس ماكإيلوي وميكي ديفاين ـ ماتوا أيضاً خلال الإضراب عن الطعام.

يوم السبت الموافق الثالث من أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٨١، تراجع السجناء، ولو بترددٍ، عن الإضراب عن الطعام بعد سلسلة من الأحداث قامت خلالها عائلاتهم بالسماح بالتدخل الطبّي تحت ضغط حملة قادتها الكنيسة الكاثوليكية وذلك بعد أن دخل أبنائهم أو أزواجهم في غيبوبة. لقد جردوا بهذا التصرف السجناءَ من سلاحهم الماضي مما أدى إلى إنهاء إضرابهم التاريخي الذي استمرَّ على مدى ٢١٧ يوماً ماراثونياً بكل ما للكلمة من معنى.

بالإضافة إلى قيادته احتجاج البطانيات والإضراب الثاني عن الطعام، كان بوبي ساندز الكاتب الأكثر غزارة بين سجناء العنبر «هتش». لم يكتب بيانات صحفية فحسب، إنما كتب أيضاً قصصاً قصيرةً تحت اسم شقيقته المستعار «مارسيلا»، وقد نُشِرتْ كتاباته في صحيفة ريببليكان نيوز وثم في الصحيفة حديثة الولادة «آن فوبلاتش»/ ريببليكان نيوز بعد فبراير/شباط ١٩٧٩. كتابات بوبي تغطي أربع سنوات من حياته أمضاها في زنزانات العنبر هتش ٣،٤،٥ و ٦. كتب بوبي كل شيء على

Twitter: @ketab_n

قصاصات من محارم تواليت أو على لفافات ورق سجائر بحبر قلم بايرو كان يحتفظ به داخل جسده. كتب أيضاً تحت اسم «شاب جمهوري من غرب بلفاست» و كأمين سر سجناء احتجاج البطانيات في الزنزانات ٣، ٤ و ٦ في العنبر «هتش».

بين ضفتي هذه المجموعة ـ كتابات من طراز أدبي رفيع ـ وصف فيها بوبي حياة الأشغال الشاقة بأسلوب تصويري آسر. عندما يتذكر المرء أن كل كتاباته قد حدثت في ظروف شبه مستحيلة، لا يستطيع إلا أن يُعْجَبَ بإنجازه هذا، الذي يمثّل عبقرية وإرادة السجناء الجمهوريين الذي كتب عنهم.

ثمة هاجساً بالفاجعة الشخصية ينساب في عروق كتاباته: الهاجس هو أن زنزانته في العنبر «هتش» ستتحول، حرفياً، لتصير قبره. إعجابه برفاقه ومشاعره نحو مؤيديه وللناس المضطَهَدين خارج السجن تَظْهَرُ من خلال كلماتٍ يتقن استخدامها كسلاحٍ في وجه نظام يحاول عبثاً أن يكسر إرادته وأن يذله. مذكرات بوبي هيَ واحدة من أمهّات الأدب، إنها كلماته المكتوبة الأخيرة.

خلال سنين تشكل وعيه، كان بوبي، كما يقول هو نفسه، «عالِم طيور ناشيء». تقول إحدى المقاطع في «ثلاثية» العنبر هتش الشهيرة، «سعيداً ركضتُ عبر حقولِ خضراء اللون، في قلبي حملتُ شرائع الله والبشر». كان بوبي قارئاً أيضاً وقد تأثر بالشاعرة الوطنية «إثنا كاربيري» (اسمها الأصلي آنا ماكمانوس)، وهي أيضاً، بمحض الصدفة، ترعرعت في بلفاست.

لقد وضع بوبي الكثير من أفكاره في الشِعر. القصيدة الأقرب إلى قلبي هي «موسيقى الزمن»، لكن ثلاثية العنبر «هتش» تقع بكل تأكيد في

Twitter: @ketab_n

مصاف قصيدة أوسكار وايلد «أغنية سجن ريدنغ» وقد تم مؤخراً تحويل قصيدة ساندز إلى مسرحية قام بأداء أدوارها سجناء العنبر «هتش» أنفسهم. المطربة كريستس مور قامت أيضاً بتسجيل أغنيتين لبوبي هما «الرحلة» «ماكلهاتن».

يؤكد بوبي في أشعاره على أن روح الحرية والظلم إنما راسخة في نفوس البشر منذ أول الخليقة. في اقتفائه المحموم لأثر هذه الروح ينكشف للقارئ تمكن بوبي المميّز من التاريخ وقدرته الفريدة على التذكر. (لقد منعوا عنه الكتب، الجرائد، الراديو أو التلفاز، وأي محفز عقلي آخر خلال السنوات الأربع الأخيرة من حياته). «ضارب الرمح واط» مثلاً، كان فلاحاً إنكليزياً قاد في عام ١٣٨١ ثورة ضد الملكية الإنكليزية. المسيحيون الأوائل الذين تمت محاكمتهم، العبيد، الفلاحون، الهنود الأصليون ومقاتلوا الحرية الايرلنديون يتبادلون جميعهم الأدوار فوق خشبة مسرح التاريخ ضد الدكتاتورية. والقوة الدافعة ضد الاضطهاد، يختتم بوبي، هي التفوق الأخلاقي للمضطَهَدين.

كما كتب داني موريسون ذات مرة في مقدمةٍ عن مجموعة شعرية سابقة لبوبي:

قيل إنه لو كان بوبي حياً ليرى قصائده اليوم لأعادَ أو غير بعض أبسط التفعيلات الشعرية. لكن لا قيمة لهذا. فقد كُتِبتْ هذه القصائد على يدِ شابٍ في أكثر الظروف إحباطاً. والأهم من هذا هو أن شعره هو أدب خام عن احتجاج سجناء العنبر «هتش» حيث وقف مئات السجناء عراةً مقابل أبواب زنزاناتهم (في الهزيع الأخير من الليل عندما غادر السجناء أجنحة السجن) ليصغوا إلى أشعاره وليصفقوا. كان ذلك

Twitter: @ketab_n

تسليتهم الوحيدة، كان ذلك تعبيراً خلاّباً عن محنتهم. من صميم الوحشية واللوعة امتشق بوبي سيف الشعر الحقيقي، الشعر الذي يجسد آلام الشعب المتطلع نحو الحرية....

لم يمكن بمقدوري إنصاف بوبي بكلمات أفضل من تلك. في ثنايا هذا الكتاب ينبض قلب بوبي ساندز.

جيري آدامز، بلفاست، أيرلندا، يناير/ كانون الثاني ١٩٩٧

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

يومٌ في حياتي

كانَ الوقتُ ليلاً والثلجُ يرتمي خفيفاً على العالمِ عندما استيقظتُ. لا أعتقدُ أني نمتُ لأكثرَ من ساعةٍ واحدةٍ خلالَ هذهِ الليلةِ المحمومةِ، المتوحشةِ. كانَ البردُ ثاقباً، يعضُّ جسدي العاري. للمرةِ الألفِ على الأقلِ تقلَّبتُ على جانبيّ، حاضناً البطانيات. النومُ الذي حرمني منه البردُ القارسُ بقي يحومُ فوقَ رأسي، تاركاً إيايَ متعَباً ونعساناً. كنتُ مرهقاً إلى حدٍ ما، وكل عظمةٍ من جسدي بدتْ كأنها تتظاهرُ ضدَّ محنة أن أمضي ليلةً أخرى على فِراشِ القطنِ المبلل على الأرضِ. لا نومَ يُذْكَر مرةً أخرى!. كنتُ مُخْبَطاً، غاضباً ومتقوقعاً على نفسي على هيئةِ كرةٍ صغيرةٍ بحثاً عن الدفء. لو كان لديَّ ما أركلهُ، لركلتهُ، هذا كل ما شعرتُ بهِ. كنتُ قدْ حاولتُ أنْ اضطجعَ في كل الوضعياتِ لأحصلَ على الدفء، لكن البردَ تابعَ سريانهُ في جسدي. بطانياتي الثلاث المهترئةِ لم تنفع قطُّ في وجهِ البردِ اللئيمِ، القارسِ الذي زحفَ عِبْرَ قضبانِ نافذتي، الموجودةِ فوقَ رأسي.

يا إلهي، يومٌ آخرٌ، خطرَ في بالي، ولم تكن قطُّ خاطرةً سعيدةً. عارياً، نهضتُ ومشيتُ فوقَ أرضيةَ الزنزانةِ عِبْرَ الظلالِ إلى الزاويةِ كي أتبوَّلَ. البردُ لا يُحْتَمَلُ. فاحتْ الرائحةُ الكريهةُ لتذكرني بحالي وكانتْ الأرضيةُ رطبةً ولزجةً في أكثرِ من بقعةٍ. أكوامٌ من القمامةِ تبعثرتْ في الزنزانةِ وفي العتمةِ البهيمةِ، أشكالٌ مخيفةٌ صرختْ بي من الجدرانِ

Twitter: @ketab_n

القذرةِ، المشوَّهةِ المحيطةِ بي. كانتْ رائحةُ البرازِ والبولِ الكريهةِ ثقيلةً وتملأُ المكانَ. سحبتُ علبةَ الماءِ الصغيرةِ من بينِ أكوامِ القمامةِ وتجرأتُ على شُربةِ ماءٍ في هذا الصباحِ الباكرِ في محاولةٍ يائسةٍ لغسلِ الطعمِ الكريهِ في حنجرتي. يا إلهي، كانَ الطقسُ بارداً.

كانتْ الدنيا قد أخذتْ بالإصطباغِ باللونِ الرمادي في الخارجِ بينما أخذَ الفجرُ بالدنو، وبدأتْ الغربانُ بالإصطفافِ في خطوطٍ طويلةٍ سوداءَ اللونِ فوقَ سورِ السياجِ الشائكِ المغطى بالثلجِ. يوما ما سأصحو من هذا الكابوسِ، فكرتُ، بينما تدثرتُ تحتَ البطانياتِ مجدداً. باستثناءِ نعيقِ الغربانِ كانَ الصمتُ خبيثاً. كنتُ على يقينٍ أن عدداً من الشبابِ يستلقون مستيقظين، على الأرجحِ متكورين على أنفسهم ليحصلوا على الدف فحسب. احتمال حصولي على عصيدةٍ باردةٍ، لاطعمَ لها مع كِسْرتي خبزٍ ونصفِ كوبٍ من الشاي الفاترِ كوجبةِ إفطارٍ كانت بحدِّ ذاتها فكرةً تدفعُ على الإحباطِ. مجردُ التفكيرِ بها كان ببساطةٍ أمراً مدمراً للمعنويات.

بزغَ الفجرُ ومن ظلالِ الليلِ الميتِ بدأ الكابوسُ يأخذُ بالتشكّلِ. الوسخُ والقذارةُ، الجدرانُ المشوَّهةُ ـ التخومُ الداخليةُ لقبري هذا الذي تفوحُ منهُ الروائحُ الكريهةُ، العفنةِ قابلتني بالتحيةِ مرةً أخرى. أستلقي مستمعاً إلى صوتِ تنفسي الناعم وإلى نعيقِ الغربانِ. الثلجُ يستلقي ثخيناً فوقَ أرضِ الباحةِ الخارجيةِ. ألَمْ أعرف هذا جيداً من قبل، بما أني قد أمضيتُ نصفَ الليلِ حاضناً بطانياتي في الزاويةِ بينما تسرَّبتْ عبر قضبانِ نافذتي إلى ملاذها الأرضي فوقَ سريري؟ مع أول خيوطِ الصباحِ بدأ المللُ بالهبوطِ. سيبدو هذا اليوم أزلياً وسيكونُ الإحباطُ رفيقيَ مرة أخرى. أستلقي هناكَ، شاعراً بالبردِ القارسِ وبعدمِ الإرتياحِ، شاعراً بشيءٍ من الأسفِ على نفسي مفكراً بيومٍ آخرِ يطحنُ ويطحنُ في رأسي.

طَقْطَقَ مفتاحٌ في الفولاذِ. دنتْ خطواتٌ تشحنُ الجوَّ على طولِ

Twitter: @ketab_n

الممرِ وتكسر الصمت. هربتْ الغربانُ في ما يشبه انفجارَ جلبةٍ من النعيقِ؛ تعبتُ ذهنياً لإستيعاب هذا الضجيج المزع.. كبَّلني الذعرُ عندما انفتحَ بابُ الفولاذِ الثقيلِ على مصراعيهِ. موجةٌ من اللباسِ الأسودِ الموحَّدِ انداحتْ في السجنِ، ملطِّخةً الأرضيةَ أمامَ البابِ. صوتٌ أجشٌّ، مثيرٌ للغضبِ صاحَ قائلاً، «أنتَ، قُمْ انهض!».

كنتُ للتو في وضعيةِ نصفِ نهوضٍ عندما خرجَ المقطعُ الصوتي الأخيرُ من فمهِ الصاخبِ، لافّاً بطانيتي الزرقاءَ القديمة الرثَّةَ حول خصري المرتعشِ.

«دِبَبةٌ في أرجاءِ السجنِ» ترددَ صدى هذه العبارةُ في الجناحِ لأن من كانَ صاحياً من المساجينِ وقلقاً بسببِ هذا الغزوِ نبَّهَ باقي الشبابِ أنه كان ثمة سجانين في الأجواءِ.

«نوبةُ تبديلِ الجناحِ»، صاحَ أحدهم، تاركاً أيايَ متيقناً مما سيحدثُ.

«أنتَ هناكَ، اخرجْ واذهبْ إلى نهايةِ الجناحِ واسرعْ»، صرخَ الفمُ الصاخبُ. خرجتُ من الزنزانةِ، كانَ الممر معتماً لكثرةِ اللباسِ الموحَّدِ، هراواتٌ تتدلى على جوانبهم.

«سرعتكَ غيرُ كافيةٍ»، صرخَ الفمُ الصاخبُ مرةً أخرى.

زوجانَ من الأيادي القويةِ أطبقا عليَّ من الخلفِ. التوتْ يدايَ خلفَ ظهري وغادرتْ رجليَّ الأرضَ. كتلةٌ من السوادِ احتشدتْ حولي جرّتني إلى الداخلِ بسرعةٍ مفاجئةٍ. عدتُ إلى الأرضِ وزوجٌ من الأبواطِ الجلديةِ الرسميةِ الملمعةِ جيداً وضعَ أمامَ قدميَّ. سجّانٌ على تخوم العصابةِ المتحمسةِ للتو ضربني بركبتهِ على فخذي. شعرتُ برغبةٍ في التقيؤ وأن أصرخَ مستسلماً لكنني بقيتُ صامتاً. تمايلتْ طاولةٌ أمامي حيثُ تحلّقتْ نصفُ دزينةٍ من السجانينَ تقريباً، محدقةً بي ومفتشةً ـ كنتُ فريستهم

Twitter: @ketab_n

الأولى المقصودةِ - تركوني أقفُ في منتصفِ القطيعِ الأسودِ الذي انتظرَ إشارتهُ من المتحدثِ باسمهم.

«حسناً»، صرخَ الدكتاتورِ الذي نصَّبَ نفسهُ بنفسهِ. «ارمِ تلكَ البطانية أرضاً، استدرْ. انحني والمس اصبعي قدميكَ الكبيرين».

ألقيتُ بطانيتي، استدرتُ بقطرِ دائرةٍ كاملٍ ووقفتُ هناكَ مُخرَجاً وعارياً، كل العيونِ تتفحَّصُ جسدي.

«نسيتَ شيئاً»، أرعدَ المتحدثُ.

«لا لم أنس» تمتمتُ في نوبةِ تظاهرٍ بالجرأةِ.

«انحنِ أيها الحثالة»، فَحَّ في منتصفِ وجهي في صوتٍ ينذرُ بنفاذِ صبرٍ. ها قد حانتْ اللحظةُ، فكرتُ.

«لن أنحني»، قلتُ.

صيحاتٌ من ضحكاتٍ محبوسةٍ مدعومةٍ بوابلٍ من السخريةِ والشتائمِ انهالَ عليَّ. «لن تنحني!» صرخَ مستهزءاً ابنُ الحرامِ الواثقِ من نفسه.

«لن تنحني! ها! ها! لن ينحني، ياشباب»، قالَ للجمهورِ نافذِ الصبرِ.

يا يسوع، هاقد حانتْ ساعتي. وقفَ قربي، ما زالَ يضحكُ، وضربني. في ثوانٍ قليلةٍ، في خضمِّ الومضاتِ البيضاءِ اللونِ، وقعتُ على الأرضِ بينما انهالتْ عليَّ اللكماتُ من كلِّ الجهاتِ الممكنِ تخيلها. جرُّوني إلى الخلفِ مرةً أخرى إلى قدميَّ ورموني كما ترمى شريحةُ لحمِ الخنزيرِ على جنبٍ واحدٍ، وجهي نحوَ الأسفلِ على الطاولةِ. أخَذَتْ أيادٍ بتفتيشِ ذراعيَّ وساقيَّ، فاسخةً إيايَ كما يُفسَخُ جلدُ الحيوانِ. شدَّ أحدهم رأسي من شعري بينما أخذ أحدُ الشاذينَ جنسياً بجسِّ ودفعِ فتحتي الشرجيةِ.

Twitter: @ketab_n

كانَ ما حدثَ تسليةً رائعةً؛ الكل على وشكِ أن يقتلوا أنفسهم من الضحكِ، باستثنائي، بينما خلال كل هذا سيلٌ جارفٌ من اللكماتِ انهالَ فوقَ جسدي العاري. كنتُ ارتعدُ ألماً. أمسكوني بقوةٍ أكثر هذه المرةِ في حين لاقت كل لكمةٍ مستقرها. كان وجهي محطماً فوقَ الطاولةِ وقد شوّهَها الدمُ تحتَ وجهي. كنتُ دائخاً ومتألماً. ثم سحبوني من على الطاولةِ وتركوني أقعُ على الأرضِ. كانت ردةُ فعلي الأولى هي أن ألفَّ البطانية التي كانت قربي حول خصري المضرَّجِ بالدم. مرة أخرى شدوني من ذراعيَّ من الخلفِ وسحلوني إلى الجناحِ الآخر. لمحتُ أحدَ رفاقيَ يُضْرَبُ ويُسْحَبُ إلى الطاولةِ، بينما في الخلفيةِ كانوا يركلونَ شخصاً أخرا ليخرجوهُ من زنزانتهِ. فُتِحَ بابُ زنزانةٍ ورُمَيْتُ إلى الداخلِ. صَفَقَ البابُ واستلقيتُ على الأرضيةِ الإسمنتيةِ، صدري يتنهَّدُ و كانَ كل عصبٍ في جسدي مشدوداً. كان يمكن أن تكونَ الأمورُ أسوأ من هذا، حاولتُ أن أقولَ لنفسي من قبيل المواساةِ. لكن هذا لم يقنعي ولم يقنع جسدي المتألم حتى ولو قليلاً لأستريح.

أجبرني البردُ على القيامِ. كل جزءٍ من جسدي تظاهرَ ضدي عندما قمتُ بصعودي البطيء على قدميَّ. ركضَ خيطٌ من الدمِ من فمي إلى لحيتي الشعثاء وبدأ ينهمر قطراتٍ على الأرضِ. كان جلدي ملفوحاً بشكلٍ جيدٍ برزمةٍ من الكدماتِ والعلاماتِ. كنتُ أرتجفُ. لم يكن لدي في الواقعِ الكثيرُ من الوقتِ لأشعرَ بالخوفِ؛ حدثَ كل شيءٍ بسرعةٍ رهيبةٍ. الحمدُ لله أني لم أكنْ نائماً عندما أتوا.

سننالُ من أولادِ الحرامِ هؤلاءِ يوماً ما، قلتُ لنفسي. سنرى وقتها كم سيكونونَ كباراً، فكرتُ، بينما بصقتُ دماً في الزاويةِ.

سنرى وقتها كم سيكونونَ عظماءَ.

Twitter: @ketab_n

بدأتُ بالمشي جيئاً وذهاباً. إنسلَّ البردُ عِبرَ النافذةِ المفتوحةِ وما أزالُ ملتفاً ببطانية واحدةٍ لا أكثر، شعرتُ بالبردِ حقاً. يا إلهي، كنتُ متورماً. سجناءُ آخرونَ تمَّ جرهم إلى الجناح.

كانَ أولادُ الحرامِ يصرخونَ ملىء رؤوسهم السادية، منتشين بالدم والألم، الذي كانَ كلَه لنا، بالطبعِ. الله وحدهُ يعلمُ كم سيطولُ الوقتُ بنا قبلَ أن يقرروا لفّنا ورمينا في بطانيةٍ. زنزانةٌ فارغةٌ باردةٌ كالصقيعِ، جسدٌ متجمدٌ أسودٌ وأزرقٌ يتألمُ، مجموعةٌ من المعقدين نفسياً يطحنونَ رجالاً خارجَ البابِ والوقتُ اللعينُ لم يصبح فجراً بعدُ!

يا يسوعُ المتألمُ، هل يمكن للأمورِ أن تصبحَ أكثرَ سوءاً؟ سألتُ نفسي، ثم أتاني الجوابُ، تعلمُ جيداً أن الأمورَ ستسوءُ. ذلكَ هو ما كانَ يقلقني. بغض النظرِ عن جسدي الذي يأنُّ من الألم، تابعتُ حثَّ الخطى في الزنزانةِ لأدخل بعضَ الدفء إلى جسدي. قدماي الآن زرقاوانِ من كثرةِ البردِ وخلتُ للحظةٍ أن كل جسدي كان على وشكِ أن يتداعى أمامَ البردِ. زالتْ الصدمةُ وبدأ الألمُ والبردُ بمهاجمتي دونَ هوادة. ها قد بدأَ الثلجُ بالتساقطِ مجدداً. لا وجودَ ولا حتى لغرابِ واحدٍ على السياجِ الشائكِ في الخارج.

بعضُ رفاقي شاركوا تجاربهم وجراحهم عبر نوافذِ بعضِ الزنزاناتِ من الجناحِ. سمعتُ جلبةَ العربةِ وعرفتُ أنه حانَ وقتُ الإفطارِ، لكن لا وجودَ لأيِ بطانيات أو فرشات حتى الآن. لا تنس أن تبحث، أي سجانٍ سيكونُ مناوباً في الجناحِ اليوم، ذكّرتُ نفسي، عندما يُفتَحُ البابُ. لا بأسَ ببعضِ السجانينَ الهادئينَ بعدَ حلقةِ هذا الصباحِ، فكرتُ، بينما فتحَ بابُ الزنزانةِ ودخلَ اثنانِ من عناصرِشرطةِ السجنِ بوجهين مكفهرين ومغسولين للتو ووضعا ما جادَ بهِ الصباحُ في يدي - كوبٌ من الشاي في

Twitter: @ketab_n

يدٍ وسلطانيةٌ من العصيدةِ مع كسرتين من الخبزِ فوقَها في يدي الأخرى. شخصٌ على هيئةِ فأرٍ صغيرٍ بقبعةٍ سوداءَ اللونِ أطلَّ برأسهِ حولَ البابِ الذي كان يستندُ إليهِ وعلى محياه ابتسامةٌ صفراء اللون قالَ، «صباح الخير! هل تتكرم بإرتداءِ لباس السجن الموحد والذهاب إلى العمل، بتنظيفِ زنزانتكَ، غسلِ نفسك أو تلميعِ بوطي؟»...

«لن تفعلَ!، حسناً، سنرى فيما بعد!» أوصِدَ البابُ.

«ابنُ حرام» قلتُ، متقهقراً إلى الزاويةِ لأتفحصَّ في الكارثةِ الثانيةِ لليوم - وجبةُ الإفطار. بجهدٍ أستطعتُ أن أحتفظَ بكسرةٍ جافةٍ من الخبزِ، وبما أني صدتُ بالصنارةِ قطعتين مبلولتين من العصيدةِ فقد رميتُ بالباقي، العصيدةُ وكل ماكان معها، في عرضِ الحائطِ البعيدِ. شاعراً بالقرفِ، قمتُ حرفياً بدفع لقمةِ الخبزِ الضئيلةِ ورشفةِ الشايِ الباردِ في داخلي. كانَ الطقسُ بارداً جداً.، بارد لدرجة أنه كان عليَّ أن أتابعَ المشي بين رشفةِ شايٍ وأخرى. فكرتُ بالسجانين الثلاثة الذين وقفوا خارجَ البابِ بينما استلمتُ إفطاري. السجانون آي -، بي - و سي. كان هذا كل ما احتجتهُ. ثلاثةُ معلمي تعذيب محترفين وسيكونون هنا كل اليومِ. (عظيم جداً!)، فكرتُ في قرارةِ نفسي.

السجان الذي تحدثَ إليَّ للتو كان آي - كانَ سجاناً دونَ قلبٍ، ماكرٌ وذكيٌّ عندما تعلَّقَ الأمرُ بتعذيبِ السجناءِ العراةِ. لم يكن مختصاً بالتعذيبِ الجسدي. لعبتهُ هجماتٌ سيكولوجية بحتة وأحابيل لعينة. كانَ من طرازِ «بيلسن» الفاخر، وكالغالبية العظمى من السجانين فقد كان ينتشي فرحاً بمهاجمةِ كرامةِ سجناءِ الحربِ. كانَ دائمَ الترحالِ في أناهِ، لكن ألم يكونوا كلهم هكذا عندما يرتدون بذاتهم سوداء اللون بأزرارها اللامعةِ، وعندما كانوا يستلمون هراواتهم ومسدساتهم؟

Twitter: @ketab_n

السجان الثاني الذي رأيتهُ كان بي ـ، طائفي متعصب. متوسط البنية، شعْرهُ أسودُ اللونِ، وسيمٌ وأمامهُ الحياة. كان أيضاً مدمناً على الكحولِ وبارعاً باستخدامِ هراوتهِ، خصوصاً على السجناء الشبانِ، كما كانت عادته.

السجان الباقي، أسوأهم على الأرجحِ، كان سي ـ. فقد كَرِهنا أكثر مما كَرِهنا السجان بي ـ، المتعصب، وقد واظب على القيام بكل جهدهِ ليثبت لنا ذلكَ. لم يبتسم قطُّ، لم يفتح فمه إلا ليقول شيئاً تحقيرياً أو ليزمجرِ بإساءة. كان يحملُ وساماً إضافياً على كتفهِ، وكانَ علينا أن ندفعَ نحنُ ثمن ذلك.

ثلاثةُ أولاد حرام أباً عن جد، فكرتُ، ولعنتُ البردَ، جسديَ المعتل وقرصاتَ الجوعِ التي لم تغادرني قط. تابعتُ رحلتي إلى اللامكان بينما درتُ فوقَ أرضيةِ السجنِ مثل فأرِ التجاربِ، متوقفاً هنا وهناكَ لدقيقةٍ أو دقيقتينِ لأتعرَّفَ على الأسماءِ المحفورةِ على البابِ والجدرانِ، تلكَ الشهاداتِ البسيطةِ والتذكير أن آخرينَ مروا من هنا وآخرينَ ما يزالون في حالتي. نوعٌ معيَّنٌ من الإعتزازِ بدا كأنهُ يربطُ نفسهُ بالأسماءِ المُخَرْبَشةِ للكُتَّابِ المعذَّبين. كان من حقهم أن يفتخروا، فكرتُ، بينما قمتُ لأقرأ العبارات والكلمات الغيليّة المبهمة، مبقياً عيني على ما يستجدُّ في الأجنحةِ الأخرى خلال دروس اللغة الغيلية.

«دروس لغة غيلية»، كررتُ قولي. بدا ذلكَ غريباً بعضَ الشيء. ثم بدا الأمرُ غريباً، خصوصاً أن ذلكَ كان يعني الوقوفَ في بابِ الزنزانةِ مستمعاً إلى زميلكَ، أستاذكَ، يرددان درسَ اليومِ بصوتٍ عالٍ من الزاويةِ الأخرى للجناحِ عندما يصادفُ ذلكَ ابتعادَ السّجانينَ لتناول الغداءِ أو العشاء.

Twitter: @ketab_n

تابعتُ السيرَ. أبى البردُ القارسُ أن يستسلمَ. سأكونُ في ورطةٍ إن لم أحصل قريباً على بطانيةٍ واحدةٍ أو بطانيتين. ولا حتى يمكنني أن أطالبَ بها. تعلمتُ ذلكَ منذ زمنٍ طويلٍ. أظهِر علامةَ ضعفٍ واحدةٍ وتكون قد حفرتَ قبركَ بيديكَ. بالإضافةِ إلى هذا، كان هناك ثلاثةٌ وأربعونَ من رفاقي في الجناحِ تماماً في نفسِ حالتي. لذلكَ انسَ التململَ وادخل بعضَ الدفءِ إلى جوفكَ، فكرتُ، موبخاً نفسي لأن أفكاري لعبت بالنارِ وأشفقتْ على نفسي ولأني فكرتُ مطولاً جداً وبغيرِ داعٍ بالأوقاتِ العصيبةِ القادمةِ. هذا ما يزيدُ الإحباطَ الذي هو أسوأ من البردِ والجسدِ المتألمِ معاً. تحوَّلتْ أفكاري إلى الأكل. يوم الجمعة، سمك على وجبةِ الغداءِ. بطاطا باردة وبازلاء قاسية. لكنه كان هناك دائماً ذلكَ الأملُ الغامضُ بأنه سيكون ممكناً تقديمُ ذلك الغداءِ ساخناً ومملحاً. لا أعرفُ لماذا، لأنَّ الغداءَ لم يُقدَّمَ لنا يوماً هكذا قطُّ. ربما كانَ ذلكَ مجردَ شيءٍ أتطلعُ إليهِ، كالربح في لعبةِ البليياردو أو في لعبةِ سحبِ البطاقاتِ الآيرلنديةِ. فرصي بالربحِ في البليياردو تبدو أوفرَ، اعترفتُ لنفسي: ألم يكن كل ما نفعله هو العيش من وجبة مقرفة بارة إلى أخرى، معللين أنفسنا بأملٍ كاذب، متشبثين بكل شائعة؟ Seal, Seal, Seal! الكلمة الإيرلندية التي تعني الأخبار أو الحكاية وهي كلمة لكثرة اهترائها صار حتى السجانون يستخدمونها.

«هل لديك أية أخبار؟»

«هل سمعت أية أخبار؟»

«الأخبار سيئة، أو الأخبار مقلقة أو رائعة».

•

كانَ هذا طبيعياً. كانَ عليكَ أن تأملَ بشيءٍ، أن تنتظرَ شيئاً، أن تفكر

Twitter: @ketab_n

بشيءٍ أو تتعلقَ بشيء. الطريقةُ التي كان بمقدور مجرد خبر جيد ضئيل أن يبثَّ فيها الحياةَ في الجناح كانت غير قابلةٍ للتصديق. مثلاً، بعد المسيرة التي امتدت من «كولآيلاند» إلى «دنغانون» عندما جلبَ لنا أحدُ الرفاقِ تقديراً لعددِ المشاركين بالمسيرةِ، بالإضافةِ إلى صورةٍ مهرَّبةٍ. أوشكتُ على البكاءِ وأنا متأكدٌ أن العديد من رفاقي قد فعلوا ذلكَ. لن أنسَ ذلكَ أبداً، جالساً في قلبِ كابوسٍ حي دونَ حتى مجرد وجهٍ لطيفٍ، وعندما أتى دوري لرؤيةِ الصورةِ نظرتُ إليها و شعرتُ بسعادةٍ لم أشعر بها من قبل في حياتي. حدقتُ وحدقتُ في الصورةِ، ولم أرغب بتركها قط. أليسوا أشخاصاً عظيمين، فكرتُ. شعرتُ بالفخرِ لأني أقاتلُ من أجلهم. أشعرُ بغصة في حلقي لمجردِ التفكيرِ بالأمرِ الآن. آه، يا إلهي، لو لم يكن الطقسُ بارداً ولم أكن أشعرُ بكل ذلكَ الألم لكنتُ غنيتُ أغنيةً صغيرةً أو إثنتين لتمضيةِ الوقتِ. لكنني لستُ بالمزاجِ ولا بالهيئةِ التي تسمحُ لي بذلكَ على الإطلاقِ.

لا أحدَ يتحدثُ عبرَ النوافذِ. الكل مشغولٌ بالمشي في الزنزانات ولعقِ الجراح.

«دبٌّ في الأرجاء»، صرخ أحدهم، محذراً من تواجد سجَّان في الجناح خارج الزنزانات. كانت تلك هي الصيحة التي استخدمناها عندما كان يسمع أحدنا صليلَ مفتاح، صريرَ حذاء أو شبحاً يعبرُ. كلنا تصرفنا بنفس الطريقة عندما تنبهنا لوجود سجان. انسللتُ قربَ البابِ ووضعتُ عيني عبر الشق الصغير في الإسمنتِ حيثُ يلتقي البابُ بالحائطِ. لاحظتُ ذلكَ الشق من قبل، وأملتُ، أنه سيمنحني زاوية رؤية محدودة إنما مرحَّب بها لبضع ياردات. من مساحةِ الممر الخارجي. لمحتُ طرفَ شبحٍ في البدايةِ، ثم لمحتُ الهيئةَ المألوفةَ للسجان آي ـ كانَ بحوزتهِ بضعةُ رسائلَ والقليلُ من علبِ المناديل.

Twitter: @ketab_n

«سجانٌ يوزعُ الرسائلَ» صحتُ باللغةِ الغيليةِ بأعلى صوتي لأريحَ الأعصابَ المتوترة، المشدودة. قفز السجان آي في مكانهِ قليلاً، وقد حيَّرهُ صوتي الذي كسرَ الصمتَ الخبيث. لكنهَ تابعَ ماكان يفعله. كانَ طبيعياً أن نصرخَ عندما علمنا بما كان يحدثُ. بهذهِ الطريقةِ عرفَ الكل ما كان يجري. لم يكن ثمة شيء أكثر تدميراً للأعصابِ أو أكثر خوفاً من الجلوسِ عارياً خلفَ بابٍ موصدٍ غير عارفٍ ما كان يجولَ هناكَ، وفي ورطةٍ كالتي كنا فيها كانَ الخطرُ دائمَ الحومِ حولنا.

لم يرق للسجانين أننا كنا نصرخُ باللغةِ الغيليةِ في أرجاءِ الجناحِ أو حتى مجرد استخدامها في الأحاديثِ. لقد جعلتهم يشعرون بالإقصاءِ، جعلتهم يشعرون كالغرباءِ بل وحتى أحرجتهم. لم يعرفوا ماذا كان يُقالُ. شكُّوا بأن كلمة كانت عنهم ولم يكونوا مخطئين جداً في هذا!

مجدداً بدأتُ رحلتي إلى اللامكان. بينما أستدرتُ قربَ النافذةِ ضربَ مفتاحٌ الحديدَ. سَرَتْ رعشةٌ في جسدي بينما طقطقَ القفلُ وفُتِحَ البابُ. وقفَ السجان آي ملوحاً بعلبتي مناديلِ وبعض الرسائل.

«عندي لكَ طردٌ»، مَطَّ عبارتهُ هذه بلكنةٍ كريهةٍ، محدقاً بي، وعلى وجههِ نظرةٌ تقولُ «أنا أفضلُ منكَ»

طرد، فكرتُ. علبتا مناديل كلينكس.

«أنتَ محظوظٌ؛ فأنتَ الوحيدُ الذي لديهُ طردٌ اليوم»، قالَ.

يا يسوع! شعرتُ برغبةٍ بالتقيؤ. كان هذا هو آي يمارسُ دورَ عالمِ النفس. كأنه يقرؤني ككتابٍ مفتوحٍ، قالَ «لماذا لا ترتدي ثيابَ السجنِ، ثم تحصل على بعضِ الإمتيازات».

شعرتُ برغبةٍ بأن أقولَ له ماذا عليهِ أن يفعلَ بإمتيازاته النتنةِ وبالطردِ أيضاً، لكن المناديل قد تنفعُ للوقوف فوقَ أرضيةِ الزنزانةِ الباردةِ.

Twitter: @ketab_n

حافِظ على عقلكَ، يا بوبي، قلتُ لنفسي بينما ناولني قلم «باركر» لأوقع على دفتر الإستلام الكبير مقابل الطرد. كانَ سعيداً بكل ما يحدث: جاعلاً الأمر يبدو كما لو أني كنتُ أوقعُ على استلام عقدٍ بقيمة مليون جنيه مقابل ثلاث علب مناديل مهترئة. كان بحوزتهِ رسالةٌ لي أيضاً. أكتشفتُ ذلكَ منذ مدةٍ طويلةٍ لكنه كان ينتظرُ أن أطالبَ بها. لم أفعل ذلك. تجاهلتها. قامَ بتبديلِ قلمهِ غالي الثمنِ في جيبهِ العلوية، ابتسمَ ابتسامةً عريضةً وتفوه بتعليقٍ مبهم حول جسدي المتسخ وحول رائحة زنزانتي القبيحةِ، اللعينة. أستدارَ ليغلقَ بابَ الزنزانةِ الفولاذي الثقيل. «أوه»، قالَ، «عندي لكَ رسالةٌ». سلَّمها لي. أخذتها منهُ وحضنتها كطفلٍ حديثِ الولادةِ. صفقَ البابُ. وضعتُ عيني على الفتحةِ الصغيرةِ لأرى إن كانَ سيذهبُ إلى مكتبهِ في نهايةِ الجناح. صحتُ مرةً أخرى، «دبٌّ خارجَ الأرجاءِ»، لأعلم رفاقي ثم تقهقرتُ إلى الزاويةِ شاعراً كأني شخصٌ جديدٌ وبحوزتي أشيائي القيمة ـ رسالةٌ و ثلاث علبِ من المناديل! فرشتُ المناديل على الأرض ووقفتُ عليها. شعرتُ كأنهم سجادةٌ فاخرةٌ مقارنةً بالإسمنتِ العاري. سحبتُ الرسالةَ التي لا تقيَّم بثمن والتي سبق وفتحوها وقرأوها عدة مرات من الظرفِ المفتوحِ بدوره. كانت الرسالةُ ملوثة بخطوط رقابة سوداء هنا وهناك، لكنها لم تكن بسوء رسالة الشهر الماضي. تعرفتُ بسرعةٍ على خط اليدِ المألوفِ وكان ذلك خط يد أمي. أمي الوفية كما دائماً، لا تخذلني أبداً! بدأتُ بالقراءة.

ولدي العزيز،

أتمنى أن تكونَ رسالتي الماضية قد وصلتكَ. أنا في غايةِ القلقِ عليكَ وعلى رفاقكَ، هل الطقس باردٌ هناكَ، يا ولدي؟ أعرفُ أنه ليس لديكَ

Twitter: @ketab_n

إلا ثلاثِ بطانياتٍ وقد قرأتُ في جريدة «آيرش نيوز» أن العديدَ منكم يعاني من رشح مزمنٍ. تدثّر وتدفأ قدر ما تستطيع، يا ولدي. سأصلي لكم جميعاً صلاةً صغيرة.

شقيقتكَ مارسيلا أقامت حفلة عيد ميلاد لـ «كيفِن» منذ مدة. صار عمره سنة واحدة. طفلٌ محبوبٌ. لم تره حتى الآن، أليس كذلكَ؟ والدكَ وشقيقكَ كانا يسألان عنكَ، وكذلكَ كانت «بيرنادِت» والسيدِ والسيدة «روني». كنتُ في المسيرةِ يومَ الأحدِ وكان هنالك - - - - - - -
- -
- -
(محذوف من قبل رقابة السجن! أولادُ الحرام! أطلقتُ عليهم اللعنات.)
كل شيء على ما يرام، يا ولدي. ربما لن تتطول محنتكَ بعد الآن.

قام البريطانيون بدهم البيت مرتين الأسبوع الماضي وكسروا قيثارتي السلتيّة التي أرسلها لي الشباب من ولاية كايجس في عيدِ الميلاد. لا أظن أن البريطانين سعيدين في الوقت الحالي، يا ولدي، مع كل تلك -
- -
- -
- -
- -
- -
- -
- - - - - يجب أن تدارَ رؤوسهم يا ولدي.

شقيقكَ «شون» كانَ في «كيلارني» وكان هناكَ شعارات مكتوبة على كل الشوارع والحيطان حول -

Twitter: @ketab_n

(العنبر هتش!! يا أولاد الحرام، قلتُ لنفسي.)

حسناً يا ولدي، عليَّ أن أنهي رسالتي. بدأ الثلجُ بالهبوط. أتمى أن تبقى بصحةٍ جيدة. كلنا خلفكَ. زارني طفلكَ في البيت يومَ الأحد. يقولُ إنه سيصبح «متطوعاً» عندما يكبرُ وإنه سيخرجكَ من ذلكَ المكانِ الملعون. ليوفقه الله. سآتي لزيارتك مع والدكَ ومارسيلا في المرةِ القادمةِ في الثاني عشر من الشهر الحالي. حسناً يا ولدي، ليوفقكم الله جميعكم. سأراكَ قريباً. مشتاقونَ لكَ.

أمكَ المُحِبة

ليوفقها الله، قلتُ.

زيارةٌ اليومَ!

«ياهوو!»

«هل أنت بخير، يا بوبي؟»

«جيد، يا شون. تذكرتُ للتو أنه لدي زيارةٌ اليوم. نسيتها تماماً بعدَ مجزرةِ الصباحِ الدموية هذه»، قلتُ لجاري في الزنزانةِ الملاصقة.

«كيفَ كانَ صباحكَ، يا شون؟» صرختُ راداً عليهِ.

«أظن أن أنفي مكسور، يا بوبي. ماذا عنكَ؟»

«عادي، يا شون. كالمعتاد ـ العديد من الكدمات وبضعةُ جروح. تفضّل، لدي رسالة. أعتقدُ أنه كان هنالك الكثيرُ من القنابل وحضور كبير في المهرجان. كانت الرسالة مُرَاقبة كالعادة، لكنني سأعرفُ بقية

Twitter: @ketab_n

القصة اليوم خلال الزيارة. سأذهب لأمشي، يا شون؛ يجب أن أتدفأ. الجو باردٌ حقاً، يا رفيقي. حافظ على قوة قلبكَ. سأكلمكَ لاحقاً».

ياهوو! زيارةُ اليومَ. أينَ هي تلكَ البطانيات اللعينة؟ أكادُ أموتُ تجمداً.

سأرى صغيريَ اليومَ. لم أره لتسعةِ أشهرٍ تقريباً. خطرٌ على صحته. أغامرُ كلَّ مرة أراهُ فيها، فكرتُ، لكن يجبُ أن أراه مرةً أخرى. مجرد فكرة التفتيش المقزز الذي علي أن أمر به من أجل نصف ساعة شهرية يتيمة فكرة مدمرة.

«دببةٌ في الأرجاءِ! دببةٌ في الأرجاء!»

بلمحِ البصرِ صرتُ قربَ البابِ، عيني على الفتحةِ الصغيرةِ. لاشيء! لم أستطِع أن أرى شيئاً. سمعتهم لكني لم أرهم.

«استدرْ! استدرْ!»

يا إلهي، تفتيش على الزنزانات! لاشيءَ في هذه الزنزاناتِ اللعينةِ لتفتيشه. سيقلبوننا رأساً على عقبٍ هذا الصباح.

أقفلَ بابَ أحدهم. لمحتُ السجانين بي ـ و ـ سي ـ يدخلانِ الزنزانةَ المقابلةِ لي. كانت تلكَ زنزانة السجين «بي وي ـ Pee Wee». سمعتُ السجان سي ـ يصرخُ، لكني لم أستطع تمييزَ ما كانَ يقوله. كانت الكلمات بالكادِ تسمعُ، لكني سمعتُ السجان بي ـ يصرخُ، «انحني، أيها القوطُ الصغيرُ!»

يا إلهي، كانوا يقومونَ بتفتيش «بي وي» جسدياً. بالكاد قد بلغَ الثامنة عشر من العمرِ ويقومون بإجبارهِ على الإنحناءِ ليفتشوا فتحتهُ الشرجية. سمعتُ أصواتَ اللكمات المألوفة تبرّحُ جسدَ «بي وي» العاري.

Twitter: @ketab_n

خرجَ السجانان بي ـ و سي ـ يتخايلانِ مشياً من الزنزانةِ مثل راميين، مبتسمان.

«أولاد حرام مقززين!» صرخَ شون من بابِ زنزانته بهم.

السيد آي ـ سيارة فان إلى عنبرِ التعذيب، لو سمحتْ. لقد قام «بي وي أودونيل» بالإعتداءِ على السيد «سي ـ»، قالَ بي ـ، ضاحكاً.

ستكونُ العواقبُ سيئة بالتأكيد، فكرتُ. لابدَّ أنه سيكون في حالٍ مزريةٍ عندما سيرسلونه إلى المكاتبِ لتوجيهِ التهمة له. كل هذا جزءٌ من عمليةِ التغطيةِ. إتهمهم بشيءٍ وسيلفقون لكَ تهمةً أخرى. مجرمو حرب! قلتُ لنفسي. يا لهم من قطيع مجرمي حرب قذرين، لا استثني واحداً منهم.

أخرجوا «بي وي» من زنزانته. لمحتُ جسدهُ الضئيل المسالم. وجههُ أحمر بسبب الدم. عينهُ اليمنى متورمة وأنفهُ يسيلُ دماً.

سيجبرونه على الإستحمامِ وسيقصون شعرهُ فوقَ ألواحِ الخشب. بكلماتٍ أخرى سيطحنونه طحناً للمرةِ الثالثةِ اليوم!

كانَ الصمت مطبقاً كالموتِ. الجو في غاية التوتر، الوحشية لم تغادرنا قط وكذلك التوتر.

سننالُ منك يا سي ـ، قلتُ لنفسي. سننالُ منك. ولم أعنِ كل حرف قلتهُ أكثر من قبل في كل حياتي.

كنتُ أرتجفُ، لكني وقفتُ في مكاني المعتاد قربَ العينِ السحريةِ تحسباً إن قرروا الرجوعَ وجربوا ما قاموا به بحق «بي وي» على شخصٍ آخر. سمعتهم يضحكون ويتباهون في مكتبهم كيفَ ابرحوا «بي وي» ضرباً. وصل خبر ما حدث إلى الضابط المسؤول عن الجناح. كان السجان بي ـ يهزُّ الجردلَ صائحاً للسجان سي ـ عن القيام بحملةِ تنظيفِ

Twitter: @ketab_n

المراحيض. وقد تأكد من أننا سمعناه كلنا بشكل واضح. سيأتيانِ بالجردلِ وسيدخلانِ الزنزانات راكلين محتويات أواعي البرازِ القذرةِ على الأرضِ. لم نكن نستطيعُ تفريغها من خلال النوافذِ أو الأبواب حتى وقتٍ متأخرٍ من الليل. لكني عرفتُ أن السجان بي ـ كانَ يلعبُ بأعصابِ الشباب المتوترة أصلاً. كانَ السجان آي مناوباً اليوم. ربما لن يغامر. كانَ السجناءُ غاضبين حقاً بعدما حدثَ لـ«بي وي». لا بد ستقع مشاكل أخرى. علاوةَ على ذلكَ فإنَّ أغطيةَ الأسرَّةِ لم تكن في الزنزانات بعدُ ليتم إغراقها بالماء. فكرتُ بالأغطيةِ والبردِ المدمرِ عندما أتى عناصرُ السجنِ إلى الجناحِ دافعينَ عربةً تحملُ فرشاتٍ وبطانيات.

«بطانياتٌ في الأرجاءِ!» صحتُ باللغةِ الغيليةِ لأعلمَ رفاقي، غصَّت الزنزانات بموجةٍ من الصراخ، الصيحات والتهليلات. بدأتْ الأبواب تُفْتَحُ وبعد ما بدا كأنهُ الدهرُ مع البردِ الذي بدأ يشتدُ بشكل واضح، فُتِحَ أخيراً بابُ زنزانتي ورمى العناصرُ لي ثلاث بطانيات مهترئة وفِراش قذر مبلل بالماء على الأرض.

رمقني السجان سي ـ بنظرة قذرةٍ تقول إنه يكرهني جداً وصفقَ البابَ. وأنا أيضاً أكرهُ الأرضَ التي تمشي فوقها يا سي ـ، قلتُ لنفسي و غصتُ في البطانيات. لففتُ واحدةً حولَ خصري ورميتُ الأخرى فوقَ كتفي على شكل القلنسوة، واضعاً المنشفة حولَ رأسي وعنقي كالوشاحِ. دفعتُ الفراشَ المطاطي القطني المبلل مقابل الحائط وجلستُ عليهِ، لافاً البطانية الثالثة والأخيرة حولَ قدميَّ. كنتُ كشيء تم العثور عليه في مخيم «ستالاغ ١٨» أو «داتشاو» (مخيمين اثنين أقامهما الإحتلال النازي لسجناءِ الحرب العالمية الثانية ـ م). وللصراحةِ فقد شعرتُ كأني كنت كذلكَ أيضاً. بدأتْ المنشفة بالتسبب بحكةٍ في لحيتي كما بدأتْ البطانيات ذات ملمس شعر الحصان بالتسبب بحكةٍ في جسدي المتعب.

Twitter: @ketab_n

كانَ الجو باردأ وقامَ أحد السجناء بالتعليقِ من خلال إحدى النوافذ أن الثلجَ قد أخذ بالتساقط. قد يهبطُ الثلجُ عليَّ كما حدثَ لي في الليلتينِ الماضيتين. كنتُ ثابتاً في مكاني. كيفَ حال «بي وي» الآن؟ على الأرجح شبه ميت في عنابرِ التعذيبِ تلكَ. يا إلهي، يا له من يوم سيء، فكرتُ، وشعرتُ بالإنهاك. الإرهاقُ الذي حل بي في اليومين الماضين قد بدأ تأثيره فجأةً. شَعَرت قدماي بالدفىء قليلاً وفكرتُ بزيارةِ ما بعد ظهرِ اليوم. كانَ الجناحُ هادئاً باستثناء هدير ضحكات السجانين بي ـ و سي ـ. سيعود السجان بي ـ بعد الغداء، سكراناً وخطيراً، فكرتُ. أغمضتُ عينيَّ وتمنيتُ لو أهرب للحظات عبر النومِ حتى وقت العشاء. يا إلهي، هذا صعب. صعب جداً.

نهضتُ ببطىءٍ من الفراشِ فاحصاً كل حركة. تمكنتُ من الوقوفِ على قدميَّ ووضعتُ الفراشَ مقابلَ الحائطِ. فرشتُ بطانيةً واحدةً على الأرضِ وببطانية أخرى ملفوفةٍ حولَ خصري ومنشفةٍ حولَ رأسي وكتفيَّ انطلقتُ مرةً أخرى كالبدو الرحل في رحلتي إلى اللامكان. الطقس ما يزالُ بارداً لكن لسعةَ برد الصباحِ كانت قد زالت. الثلج لم يزل يستلقي بثقلِ فوقَ الأرضِ في الخارجِ وكان الضوءُ خافتاً على غير العادة في منتصف اليوم هذا.

قريباً سيجلبونَ طعام الغداء، فكرتُ، ثم مجرد عدة ساعات ويحين موعد الزيارة. فكرة رؤية عائلتي أمر مطمئن بحد ذاته. كانت هي الحدث الوحيد المهم في كل شهر تعذيب مرير. اثنا عشرَ حدثاً مهماً في العامِ الواحد! نصف ساعة من السعادة النسبية في كل زيارة. يكون حاصلَ جمع هذا ست ساعات من السعادة النسبية في العامِ الواحدِ. قمتُ بعملية حسابية سريعة: الحاصل هو ست ساعات من أصل ٧٦٠,٨ في العام الواحد. ست ساعات بائسةٍ ويقومون بقهرك أنت وعائلتكَ، في كل دقيقةٍ منها!

Twitter: @ketab_n

تابعتُ المشي، الغضبُ يسري داخلي.

«أولاد حرام»، قلتُ وتوقفتُ لأحدقَ في النافذة المفتوحة إنما المسورة بالإسمنت. لن يطول امتلاكي لهذه النافذة كما هي الآن، مذكراً نفسي كيفَ بدؤوا بإحكام إغلاق النوافذ في الأجنحة الأخرى باستخدام حديد وخشب متماوج، حاجِبين بذلكَ كل نور الشمس والسماء. لم يكن هناك الكثير لرؤيته بطبيعة الحال باستثناء العصافير، سماء الليل والغيوم. كانت البقية مجرد أشياء تسبب ورمة في عينين محبطتين، هذا على الرغم من أن الثلج حالياً قد أتى في غير وقته وقد علق على الأسلاك الشائكة القبيحة، المقرفة تشبَّثَ بالحديد المتوحش، المُحبِط كالعادة. كل ما حولي إما رمادي يدعو للتشاؤوم أو أبيض ناصع. في الليل كان هناك القليل من الضوء عندما يعلق الثلج، بالإضافة إلى تشكيلة من آلاف الأنوار الباهرة والأشعة المنبثقة تنعكس فوقَ السجادةِ البيضاء.

كَم من المريح والمفرح أن أسرحَ عبر المرجِ الأخضرِ الرائع وأن ألمس أوراق الأعشاب الخضراء اللامعة وأشعر بملمس ورقة على شجرة أو أجلس فوق هضبة و أحدق بوادٍ يعجُّ بالحياةِ التي يجلبها الربيعُ، شاماً العطر الطري، النظيف، الصحي وليس حولي سوى أميال من الفضاء الرحب.

الحرية: هذا ما كنتُ أعنيه. حرية أن أعيشَ مرة أخرى. استدرتُ من النافذةِ لاتابع مشي المحموم، حزين قليلاً بسبب خواطر الحرية. نظرتُ إلى الجدران القميئة، المغطاة بالبراز، أكوام الوسخ المحشوة بالأوبئة وبقايا الطعام المتفسخ التي انتشرت في زوايا الأرض الرطبة. الفِراش المبلل، القذر، الذي مزقته آلاف عمليات التفتيش. السقف الذي صبغته بقع الشاي، الذي يحجب الوهج الذي يسببه إنعكاس الضوء، الباب

Twitter: @ketab_n

المشوه بالضربات، المرحاض الذي يغص بالأوبئة القابع قرب الباب. كان من شبه المستحيل أن تتخيل صورة ذلكَ المرج الأخضر الرائع الخلاب. الأشياء الكابوسية التي أحاطت بي كانت تصرخ في وجهي كل دقيقة. لم يكن ثمة مهرباً لي سوى الإستسلام! عدد قليل ـ قليل جداً ـ من السجناء قد استسلم. لبسوا ثيابَ السجن ورضخوا. لا يعني هذا أنهم أرادوا أن يفعلوا ذلك. هم فقط لم يستطيعوا تحمل ثقل التعذيب الدائم، الملل الدهري، التوتر والذعر، الحرمان من أساسيات العيش مثل الرياضة والهواء النقي، الإنفصال عن بقية البشر باستثناء ذلك الذي كنا نحصل عليه عبر صرخةٍ من خلف بابٍ فولاذي مغلق.

الإحباط، الضرب، البرد ـ ماذا يوجد هناك يا ترى؟ سألتُ نفسي. ما إن تنظرَ عبر النافذةِ حتى يصرخَ بوجهكَ معسكرُ التعذيب. انظر حولكَ في هذا القبر الذي تعيش فيه حتى تشعر أنك محاطٌ بالجحيم، حولكَ هؤلاء الشياطينِ المسوخ على هيئة السجانين آي ـ، بي ـ و سي ـ وهم على أتم الإستعداد للإنقضاض عليكَ في كل دقيقة من دقائق اليوم الكابوسي تماماً.

سحبتُ فراشي إلى حيث كانت من قبل على الأرضِ وجلستُ. هبَطتْ على أولى غيومِ الإحباط. حاولتُ أن أفكر بالزيارةِ القادمة كي أدخل بعض البهجة إلى قلبي. فكرتُ بـ«بي وي» وكنتُ على وشك أن أقتل السجانين بي ـ و سي ـ في تخيل آخرِ، عندما انطلقتْ صيحةُ فرح معلنةً وصول الغداء الذي طال إنتظاره. هاقد وصلت «عربةُ السرورِ» كما كانوا يسمون السيارة الشاحنة التي كانت تجلبُ الطعامَ من مطبخ السجن إلى العنابر. والحمدلله على ذلك، فكرتُ، ناسياً الإحباطَ الذي كان يتهددني. كان ثمة هرجٌ في الجناحِ لأن بعض علائم الحياة بدأت بالحضورِ فجأةً من خلال القبور المحيطةِ بي. ذهبَ بعضُ الشبابِ إلى

Twitter: @ketab_n

النوافذِ وبدؤا بتجاذب أطراف الحديث. وصول الغداء لم يعن مجرد وصول طعام فحسب. يعني أيضاً أن السجانين سيذهبون قريباً لاسترحةِ الغداء التي تستمر لساعتين. يعني أيضاً سلامةً نسبيةً لساعتين قصيرتين كما يعني أنه سيكون أمامنا نصف يوم فقط من القتال. هطل مطرٌ خفيفٌ في الخارج. تمنيتُ من اللهِ ألا تمطرَ أكثر من هذا لأنه إذا ذابَ الثلجُ فسيخرجُ السجانون بخراطيمهم ليشطفوا الزنزاناتِ والساحاتِ الخلفيةِ. وقد يعني هذا أننا سنتعرضُ للشطف بتلكَ الخراطيم القوية. سنموتُ تجمداً من البردِ إن تعرضنا نحن أو فُرشنا إلى البلل. من الإجرام أن تحاول الإختباء في الزاوية لتنجو من آلةِ ضخ الماء القوية. لا يمكن ردع الماء المتجمد؛ خصوصاً بعدم وجود ألواح زجاج على النوافذ.

طقطقَ قفلٌ وفتح باب.

«وصلَ الغداء!» صاحَ أحدُ السجناءِ باللغةِ الغيليةِ.

نسيتُ بشكلٍ خاطفٍ أمرَ الخرطومِ ذي الدفعِ القوي وهممتُ نحو عيني الساحرة الصغيرة. كانوا يتحركون نحو طرفِ الجناحِ البعيدِ. سأكونُ الأخير الذي يحصلُ على الغداء، فكرتُ. كانت الأطباق البلاستيكية مكومة فوقَ بعضها البعضِ على طرفي العربةِ. كان العناصرُ يوزعونَ الطعام على كل زنزانةٍ. وقفَ السجان بي - وأخذَ بكسرِ قطعِ من السمكِ من الأطباقِ وكانَ يهمُّ بأكلها. كنتُ في غايةِ الغضبِ.

«شرائح سمك Fenian على الغداء»، صاحَ السجان بي - (الفنين هو عضو في رابطة إخوان الجمهوريين الإنفصالية في آيرلندا. وقد نشطت في القرن التاسع عشر وقامت بحركة إحتجاجية منيت بالفشل في آيرلندا عام ١٨٦٧ وكانت الحركة مسؤولة عن عدة احتجاجات إنفصالية ضد المملكة المتحدة حتى أوائل القرن العشرين عندما اسْتُبدِلت الحركة بما

Twitter: @ketab_n

يعرف الآن ب IRA التي كان بوبي ساند عضواً فيها ـ م). كانَ يضحكُ على نكتتهِ المريضةِ.

«أتمنى أن يختنقوا وهم يأكلونها»، قال السجان سي، واضعاً سخريته الصغيرة هذه على عادتهِ. تابعَ الطعامُ مسيرتهُ بينما كان السجان بي ـ يدفعُ مؤخرةَ العربةِ. وصلوا إلى نهايةِ الجناحِ واستداروا. سمعتُ الأبوابَ قربي في الجناحِ تفتح ثم تغلق بقوةٍ كلما اقتربوا. صاح السجان بي، «يا سيد آي، يبدوا أنه ثمة سمكة مفقودة».

ضربني شعورٌ بالغثيانِ في منتصفِ صدري، وكانَ على وشكِ أن يشلَّني. كنتُ الرجلَ الأخيرَ. ابن الحرام المقزز السجان بي ـ أكَلَها. شعرتُ برغبةٍ بإطلاقِ صرخةٍ من البابِ، لكن كان ذلكَ ما أرادوني أن أفعله.

«أه! يا سيد آي» قال السجان بي. «يبدو أني أرتكبتُ خطأً. لا يوجد سمكة ناقصة على الإطلاق».. تنهَّدَ قلبي.

«هناكَ سمكتان ناقصتان، يا سيد آي!»

أعتقدتُ أن شون كانَ سيدخلُ من البابِ. دققتُ على الحائطِ بسرعةٍ لأذكره أنه لم يكن لوحده. سمعتهُ يلعنهم بكل المفردات الممكنة. شعرتُ بنفس الغثيان الذي لابد شعرت به السمكة عندما علقت بالصنارة. ضاع القسم الوحيد القابل للأكل. هذه كارثة وقد عرفنا أنا وشون هذا حقَّ المعرفةِ.

فُتِحَ باب زنزانة شون وأغلق. ثم فُتِحَ بابي. وقفتُ مكاني كأنَّ شيئاً لم يحدث. أخذتُ الوجبة الشحيحة الهيئة من العنصر بينما تشدَّق السجان آي «يبدو أنه ينقصنا بضعُ سمكات. سأعلم المطبخ بها ليرسلوا لنا المزيد في أسرع وقتٍ ممكن».

Twitter: @ketab_n

وكان معنى هذا، «تدبروا أمركم لن تحصلوا على المزيد».

لمحتُ السجان بي ـ يلعقُ أصابعه احتفالاً بينما كان على وجهه تلك الإبتسامة الكريهة المخصصة لهكذا مناسبات. ابتعدتُ عن البابِ ولم أنبس ببنت شفة أو أقدم لهم أي إشارة تدل على قرفي التام وكآبتي. صفق البابُ كطلقة مدفع خلفي. ضحكوا جميعهم بسرورٍ غامرٍ في طريقِ عودتهم إلى مكتبهم الصغير، الكل بما في ذلك العناصر.

جلستُ وتفحصتُ غدائي القليل المؤلف من حبة بطاطا باردة غير مقشرة وحوالي ثلاثين أو أربعين حبة بازلاء باردة وقاسية أيضاً. بدأ العناصرُ بحلقتهم اليومية من العزفِ على الطبول ودندنة أغنية The Sash My Father Wore (الوشاح الذي ارتداهُ أبي، وهي أهزوجة شعبية تحتفل بانتصار الملك وليام الثالث في حرب ويلامايت في آيرلندا بين ١٦٩٠ ـ ١٦٩١). سيدللهم السجان بي ـ بعدة سجائر، سيشاركهم العديدَ من النكات الطائفية وسيشجعهم على متابعة صوت غنائهم المزعج الذي لا يتوقف. العناصرُ، قائمين بدورهم المقزز، تملّقوا هذا الطائفي الغبي وترجُّوا كما يترجى المخبرون والغوغاءُ فقط. على استعدادٍ أن يبيعوا أمهاتهم مقابل سيجارةٍ واحدة. ما فعلوه بنا مقابل نفس الثمن ومن أجل وقت راحة قصير لابد سيجعل أمهاتهم المسكينات يشعرن بالغثيان.

بدأتُ بإنقاذِ شيءٍ من وجبة الغداءِ الباردة، متناولاً ما أمكنني، الأمر الذي كان يتطلبُ جهداً، ورامياً البقايا إلى الزاويةِ حيثُ بقية القذارة والأوساخ.

توقّفتْ أهزوجة «الوشاح الذي أرتداهُ أبي» وبعد عدة ثواني بدأت أبوابُ الزنزانات تُفتح على وقع صيحات «حانَ وقتُ جمع الصحون» التي ترددت في كل أرجاءِ الجناح. بدأتُ بالمشي، غير مكترث لاستراقِ

Twitter: @ketab_n

نظرةٍ من العينِ الساحرة. تابعوا سيرهم، جامعينَ الأطباق ومنتقلين من زنزانةٍ إلى زنزانةٍ أخرى. سمعتُ شون يقولُ لجارهِ أن يبلِّغَ ضابط السجن أنه كان سيطلب من أحد السجانين أن يعطيه محارم تواليت.

خواطري عن زيارتي بعد ظهر اليوم بدأت بإرهاقِ جملتي العصبية، الحماسة لمجرد الفكرة بحد ذاتها بدأت تؤثر على أمعائي المصابةِ بالإمساكِ لمدة خمسةِ أيام وقد أخذتْ بالطحن.

وصلَتْ الجوقة إلى بابِ شون.

«ممكن محارم تواليت، ياسيد؟» سألَ شون.

«امسحها بيدكَ»، ردَّ السجانِ سي بغضبٍ وأغلقَ البابَ.

انفجروا جميعهم ضاحكين بسبب نكتته المريضة! فُتِحَ بابُ زنزانتي، في وسط الضحك الهستيري سحبَ أحدُ العناصر الطبقَ. لا ذِكرَ لسمكتي المفقودة، فقط السجان بي يغرد «كانت تلك نكتة جيدة يا سيد سي» ثم تبع ذلك نوبات أخرى من الضحك.

«آه، من دون شك، يا سيد سي، نكتة رائعة. ها، ها، ها، ها!» أغلِقَ البابُ. فَرِحَ السجان سي بإهانتنا. كان ثمة عذراً للسجان بي. لديه عقلية غبي. السجان آي كان سعيداً جداً بالنكتة، والعناصرُ الأربعة تنافسوا فيما بينهم ليفوزوا بمعروفهم المقزز. دققتُ بيدي على الحائط.

«يا شون»، صحتُ له، «سأمدُّ لكَ حبلاً وعليه عدة مناديل، مو تشارا». (من اللغة الغيلية وتعني يا صديقي - م)

«انتظر حتى يذهب السجانون إلى تناول الغداء»، أضفتُ.

«مايث ثو (برافو باللغيلة - م)، بوبي» قالَ. جلستُ من جديد لأقومَ بتجهيزِ الحبل، قاصاً مزقاً طويلةً من المنشفة وضامّاً إياها مع بعضها

Twitter: @ketab_n

البعض. فكرتُ وأنا أعمل على الحبل، أن تلك النكتة قد أدخلتْ البهجة على يوم السجان سي.

«يا سيد بي ـ هل أنت في نوبة حراسة اليوم؟» تسائلَ سجانٌ في أول الجناح.

«أجل، أنا مناوب»، ردَّ السجان بي بصوتٍ عالٍ من مكتبهِ.

هَوْ!هَوْ! هل هذا أمر جيد أم سيء؟ سألتُ نفسي. سيذهب الآن إلى البيت وسيعود في الساعة الثامنة والنصف هذا المساء ليقوم بالحراسة طيلة الليل. سيكون سكراناً، وقد عرفتُ جيداً ماذا يعني ذلكَ.

«هل سمعتَ ذلك، يا بوبي؟» صاحَ شون.

«سمعتُ، يا رفيقي»، أجبتُ، مفكراً أن شون قد وصل إلى نفس الخلاصةِ مثلي.

«ليلةٌ قاسيةٌ!»

وقفتُ ورفعتُ نصف حبة بطاطا صغيرة متعفنة من الزبالة وربطتها إلى نهايةِ الحبل المكتمل لأضيفَ له ثقلاً. صفقَ بابُ المكتبِ، وطقطقت المفاتيح المشؤومة. كانوا في طريقهم إلى المغادرة و (الله معهم روحة بلا رجعة)، قلتُ، ذاهباً إلى النافذة وضاماً عدة مناديل إلى نهايةِ الحبلِ. دققتُ على الحائط.

«هل أنت هناك، يا شون؟»

«أنا هنا، يا بوبي»، قالَ.

«حسناً، مدَّ يدكَ وسأمدُّ لكَ هذه المناديل»، قلتُ.

وضعتُ يدي خارج النافذة وبدأتُ بمدِّ الحبلِ عبر الفجوة التي طولها خمسة أقدام. اصطدمَ الحبلُ بيد شون عدة مرات قبل أن يلتقطه.

Twitter: @ketab_n

«إلتطقتهُ، يا بوبي»، قالَ.

«برافو، يا شون. اسحب الحبلَ لعندكَ»، قلتُ.

سحبَ الحبلَ وقامَ بتأمين المناديل التي كان في أمس الحاجة إليها ثم دقَّ على الحائط في إشارةٍ لاستلامه المناديل. جاوبتُه بدقةٍ على الحائط، ثم عدتُ إلى أفكاري من جديد. بماذا يمكنني أن أفكر سوى بالزيارة. روية عائلة مرة أخرى. وسأحصل على سيجارةٍ أيضاً. كانَ هذا شيئاً ينتظرهُ المرءُ. صارَ لي مدة طويلةٌ من الزمن لم أرَ فيها سيجارة واحدة وإن حالفني القليلُ من الحظ فقد أحصل على بضع سجائر لي ولرفاقي. سيكون ذلك بمثابةِ إنجازٍ ورافعٍ للمعنويات!

بدأتْ أمعائي تعتصر مرة أخرى. قُضي الأمرُ، فكرتُ (وبمعنى آخر فقد كانت هذه الفكرة مرحبٌ بها بعد خمسة أيام من الإمساكِ المزمن)، عليَّ أن أذهبَ إلى المرحاض، الأمر الذي بدا سخيفاً بعض الشيءِ، بينما سحبتُ بعضَ المناديل وتقهقرتُ إلى زاويةِ زنزانتي التي لم تكن تتيح لي فرصة النظر من العين الساحرة في باب الزنزانة. رغم تخلصي من الإمساكِ إلا أني شعرتُ كما لو أني حيوان يجلسُ القرفصاءَ في زاويةِ الزنزانةِ بين أكوام الزبالة والقذارة. لكن لم يكن هناك حل آخر، مهما كانت مهينةً ومذلةً. كان الأمرُ أكثر إهانةً وإذلالاً بالنسبة لرفاقي الذي كانوا في زنزاناتٍ مزدوجةٍ. على الأقل كنتُ أنعمُ ببعضِ الخصوصيةِ!

مَنْ من هؤلاء الذين يسمون بمناضلي حقوق الإنسان الذي بقوا صامتين في العنبر هتش، من منهم يمكن أن يسمي هذا النوع من الهوان والقهر، وذلك حين يُجبر السجناء بعد تعذيبٍ رهيبٍ على وضع يضطرون بعده على إعلان عصيان عن النظافة ليفضحوا المهانة التي تلحقُ بهم! كم علينا أن نعاني، فكرتُ. جسدٌ غير نظيفٍ، عارٍ ومحطَّم

Twitter: @ketab_n

و يشكو من آلام العضلاتِ، جالساً القرفصاءَ في الزاوية، في قبوٍ للأوبئةِ، بين أكوامِ قمامةٍ تتفسخُ، مجبراً على التبرز فوق الأرضية حيث بقية البرازِ وحيثُ تفوحُ الرائحةُ وتختلطُ برائحةِ البول اللعينةِ القذرة هي أيضاً وبقايا الأكل المتفسخ. دعهم يعثرون على اسم لهذا القهرِ، فكرتُ، رافعاً نفسي ومتجهاً نحو النافذةِ بحثاً عن هواءٍ نَقي، الضربُ، الرشُ بخراطيم الماءِ، التجويع والحرمان، فقط دعهم يعثرون على اسمٍ لكابوسِ الكوابيسِ هذا.

توقفَ الرذاذُ وبقي الثلجُ ثابتاً على حالهِ. لا أشعر بالبرد الآن كالسابقِ لكن رعشةً ما كانت ما تزال موجودة. كان هناك عدة سنونوات تتقافزُ فوقَ الثلجِ بحثاً عن طعام، الأمر الذي ذكرني بالسمكةِ التي لم أحصل عليها قط، ولن أحصل عَليها أبداً! جمعتُ بضعَ كسراتٍ من الخبزِ عن الأرضِ ورميتها من النافذة إلى أولائكَ المواطنين الصغار، السنونوات، ووقفتُ أراقبهم ينقرونَ الخبزَ بحب. أمضيتُ حوالي الساعة أمامَ هذه النافذةِ مشاهداً العصافير فحسب، فكرتُ. السنونواتُ والزرازيرُ، الغربانُ والنوارسُ كانوا صحبتي الدائمة، وعصافيرُ الذعرة الصغيرة (الذعرة وجمعها ذعرات وهي أحد أشكال العصافير الجاثمة هي مشهورة بأذيالها الطويلة التي تهز دائماً، وسميت بهذا الإسم لأنها تبدو خائفة ـ م) التي بقيت لتؤنسني، تلعبُ وتتقافزُ في الساحةِ حتى ترحلَ آخر ظلال اليوم. كانت تلك الطيور تسليتي الوحيدة خلال الأيام الطويلةِ المضجرةِ وقد أصبحت الآن تأتي كل يوم منذ بدأتُ برمي كسراتِ الخبزِ لها. لقد أحبوا اليرقات، فكرتُ، مفكراً بأشهرِالصيفِ القائظِ حيثُ غدت الزنزاناتُ مثل الأفرانِ والرائحة الكريهة المنبعثة من أكوام القمامةِ المتفسخةِ وبقايا الطعام المتعفن قد طغتْ على كل شيءٍ تقريباً. كان ذلكَ عندما شقَّ الدود الأبيض اللون، المتحرك يمنةً ويسرةً، الزاحف من أكوام الزبالة بآلافه المؤلفة.

Twitter: @ketab_n

قبّرة السماء أنشدي أغنيتكِ الوحيدة
(القبرةُ ومُقاتلُ الحريةِ)

قالَ جدّي ذاتَ يوم إنَّ سَجْنَ القبرةِ هو جريمةٌ وحشيةُ شنيعةٌ لأنّها أعظمُ رموزِ الحريةِ والسعادةِ. تحدّثَ كثيراً عن روحِ القبرةِ مشيراً إلى حكايةٍ عن رَجُلٍ زجَّ بأحدِ أصدقائهِ المحببين في قفصٍ صغيرٍ. القبرةُ، كونها عانتْ لوعةَ فقدانِ حريتها، توقفتْ تماماً عن الغناءِ بحبٍّ، كيفَ لا وقد فقدتْ كل أسباب السعادة. الرجلُ الذي إرتكبَ ذلكَ العملَ الوحشي، حسبَ تسميةِ جدي، طالبَ أن تأتمرَ القبرةُ بأمرهِ: ذلكَ أن تغني من أعماقِ قلبها، أن ترضخَ لرغباتهِ وأن تغير نَفْسَها بما يتلائمُ معَ ما يسعدهُ أو ينفعهُ. رَفَضَتْ القبرةُ، وغَضِبَ الرجلُ وأصبحَ عنيفاً. بدأ بممارسةِ الضغطِ على القبرةِ لتغني، لكنه حتماً لم يحصدْ أيَّ نتيجة. لذلكَ أتخذَ خطواتٍ أكثرَ صرامةً. غطى القفصَ بقطعةِ قماشٍ سوداءَ اللونِ، حارماً إياها ضوءَ الشمسِ. قامَ بتجويعها وتركها تتعفّنُ في القفصِ القذرِ، لكنها استمرتْ في رفضها أن تخضع. قامَ الرجلُ بقتلها.

كما أشارَ جدي وقد كانَ محقاً، فقد كانَ للقبرةِ روحاً، روحُ الحريةِ والمقاومةِ. تاقتْ أن تكونَ حرةً، وماتتْ قبل أن تذعنَ للطاغيةِ الذي حاولَ تغييرها بالتعذيبِ والسَجْنِ. أشعرُ أنّه ثمة شيئاً مشتركاً بيني وبين هذه العصفورةِ وعذابها، سجْنِها وجريمة قتلها الأخيرة. كانَ لها روحاً لا

Twitter: @ketab_n

تجدها عادة بين الناسِ، حتى بيننا نحنُ ما نسمى بالمخلوقاتِ الأسمى، البشر.

خُذْ مثلاً سجيناً عادياً. هدفهُ الرئيسي هو أن يجعلَ محكوميته أسهل وأكثر ما يمكن راحةً. السجينُ العادي لا يمكن ولا بأي حالٍ من الأحوالِ أن يغامر بيومٍ واحدٍ فقط من مدة إعفائهِ. بعضهم قد يلجأ حتى إلى الترجي، الزحفَ على اليدين والقدمين، والإخبارِ عن السجناءِ الآخرينِ ليحموا أنفسهم أو ليعجلوا بإطلاقِ سراحهم. يرضخونَ لرغباتِ سجانيهم، وعلى عكسِ القبرةِ، سيغنون عندما يُطْلَبُ منهم وسيقفزون عالياً عندما يُأمَرونَ بالتحركِ.

بالرغم من أنَّ السجين العادي قد فقد حريته فهو غير مستعد للقيام بأمورٍ إستثنائيةٍ ليستردها، ولا حتى ليصونَ إنسانيته. يَقْنَعُ بأجلٍ قصيرٍ لإطلاقِ سراحهِ. في نهايةِ المطافِ، إذا تم إحتجازهُ لمدةٍ كافيةٍ، يتم مأسستهُ، يصبحُ آلةً، لا يفكرُ، يسيطرُ عليهِ ويتحكمُ به سجّانوه. كانَ ذلكَ ما أرادوه قَدَراً للقبرةِ في حكايةِ جدي؛ لكن القبرة لم تكن بحاجةِ تغيير، ولا هي أرادتْ أصلاً أن تتغير، وماتتْ وهي تؤكد تلكَ النقطةِ.

يعيدني هذا مباشرةً إلى حالتي: أشعرُ بشيءٍ مشتركٍ مع تلكَ العصفورةِ المسكينةِ. حالتي معاكسةٌ تماماً لحالةِ السجينِ الخانع: أنا سجينٌ سياسيٌّ، مقاتلٌ من أجلِ الحريةِ، مثل القبرةِ، أنا أيضاً قاتلتُ في سبيلِ حريتي، ليس فقط أثناءَ احتجازي، حيثُ أذبلُ الآنَ، إنما أيضاً عندما كنتُ في الخارجِ، حيثُ بلدي رهن الإعتقالِ. تمَّ توقيفي وحبسي، لكني، مثل القَبرةِ، قد رأيتُ أيضاً ما هو أبعد من القفصِ الحديدي. أنا الآن في العنبر «هِتش»، حيثُ أرفضُ أن أستجيبَ لمن يَقْمَعونني، لمن يعذبونني ويسجنونني، لمن يريدونَ أن ينزعوا عني

Twitter: @ketab_n

إنسانيتي. مثل تلكَ القبرةِ لم أكن بحاجةٍ لأتغيرَ. ما يريدُ سجانيَّ أن أغير هو إيديلوجيتي السياسية ومبادئي. لقد قمعوا جسدي واقتحموا خصوصيتي. لو كنتُ سجيناً عادياً لاهتموا، ولو قليلاً، لشأني، عارفينَ أني سأرضخُ لنزواتهم المؤسساتية.

فقدتُ سنتين اثنتين من سنوات إطلاقِ سراحي مبكراً. لا أكترثُ. جرّدوني من ملابسي وزجوا بي في زنزانةٍ قذرةٍ، فارغةٍ، حيثُ تضورتُ جوعاً، ضُرِبْتُ، وتعرضتُ للتعذيبِ، ومثلَ القبرةِ أخشى أن أُقْتَلَ في النهايةِ. لكن، هل أجروء على القول، مثل صديقتي الصغيرةِ تلكَ، إنَّ لدي روح الحريةِ التي لا تفلُّها أقسى ضروب المهانةِ. بالطبعِ قد يقتلوني، لكني طالما بقيتُ حياً، سأبقى أنا نفسي، سجين حربٍ سياسي، ولا يستطيعُ أحدٌ أن يغير ذلكَ.

أليسَ لدينا العديد من القبرات لنثبتَ ذلكَ. تاريخنا مليئٌ بهم بشكلٍ يفطرُ القلبَ: أمثال ماكسويني، غوفانز، وأمثال ستاغ. هل سيكون هناك كثرٌ من أمثالِ هؤلاء في العنبر «هتش»؟

لا أجروءُ على الختام دون أن أنهي لكم حكايةَ جدي. سألتهُ ذاتَ مرةٍ مالذي حلَّ بالداهيةِ الذي سجنَ، عذَّبَ وقتلَ القبرة؟

«يا ولدي»، قال لي، «في يومٍ من الأيامِ وقع في أحدِ أفخاخهِ التي صنعها بنفسهِ، ولم يساعدهُ أحدٌ للخلاص. ازدراهُ أهلوهُ، وأداروا ظهورهم له. أصبح هزيلاً جداً، وفي النهايةِ تعثَّر مترنحاً وماتَ فوقَ الأرضِ التي لطخها بتلكَ الدماءِ. أتت العصافيرُ وقامت بالإنتقامِ منه بنقرِ عينيهِ، وصدحتْ القبراتُ بالغناءِ كما لم تفعل من قبلِ قط».

«يا جدي»، قلتُ، «هل من الممكن ان يكون اسم ذلكَ الرجل جون بُل؟»

Twitter: @ketab_n

(جون بُل شخصية ترمز لكل ما هو بريطاني عموماً وإنكليزي بالتحديد. وعادة ما يتم تصوير الرجل الإنكليزي التقليدي على أنه رجلٌ رَبْعةٌ، خمسيني، يقطنُ الريفَ، مرحٌ وواقعي. الإشارة هنا من قبل ساندز للتندر من الإنكليز ـ م).

Twitter: @ketab_n

خاطِرةٌ في الليلِ

ناحيةً عوتُ الريحُ ومخرتْ عبابَ لمعانِ آلافِ الأضواءِ المتلئلئةِ في السماءِ المحيطةِ بها، بينما من العتمةِ الخارجيةِ أتى المطرُ المدرارُ زاخّاً ملاءاتٍ فضيةٍ فوقَ الإسمنتِ الأسودِ اللونِ، ناشراً ملايينَ الجنيات التي تتضاحكُ فيما بينها وتتقافزُ بجنونٍ.

ألفُ ميلٍ من الأسلاكِ الشائكةِ الرماديةِ اللونِ تمايلتْ وضربَ بعضها ببعضٍ عندما عصفتْ بها الريحُ وهاجمتها دونما هوادة. قَعْقَعَتْ بوابةٌ غيرُ مقفلةٍ، وعواءُ كلابِ الحراسةِ البعيدةِ المذعورةِ حَضَنَ الريحَ وتابعَ طيلةَ الليلِ. ثم، كأنَّ الإلهَ الطيبَ قد طقطقَ بإصبعيهِ، خيَّمَ الصمتُ.

هدأتْ الريحُ وتعلقتْ الجنياتُ بالأسلاكِ الشائكةِ رماديةِ اللونِ مثل لؤلؤاتٍ لمّاعةٍ متعددةِ الألوانِ. الهدوءِ الذي أعقبَ ذلكَ والسكونُ المفاجئُ كانا غريبينِ حتى أقلقتهما الآهةُ من البوابةِ غير المقفلةِ والصيحاتُ الثاقبةُ لرحالةِ الليلِ غير المرئيينَ، طائرُ الجُهْلولِ والكروانُ. تلألأت بُرَكُ الماءِ الفضية اللونِ في حين هدأَ الليلُ العابرُ ليلتقط أنفاسه بعدَ تلكَ المحنةِ القاسيةِ وحدقتُ أنا بالنجم البعيدِ لأحلمَ بالهناءةِ حديثةِ الولادةِ هذه، بينما حلَّت عليَّ ضيفةً رطوبةُ مساء ديسمبر الباردةِ.

كانت خواطري عن بيتي وعائلتي، زوجتي وابني. حاولتُ أن أتخيلَ الوجوهَ الذاويةَ لأمي وأبي الذين لم أرهما منذ مدةٍ طويلةٍ، والذين أخشى ألا أراهما مرة أخرى. ثم أتاني صاحبٌ قديمٌ: القنوطُ! فَطَرَ قلبي

Twitter: @ketab_n

وغلفني بكفنٍ بؤسهِ الخفي. كلما فكرتُ بالبيتِ والعائلةِ أكثر، كلما غصتُ أكثرَ في تلكَ الأغوارِ الداكنةِ.

الإبتسامةُ، إبتسامةُ زوجتي الدافئة الناعمة، ظلتْ تترددُ من العتمةِ أمامي، وسمعتُ صوتها الحزين الرقيق: «اشتقتُ لكَ، وأحبكَ، عُدْ إلى البيتِ». وابني ينامُ قربي كالملاكِ، بريئاً ولا يعي محنةَ ووحدةَ والدتهِ، ليسَ لديهِ أبٌ يضعهُ في السريرِ، ليحبهُ أو ليقلده وهو يكبرُ؛ وتأوهَ كما يتأوهُ البريءُ وحدهُ، وتقلَّبَ في نومهِ الحالمِ.

ثم أتتني وجوهُ عائلتي، شقيقتيَّ وشقيقي، يكبرونَ في غيابي. وعرفتها عندها كم كنتُ أحبهم، وكم تقتُ لأشاركهم هذه الحياةَ القصيرةَ وأمي المسكينة. يا إلهي، أمي المسكينة المعذَّبة، شعرها أشيبٌ وعليها علائمُ حياةٍ كاملةٍ من القلقِ والشظفِ التي وحدها فقط تعرفُ ثقلها. وقلتُ: «آسفٌ لأنكِ عانيتي من خلالِ معانتي، يا أمي». وكعادتها، أجابت: «لا تتواضع. أنتَ ابني، وسأقفُ إلى جانبكَ دائماً». أبي، تماماً كما كان يفعلُ دائماً، وقفَ قربها. «قوي قلبك يا ولدي، قوي قلبك».

بدأتْ السماءُ بالتلبدِ بينما هدد الفجرُ بالمجيءِ، واستيقظتِ العصافيرُ لتعلنَ وجودَ حياةٍ ووجودَ طبيعةٍ. في الممرِ الخارجي للصمتِ طقطقَ مفتاحٌ ودنتْ خطواتٌ من البعيدِ. غادرني القنوطُ دون أن أدري، بينما هاجمَ التوترُ أعصابي وحلَّ عليَّ الخوفُ والفجرُ معاً.

تململَ ثلاثمائة وخمسونَ جسداً عارياً، انداحتْ ملايينُ الخواطرِ والأحلام، وجثمَ على صدورنا كابوسٌ في حينِ سطعتِ الشمسُ. هاقد بدأ يومٌ آخرٌ. دنتْ الخطواتُ وأصبحَ صوتها أعلى وأعلى، وقالَ صوتٌ: «استيقظوا، يا أولادَ الحرام». استجمعتُ قوّتي وفكرتُ في قرارةِ نفسي: «كُرْمى لَعتمةِ ليلةٍ عاصفةٍ».

Twitter: @ketab_n

رياح ناحبة

يا رياحَ آذار/ مارس الباردة إنَّ نحيبكِ المتوحش
قاسٍ على قلوبِ السجناء،
لأنكِ تجلبينَ صرخاتِ أميَّ الراجيةِ
التي عليَّ أن أودعها.
أسمعُ أمي تنشجُ وحيدةً
تعبرُ أحزانها قربي،
وفي ظلمةِ الزنزانةِ
أدفأتْ دمعةٌ عيْنيْ.

أيتها الرياحُ الصافرةُ لماذا تنشجينَ
بينما أنتِ تصولينَ وتجولينَ حرةً،
ألأنَّ قلبكِ المسكينِ قد انفطرَ
وتناثرَ أشلاء في البعيد؟
أو لأنكِ تتجشمينَ أعباءَ بكاءِ
الناسِ الذي لم يوْلَدوا أحراراً،
أولئكَ الذين مثلكِ ليسَ لهم قرارٌ

Twitter: @ketab_n

أو قَدَرٌ مسْتقل؟

الرياحُ الوحيدةُ التي تسيرُ في الليلِ
لتقضَّ مضجعَ روحِ المذُنِبِ،
صلِّي لي، أنا الفتى البائسُ
الذي لن يكبرَ أبداً.
صلِّي لأولئكَ المتألمينَ في مضاجعهم
السيدُ والعبدُ،
واهمسي بلطفِ نَفَسَ اللهِ
فوقَ قبريَ البسيط.

يا رياحَ آذار/مارس التي تثقبُ الظلمةَ
تبكينَ بأصواتٍ بائدةٍ
على أرواحِ ناسٍ أتيتِ بهم إلى الله
لكنكِ لا تزالينَ تحتملينَ تذمرهم.
أيتها الريحُ في هذهِ الليلةِ الموحشةِ
لم يزل قلب أمي دامياً،
يا إله كل نَفَسٍ من أنفاسِ الحريةِ
أتضرعُ أليكَ أن توقفَ أمي عن البكاء.

Twitter: @ketab_n

أزمنة حديثة

يُقالُ إننا نعيشُ أزمنةً حديثةً،
في عامِ ٧٩ المتحضّرِ هذا،
لكنني عندما أنظرُ حولي، كلُّ ما أراهُ،
تعذيبٌ حديثٌ، ألمٌ، ورياء.

في الأزمنةِ الحديثةِ يموتُ أطفالٌ صغارٌ،
يموتونَ من الجوعِ، لكن من يجرؤ على السؤال؟
وبناتٌ ضئيلاتُ الحجمِ ودونَ ملابس،
يركضنَ صارخاتٍ، مصاباتٍ بالنابالمِ، عبر الليلِ الذي يحترق.

وبينما يجلسُ الحكّامُ المتجبرون على عروشهم،
يدفنُ الأطفالُ عظامَ ذويهم،
والعسسُ في حلكةِ الليلِ،
يجلدونَ خلسةً المرأةَ العارية.

في المزْرابِ يستلقي الرجلُ الأسودُ، ميتاً،

Twitter: @ketab_n

وحيثُ يتدفقُ أكثرُ النفطِ سواداً، يزدانُ الشارعُ باللونِ الأحمرِ،
وهاهو هناك ذلكَ الذي ولِدَ وكانَ ما كانَ،
لكنهُ عاشَ وماتَ دونَ حرية.

بينما يرسمُ البيروقراطيونَ، المُضَاربون، والرؤساء على حدٍّ سواء،
ابتساماتهم السعيدة هذه الليلة على وجوههم القذرة والنتنة،
سيصرخُ السجينُ الوحيدُ من داخلِ قبرهِ،
وخسيسُ الغدِ سيغادرُ رحمَ أمه!

Twitter: @ketab_n

ماكلهاتِن

في ناحية «Glenravels Glen» عاشَ رجلٌ كنا نسميه «الله»
وذلك لأنه يستطيعُ أن يبعث الموتى وأن يميتَ الأحياءَ مقابل ثلاثينَ فلساً.
يأتي الشتاءُ، الصيفُ، الصقيعُ الذي يغطي المكانَ أو الربيعُ الراقصُ على النسيم
في هدأةِ الليلِ ينسلُّ رجلُ ماكلهاتِن، لو سمحتم.

كورس:
«ماكلهاتن، أيها الزوبعةُ، أينَ ذهبت؟» يصيحُ مليون رجل يختنق.
أينَ أكياسكَ من الشعيرِ؟ أو هل سنرى أمثالكَ مرةً أخرى؟
هنا رقصةٌ للرَجُلِ وبكرةٌ للقطرةِ وأرجوحةٌ للفتاةِ التي أحبًّ،
علَّ مزماركَ يشدو وخمركَ يبهجُ صحبكَ في الأعالي.

ثمة خيطٌ رفيعٌ من الدخانِ في جنوبِ Anne والخمرُ على الطيورِ
والطيورُ في الأعلى والأرانبُ سارحةٌ وثمة سكارى في كل مكانٍ.
في Sherries Rock الثعلبُ طليقٌ والله يطاردُ كلابَ الصيدِ

Twitter: @ketab_n

والشيءُ الوحيدُ الذي مايزالُ على ما هو هم الموتى المدفونين تحت الأرض.

كورس:

في بيتِ ماكلهاتن الجنياتُ طليقاتٌ ويغنين فوق المواقدِ.

الماعزُ انقلبتْ على ظهورها، فرَّتْ الكلابُ، ثمة سمك سلمون في المستنقعات.

يقولون كان لديه مليون غالون من ماءِ الغسيلِ والقشاراتُ عند الوادي،

لكنهم لن يلحقوا بهذا الألعبانِ أبداً لأنه لن يعودَ أبداً!

Twitter: @ketab_n

«هيا، أيها الحمرُ الصغارُ»

الأضواءُ الصفراءُ الخافتة شعَّت من أنساقِ المنازلِ، بالكادِ تضيءُ الشوارعَ السوداء المقفرة اللامعة المبللةِ التي أمامنا. كانَ هناكَ القليلُ جداً، إن كانَ هناك أصلاً، أضواء شوارع تعمل وتسللتِ الظلالُ فوقَ الجدرانِ التي شوهتها الشعاراتُ، و أتتني الأخيلةُ الظليةُ قبلَ أن أعرفَ مصدرها أو رغباتها واحترتُ أينَ «كانوا».

«ابقِ عينيكَ مفتوحتين، يا جو، ما هي إلا خمس وعشرون دقيقة حتى البداية، يا ابني الحبيب، وسوفَ تصلُ إلى هناكَ مرةً أخرى. توقفَ المطرُ، شكراً للهِ، لكني مبتلٌ والبردُ القارسُ يغرسُ أنيابهُ في حقيبتي الحربية المبتلةِ ويتسللُ في جسدي. لكنهم سيحضِّرون لنا الحِساء. أجل، على وشكِ أن أشتمَّها. مَرَقٌ ساخنٌ، يجوشُ، خاثرٌ ولذيذ».

«النافذةُ العليا الساعة العاشرة، جو!»

«اذهب إلى والدتكَ حيثُ تنتمي وارحنا جميعنا منك».

يا إلهي، جو، لماذا لا تشاهد، النساءُ هم الأسوأُ. دائماً عنيفات، دائماً جاهزات لتمزيقكَ إرباً. لا شفقة منهن لكني أتفهم هذا بشكلٍ ما، لأن من قتلناهم وسجناهم هم أبنائهم وبناتهم، لكني أقومُ بعملي وحسب، أليسَ كذلك؟ ذاهبٌ الآنَ إلى دكانِ البطاطا المقلية، جو، تماماً كتلكَ المنزلية، أيضاً، تشتمُّ أكلة السمك والبطاطا تلك. لا مجالَ

Twitter: @ketab_n

لنشتري أي منها، لن يبيعوا منها شيئاً للبريطانيين. هناك تلك الجمهرة الإعتيادية في الخارج تستمعُ إلى راديو ترانزستر وصوت مسلسل «كورونيشن ستريت» ينداحُ من المطابخ المنزليةِ الصغيرةِ. لو كنتُ في البيت، لو كنتُ في مانشستر آكلُ البطاطَا المقلية واقفاً على قدميّ. راقب الجمهور، يا جو، والفتيات بمعاطفهن الطويلة التي تخفي بواريد الآرمالايت، وذلك الرقيب ابن الحرامِ الذي تركني هنا مثل ثمرة جوز الهندِ أعلن عن نفسي أمامَ كل بلفاست قاطبةً.

راقب الجمهور، تلكَ الوجوه البريئة تكرهكَ، يا جو. فقط لو أستطعتُ التمييزَ فيما بينهم أو رأيتهم، لكنكَ لا تراهم ولا حتى تسمع الطقطقة الحادة، فهم يعرفونَ ما يفعلون. هم جيشٌ هل تفهمني، جيشٌ من الغوريلات جيدةِ التدريبِ وقد أصروا على الإنتصارِ لقضيتهم. أليسوا تواقين لإثباتِ ذلكَ والتعفن في السجون وعنابر هتش وقد قالوا لي إنها حربٌ طائفيةٌ وإني سأصبحُ بطلاً، منقذاً أرواحَ الآيرلنديين من المجرمين المضطربين عقلياً. يا لها من مهمة، يا جو، يا له من بطل.

لا تزح عينيكَ عنهم، يا ابني جو، ذهاباً في واترفورد ستريت، وهنا أيضاً لا ضوء كافٍ. مجرد ظلال والإحساس أنه ثمة قناص وراء كل نافذة وأنا لا أشك بهذا. في كلونارد ستريت صعوداً إلى فولز رود مجدداً. الجمهور لا يزالُ أمام دكان بيع البطاطا لكن هناك جماهيرُ أخرى تراقبكَ، يا جو. يراقبون ويتحينون الفرصة. ثمة سياراتٌ في الطريقِ وأناس يذهبون إلى الملهى الليلي وإلى ما بقي من الباراتِ. بقايا الأبنية التي دمرتها القذائفُ تحكي قصة هذه البلدة التي مزّقتها الحربُ.

راقب الممرات، يا جو، حيثُ يقفُ العرسانُ الجددُ. أنت لستَ في ألمانيا الآن وليس هناك بهجة ولا أمل فوقَ هذه الأرض، يا جو، يا

Twitter: @ketab_n

يسوعُ، الطقسُ باردٌ لكن ست دقائق فقط، يا ابني، وتكونُ في البيتِ. امشِ على طول تاونزإند ستريت وابحث عن شقق ديفيز، يا جو. إن وجدتها فستكون مرتفعة. تابع النوافذ بالنظراتِ، سدد واطلق أولاً ثم اسأل فيما بعد، يا جو، هؤلاء ليسوا ناسكَ بطبيعةِ الحالِ. أنت لا تستطيعُ حتى مجرد أن تفهم ما يقولون، ولا كيفَ يتكلمون. امضِ في غروزفنر رود، يا جو، احسنت رائع! أمامك فندق «يوربا»، لن أتمكن من رؤية الكثير من هناك، اقنع بكوب حساء، بضع قناني بيرة وسأكتبُ رسالةً إلى الزوجةِ وطفلي الصغير قبل أن أخلدَ إلى النوم.

ليسون ستريت. راقب النوافذ الآن، يا جو. خلفَ المشفى والبوابات وديفل بارك. كيف أحوالهم يا ترى، بلغتْ الثلاثة أعوام الشهر الماضي. لكن لم يبقَ الكثير كي أراهم، عدة أسابيع وحسب، قد لا يأتون مرة أخرى.

سأقاتلُ من أجل بلدي لكن ليسَ هنا، هذه ليست مشكلتنا، هذا ليس شعبنا، لا يستطيعُ أحدٌ أن يقول إني جبان. لا أعرف حتى لماذا أنا هنا، ولا لماذا؟ ولا إلى أين سينتهي المطافُ بكل هذا؟ عند مفترق الشلالات وطُرق غروزفنر. دقيقةٌ، يا جو، راقب المعابر يا ابني العزيز، أضواء خضراء، خلف حانة بيكنز وعلى طول جادة سبرنغفلد وصولاً إلى مهجع العساكر. هاهم يفتحون لنا البوابات، اشتمْ رائحة الحساء، يا جو، أسرِع! مباراة مهمة على التلفاز اليوم أيضاً، هيا، أيها الحمرُ الصغارُ، راقب النوافذ، يا جو. سأحرص على الذهاب إلى المباراةِ القادمة في استاد أولد ترافورد، وحتى قد أذهب إلى كل مباراة محلية أيضاً.

راقب الزوايا، يا جو، خذ زوجتكَ إلى النادي بين الفترة والأخرى

Twitter: @ketab_n

والطفلة إلى حديقةِ الحيوان، أسرِع! ربما إن حصلتُ على عملٍ جيدٍ استطيعُ أن أشتري سيارة، انتقلُ للعيشِ في الداخل عبر البوابات، أو ربما أذهبُ إلى إسبانيا في عطلة، راقب النوافذ، يا جو. لطالما أحببتُ أن أذهب إلى إسبانيا، على وشك أن يحصل هذا، يا جو. راقب الممر، يا جو، هيا أيها الحمرُ الصغارُ، أيها الحساء الساخن جداً هاقد أتيتكَ.

صوت طقطقة!

«لا يمكنك أن تراقب كل الأمكنة، يا جو...».

Twitter: @ketab_n

الحصادُ الذي جنتهُ بريطانيا

مساحةٌ من الإسفلتِ أحاطتْ بالأسلاكِ الشائكةِ والفولاذُ هو الشيءُ الوحيدُ الذي أراهُ من نافذة زنزانتي. قيل لي إنها ساحةٌ للتمارين الجسدية. لم يكن لدي أدنى فكرة. خلال اشهري الأربع عشرة في العنبر «هتش»، لم يُسمح لي بالسيرِ في الهواء الطلق. أنا اليوم تحت «حجز في الزنزانة». هذا يعني أنه لثلاثة أيام من أصل أربعة عشر يتم إبعاد حاجياتي، بطانياتي الثلاث وفراشي، ويتركون لي بطانية واحدة ووعاء للتبرز والتبول.

يتركونني هنا لأمضي يومي على هذا النحو، من الساعة ٧,٣٠ صباحاً حتى ٨,٣٠ مساءً. يقررُ الطقس كيف أمضي يومي. إذا كان الطقس دافئاً إلى حد ما، يكون بإستطاعتي أن أجلس على الأرض، أحدق في الجدران البيضاء، وأمضي بضع ساعاتٍ حالماً في صحوي. لكن ما عدا ذلك علي أن أمضي يومي في السيرِ في الزنزانة لأمنعَ البرد القارس من التغلغل في عظامي. حتى بعد أن يعيدوا لي فراشي في الساعة ٨,٣٠ مساءً، تكون قد مرت ساعات قبل أن تعود الدورة الدموية إلى قدميَّ ورجليَّ.

طُرق تمضية الوقت متعددة ومتنوعة، لهذا يكون لدي عدة ساعات من التأمل: التأمل في الأوقات الجيدة، والأخرى السيئة، كيفَ وصلتُ إلى هنا، لكن، أهم شيء، *لماذا* أنا هنا. خلال لحظات الضعف أحاولُ

Twitter: @ketab_n

أن أقنع نفسي أن لباس السجن الموحد والإذعان ليسا بالأمر السيء إلى ذلك الحد. لكن إرادة المقاومة تضطرم نارها في داخلي. قبول لقب المجرم بمثابة إذلال نفسي والإعتراف أن القضية التي أؤمن بها وأصونها هي قضية خاطئة. عندما أفكرُ في الرجالِ والنساءِ الذين ضحوا بالحياة نفسها، تبدو معاناتي غير ذات قيمة. كان هناك عدة محاولات لكسر إرادتي لكن كل منها جعلتني أكثر إصراراً. أعرفُ أن مكاني هو هنا ورفاقي.

أفكرُ بالإستراحة الوحيدةِ خلال هذه الرتابة، الأربعين دقيقة التي أمضيها في القداس كل يوم أحد «در خدكَ الآخر» «احب جارك» وأحتارُ، لأنه خلال الأشهر الأخيرةِ أعرفُ أن القسوةَ قد نمت في داخلي. كرهٌ في غايةِ الشدةِ لدرجة أنه يخيفني.

أراهُ أيضاً في وجوه رفاقي أثناء القداس: الكُرهُ في عيونهم. يوماً ما سيغدو هؤلاء الشبان آباءً وستنتقل هذه المواقف إلى أبنائهم لا محالة.

هذا هو الحصادُ الذي جنته بريطانيا: تصرفاتها ستقررُ في النهايةِ مصيرَ حكمها في آيرلندا.

من المخيف رؤية رجال يهرمون في سن الثامنة عشر والتاسعة عشر. شبان، كانوا معافين وأقوياء عقلاً وجسداً منذ عام واحد، يمثلون الآن قواقع بشرية منكمشة على نفسها. كل عناصر الحياة في العنبر «هتش»، من البرد، الزنزانات الخاوية والحرمان من أي مكونات الراحة، وصولاً إلى الحرمان من العلاج الطبي، كلها مصممة لطحن مقاومتنا، لكنها لن تنجح.

قد يتحكمون بأجسادنا في أكثر الظروفِ لا إنسانيةً، لكن طالما بقيت عقولنا حرة، فإن النصر آتٍ.!

Twitter: @ketab_n

اللاجئون

شعبٌ قلقٌ متعجِّلٌ، تدافعٌ بشري لا يعلمُ الله إلى أين، انقذفوا من الشوارع الخلفية، لايعلم الله لأي غاية. منازلهم الصغيرة جداً أضاءت الليل حول «من أجل الله وأولستر» التي كانت سبب تهجير اللاجئين من هنا.

آه بيوتنا الصغيرة المتواضعة حيث حَضَنَ الناسُ النارَ المتقدةِ،
أرضياتٌ لامعة و خزائن مطرزة بنعومة يعجبُ بها الجيرانُ،
الملاجيء الصغيرة الخلفية حيثُ يلعبُ الصغارُ
وفي الصالةِ حيثُ جرنُ الماء المقدسة الصغير ليباركَكَ في طريقكَ!

كان ثمة شوارعاً ضيقةً حيثُ لم يُغْلَق باب قط،
هناكَ حيثُ ولدتْ الشخصياتُ والفلكلور ولم تؤلَّف،
وحيثُ، قربَ ضوء الشارعِ في الزاويةِ، صنعَ الأطفالُ أرجوحةً
في الغابةِ الإسمنتيةِ حيث كانت العاهرةُ ملكاً.

آه شعبٌ لطيفٌ، ألم يكونوا متعاضدين تماماً،

Twitter: @ketab_n

مجرد كوب من الشاي أو ثمن زجاجة الحليب، كانت أشياء لا تنسى،

وعندما وقعت إضطراباتٌ، ألم يشاركوا جميعهم؟

أولمْ يتدخل كل رجلٍ منهم؟

وبالتأكيدِ عادَ بعضهم؛ والآخرون؟ يعلمُ الله أينَ ذهبوا،

هُجِّروا عنوةً على يدِ ذلكَ الحشدِ المتعصبِ البرتقالي اللون.

من الجيد أن أتذكر هذا الشعب القلق المتعجل، بيوتهم الصغيرة المحروقة،

بينما رأيتهم يمضون بالآلافِ إلى «غورمانز تاون».

Twitter: @ketab_n

قوارض الفنيان[1]،... إلخ

«اخْرِج هذه القوارض الفينينية من تلك السيارة»، هكذا أمرَ رجلُ الفرعِ الخاصِ عندما ألقوا القبضَ عليَّ. كنتُ قد سمعتُ هذه الكلمات من قبل وكان علي أن أسمعها من جديد مئة مرة خلال الأيام الستة التي تلت ذلك من الضربِ والتعذيب في كاسلري. في الحقيقة، «الشباب» اللطفاء استخدموا تشكيلة من الأوصاف و الألقاب، من قبيل «متشرد» و «غجري»، «قوارض» و «حثالة»، «قذارة» وما إلى هنالك، بالإضافةِ إلى الإساءات اللفظية المعتادة، التهديدات واللعنات. نفسُ القوامينَ على القانون كانوا بارعين بوصفِ ما ارتكبوه بحق العاهرات الفينينيات، حسب ما كانوا يصفون الفتيات الكاثوليكيات اللواتي حققوا معهن.

مثل تلك المفردات الوصفية دارجة جداً في (من أجل كلمة أفضل) دوائر «سلطوية» وأعتقدُ أن ذلك يتضمن فريق جزاري «شانكيل» سيء السمعة، بما أن معظمهم كانوا أعضاء في (UDR)[2]. لا أعتقد أن أحداً

(١) الفينين: عضو جمعية ثورية سرية انتشرت في أميركا وأيرلندا في القرن التاسع عشر كان هدفها إسقاط الحكم الملكي البريطاني.م

(٢) لواء أولستر الدفاعي. لواء مشاة من قوات الجيش البريطاني بدء مهامه في عام ١٩٧٠ وكانت مهمته حماية الأرواح والممتلكات في أيرلندا الشمالية ضد الهجمات المسلحة وعمليات التخريب.

Twitter: @ketab_n

بحاجةٍ إلى التذكير بالإستخدام المستمر لتلك الكلماتِ خلال حفلات عهرهم التعذيبية.

أرى الآن أن مفردة «قوارض» ربما كانت مستخدمة من قبل السجانين أكثر من أي أحدٍ آخرٍ. في حالِ السجانِ العنصري لم تكن المفردة موجهة بهدف إهانة السجينِ (وهذا تماماً ما تفعلهُ، والعنبر هتش كان مليئاً بمثل هكذا ألفاظ بطبيعة الحال) لكن، كونك من الشرطة الملكية أو سجاناً، فإن علم النفس يبقى نفسه، وهو ترسيخُ اعتقادهم بأنهم أسمى من الفينينين الوضعاء. هذا ما يمليه عليهم تعصبهم وولائهم للسيطرة، لإذلالِ وترويع مواطني الدرجة الثانية وما إلى هنالك. لتصديقِ فداحة هذه الممارسة في العنبر هتش عليك أن تسمع وترى بنفسك. تقريباً يجعلكَ الأمرُ تفكرُ لماذا يبقوننا محبوسين وعراةً وقذرين في زنزانات قذرة ومكتظة بالأوبئةِ وتشبه الجحور الإسمنتية التي تفوح منها الروائح الكريهة، غير صالحة حتى للخنازير. إنها عقلية تجعل أمر تعذيبهم لنا أمراً في غايةِ السهولةِ، أو ذبحنا عندما تحينُ الفرصة. عقلية تشبه إلى حد كبيرٍ أولئك الذين نظموا وحافظوا على مخيمات التعذيب النازية والإبادة الجماعية بحق اليهود التي تبعت ذلكَ.

سيذهبون الليلة إلى زوجاتهم وعائلاتهم وسيتصرفون كبشرٍ متمدنين، تماماً كما فعل جزّارو «شانكيل» بعد حفلات عهرهم الدموية. قوادو التعذيب في الفرع الخاص وفرق الإجرام الأخرى سيحذون حذوهم. لكني سأستلقي هنا فحسب وسأتابع مقاومتي موقناً أنه لابد سيأتي يومنا ذاتَ يوم. بالرغم من كل تفوقهم فهم يعرفون ذلك أيضاً؛

Twitter: @ketab_n

ربما لهذا يجلسون دائماً يتخصرون مسدساتٍ مصيخين السمع إلى أي صوتٍ من العالم الآخر ومترقبين أي غريب. غداً يعودون إلى ذواتهم المتعنجهة.

أنا؟ سأبقى دائماً كما أنا، آيرلندي يقاتلُ من أجل حرية شعبي المقموع.

Twitter: @ketab_n

نَفَقُ الحَبْس

فتَّشَ ملابسي قطعةً قطعة،
وثبَّتَ عينهُ الشريرةَ،
فوقَ المؤنة التي تجرأتُ وأدخلتها معي إلى الحبسِ
والتقينا هنا ليتحدى أحدنا الآخر.
فتَّش شَعْري وملابسي الداخلية،
نِعَالي، أذنيَّ وكلَّ أفكاري،
كلُّ ما عثرَ عليهِ كانَ الإزدراءَ المحضَ،
الذي يسببه الحبس.

خشْخَشت الأصفادُ وفُتِحَتْ بدافعِ الكراهيةِ،
صرخَ متهكماً كمنْ يقولُ،
ستحملُ وزرَ ثلاثينَ عاماً،
عندما تعودُ من هنا،
بابُ النفقِ كما في السابقِ،
صرَّ فاتحاً في طريقي،
والرجالُ السعداءُ الذين عبروا هناكَ ذهاباً،

Twitter: @ketab_n

عادوا دون مجردِ ضحكةٍ واحدةٍ.

كانَ جدارُ النفقِ رطباً وكالحاً،
والهواءُ حاراً وثخيناً،
خَطَونا كمن يسيرُ في جنازةٍ،
تك، تك، تك.
هذا القطارُ الوحيدُ من الرجالِ الملعونينَ،
كانَ جادةً شيطانيةً،
إبليسُ بذاتِهِ اختبأ هنا وانتظرَ،
الأرواحَ التي ستعبرُ من هنا.
أشباحُ رجالٍ تاهتْ في هذا الدربِ الوحيدِ،
أجسادهم تستلقي في الجصِّ،
على رقابهم علامةُ أنشوطةِ الجلادِ،
لن يمحوها الزمنُ أبداً.
لم تبن على وجوههم سوى علامات الألم،
وقدْ عبروا من جدارٍ إلى جدار،
ولم نرى قطُّ وجوههم البشعةِ،
نسمعُ ندائهمُ المخيف.

كَنَسوا الأرضَ أمامَ أغلالي اللعينة،
شعرتُ ببردهم المرعب،

Twitter: @ketab_n

احضروا معهم الألمَ والموتَ،
في تمرينٍ يشبهُ بشاعةَ الموتِ.
لم يجرؤ السجانونَ من قبل أن يرفعوا عيونهم،
سمعتُ جلبةَ الجلادِ،
ضحكَ بصوتٍ عالٍ وطبعَ قبلةً،
على خدِّ الشيطان.

مشينا قربَ بابِ قاعةِ المحاكمةِ،
أرعدتْ الدنيا في خطْونا،
حتى الهواءُ كان مشحوناً بالتوجسِ،
كفيلاً بجعلِ جسدٍ يرتعدُ خوفاً.
جلسَ الخنزيرُ اللعينُ منتظراً،
لكني لم أكترث له قط،
فكرتُ، عليَّ أن أسيرَ عائداً،
عبر مغارةِ الألم تلك.

Twitter: @ketab_n

مكانٌ للراحة

بينما ينسلُّ النهارُ خارجاً تزحفُ ليلةُ أخرى إلى الداخل.
لا الوقتُ يتحركُ ولا حتى يموتُ.
في عينِ النهارِ تصدحُ القبَّرةُ،
في عتمةِ الليلِ يبكي الكروان.

ثمةَ مطرٌ على الريحِ، دموعُ الأرواحِ،
قعقعةُ المفتاحِ في الحديدِ تدنو،
يمرُّ قربنا قطارٌ يموجُ،
ثمة أشياءٌ أخرى يخشاها المرءُ غير الله.

حيثُ يطيرُ غرابُ المساءِ، تستلقي أفكاري،
وكسفنٍ عمياءَ في الليلِ تبحرُ،
كأن فكرةً دفعتها ـ الفكرةُ التي تفطرُ القلبَ ـ
عن أربعين إمرأةً في سجن «آراماه».

أتمنى لو كنتُ صحبتهن،

Twitter: @ketab_n

متحلقين حول نارِ حنونةٍ حيثُ تتراقصُ الجنياتُ خفيةً،
بعيداً عن عفاريتِ جهنم العنبرهتش،
التي تعذّبُ قلبي وتقضُّ مضاجعَ أحلامي.

فَرِحاً سأستلقي حيثُ ينبتُ الوزّالُ،
تحتَ الصخورِ حيثُ تزقزقُ عصافيرُ التفاح.
في هضبة مقبرة «كارنموني»،
لا أخافُ مما قد يأتي بهِ النهار!

Twitter: @ketab_n

الثائر

هناكَ وقَفَتْ إمرأةٌ جميلةٌ بفتسانها الأبيضِ الناصعِ،
يلمعُ جسدها الأخضرُ في مطرِ ليلةِ البارحةِ الفضيّ.
الجنيّاتُ مررنَ من هنا ورقصنَ ثم انسللنَ خارجاً
ليستمعنَ إلى المغني الذي يجعلُ الهضابَ تتراقصُ،

هناكَ أمَرَ بوضعِ أعلى غصنٍ على تلكَ الشجرةِ،
لتتمكن كل أيرلندا من سماعه ورؤيته.
بكت الجنياتُ لأن قلبهُ لايزالُ هناك
حيثُ السمْنة الكبيرة تغني لأرضٍ لم تزل محتلَّة.

لكن مَن منكم سمعَ قلب رفيقهِ الشجاعِ ينفطرُ، يتوسلُ،
ليحفظِ الربُ مليكَ الجنياتِ، يمرُّ بنا على حصانه البني الجامحِ.
وجلسَ الآغا المخيفُ على فعلةٍ شنيعةٍ،
ألحقَ جروحاً قاتلةً بالسمنةِ، أرضهُ لم تزل محتلَّة.

كيفَ تحول فستانُ تلكَ المرأةِ إلى اللونِ الأحمرِ حيثُ سقطَ

Twitter: @ketab_n

وبكت الجنياتُ قربَ صخرةٍ كلسيةٍ في الوادي:
قالتْ لي السنونوة البنية الصغيرة قرب قضبان زنزانتي
كيف دفَنت الجنياتُ ثائراً قربَ ياقوتيةِ الكرمِ الوحيدة.

Twitter: @ketab_n

الأزهار، يا أصدقائي، الأزهار

الأزهارُ فتياتٌ لطيفاتٌ. يفحنَ بجمالٍ يحبسُ الأنفاس وبشذىً يغري حتى العصافير. رباتُ حبٍ وسلامٍ، هُنَّ ساحراتُ الطبيعةِ.

ثمة سعادة في جوهرِ كل زهرةٍ وطراوة وجمال الحياة لأولئكَ الذين شحبتْ حيواتهم وأمستْ مملةً. الأزهارُ تغري النحلات وتستضيفُ اليعسوقات، شيطانات الألوانِ هنَّ. يتمايلنَ للنسيمِ، يرقصنَ للريحِ ويذرفنَ دمعهن الندي وهن يكحلن عيونهن بعظمةِ يومٍ جديدٍ. زهراتُ الربيعِ هن سعادةُ الفقيرِ. العناقيدُ الضئيلةُ، إنما الصلبةُ، الصفراءُ الفاتحةُ اللونِ التي تنبئُ بموتِ الشتاءِ، بولادةِ الربيعِ وبترقبِ الصيفِ. جوهراتُ الطبيعةِ هن أزهارُ الربيعِ هذه، مغروساتٍ على جنباتِ الحوافِ الطحلبيةِ والممراتِ المتعرجةِ. من الإجحافِ، أن يكون هناك ثمة مكان حُرمَ أن تتواجدَ فيهِ زهرةُ الفقراءِ.

ناعماتٌ ياقوتياتُ الكرمِ، أرواحٌ طويلةٌ ناحلةٌ. يذكرنني بشكلٍ أو بآخر بالناسِ المضطهدين، المفقورين، لأنهن يقفن بتواضعٍ كبيرٍ، رؤوسهن مطئطئة كي لا يجرحنَ مشاعر العليقِ القبيحِ والأعشابِ المشرئبة ـ طفيليات الطبيعة. مع هذا فإن هذه السيداتِ ذواتِ الألقِ الأهيَفِ، مثلهن مثل الفقراء، هُنَّ أغلى وأثمنِ الأزهارِ.

الأصفرُ والأبيضُ هما لوني الله والفصح. اللون الأصفر الهولندي

Twitter: @ketab_n

للنرجسِ هو لونٌ جميلٌ بشكلٍ آسرٍ. لكن الأزهار الصفراءَ والبيضاء اللونِ إنما ترسمُ نقاءَ الحريةِ وعطرهن قد استنشقه العبدُ فانتعشَ قلبهُ. تفتحن وأصبحنَ متمرداتٍ مجرماتٍ، تلك الزهراتِ الرقيقاتِ. قد نزفنَ بألمٍ يفطرُ القلبَ في حضرةِ الرياحِ العاتيةِ في أرضٍ غريبةٍ. إنهن «بيرس» و «كونولي»[1] هذهِ الجميلاتِ الرهيباتِ.

ربات، ملكات، ملائكة العظمة! هكذا تكونُ مدائحُ الأزهار. ملهمات الشاعرِ، قلبُ الفنانِ، وأسى الحب الذي ضاعَ.

لكن ليس ثمة من هو أكثر شجاعةً، ولا أكثر أسىً، من تلكَ الزهراتِ المقموعاتِ في سجنِ آراماه. النساءُ الآيرلنديات اللواتي، على نقيضِ أزهارِ الطبيعةِ، يأبينَ أن ينحنين في حضرةِ رياحِ التعذيبِ والمهانةِ الغريبةِ. لقد تشوه جمالُ الأمةِ بالألمِ والبغضاءِ، دُفِنَتْ في أوكارٍ مظلمةٍ، خُبِّئتْ بعيداً عن ضوءِ النهارِ الذي لا يمكن لزهرةٍ أن تعيشَ من دونهِ. يمكن سماعها تصرخُ من الألمِ المبرحِ الذي يفطرُ القلبَ. مع هذا فإن هذه الأزهارِ تأبى أن تُكْسَرَ!

بطلاتٌ، نجماتُ أمةٍ في الأصفادِ، إلهامٌ متقدٌ لكل العبيدِ المهانين المقموعين، روحُ آيرلندا العريقة والجمهورية الموعودة، هكذا تكونُ مدائحُ تلك الأزهار التي تجسدُ روحَ الأمومةِ الأيرلندية العصيةِ على القهر. خسيء الرجالُ الذين يجرؤون على وشم تلكَ النساءِ بالعارِ ولتتفتح أعشابُ لا مبالاتكم وأزهاركم النائمة في عارٍ أبدي.

---

(١) باترك بيرس و جيمس كونولي قائدان جمهوريان آيرلنديان ساهما في نزعة الإستقلال الشعبيةِ مطلع القرن التاسع عشر. م

Twitter: @ketab_n

لن نُخْدَعَ

«اللعنة بيضٌ مسلوق مقيت على الغداء اليوم»، يقولُ العاملُ. «تظنُ أنهم سيخجلون من إعطاء أي أحد شيئاً كهذا»

«معكَ كل الحق»، أقولُ، مصغياً إلى ركبتيهِ الواهنتين تطقطقانِ بيما يزرعُ المساحةَ الصغيرةَ مشياً جيئةً وذهاباً بين الجدارِ والبابِ.

«يوم طويل مقيت» يقولُ، محاولاً إمساكَ لمحة من ضوء الشمسِ فوقَ النافذة المغلقة بإحكام. «لابد أنه قد حان وقتُ الغداءِ»، أضافَ، بالعودةِ إلى فكرةِ البيضةِ المقيتةِ.

«مرت نصف ساعةٍ فقط على وقت الغداءِ»، أقولُ، ناظراً إلى وجبتي الغداءِ غير القابلتين للأكلِ وقد وضعتا فوقَ القمامةِ عندَ نهايةِ السريرِ.

«سماع»، قالَ العاملُ، استنفرتْ أذناهُ.

«هل هناكَ سجانٌ على البابِ؟» سألتُ.

«لا لا» يقولُ. «إنهم فقط أولئك الرجال في العمارات السكنية يعزفونَ طبول اللامبرغ الكبيرة مرة أخرى. تظنُ أنهم سيخجلون أيضاً ويريحوننا. سمعتُ أنهم مشغولونَ جداً مرة أخرى أيضاً»، يقولُ العاملُ وهو مايزالُ يمشي جيئةً وذهاباً

«ما هذا، يا رفيق؟» سألتُ.

Twitter: @ketab_n

«مجرمون طائفيون» يقولُ. «ألم تقعْ ثلاث أو أربع جرائم موخراً؟ كلهم كاثوليك».

«أنت تعلمُ من يقفُ وراءها أليس كذلك؟» أقولُ للعاملِ.

«طبعاً أعلمُ»، يقولُ، «البرتقاليون! وإن كانَ الأمرُ لي فسأضعُ حداً لذلكَ في الحالِ».

«حسناً، لا تكن واثقاً جداً من أن البرتقاليين قد قاموا بذلك»، أقولُ، للعاملِ.

«حسناً، ألم يكن واحداً منهم رهن التوقيف ثم وجهت إليه التهمة؟» يقولُ.

«رغم هذا لايمكنكَ أن تكونَ واثقاً»، أقولُ. «لأن الأمر هكذا كما ترى، لايدخر البريطانيون حيلةً ولا يناسبهم شيء آخر على الإطلاق في هذه اللحظة من حملة طائفية لعينة تستعر نارها، كما تعرف أنت نفسك يا رفيق، فالبريطانيون في وضعٍ سيءٍ للغايةِ الآن لأن الـIRA يلحقون بهم عدة قتلى وضحايا، مثبطين معنوياتهم ومنتصرين عليهم. علاوة على هذا فإن الناس قد ضاقت ذرعاً بالبريطانيين، حتى أن هذا بدأ يظهر من جهة الموالين، سياسيوهم لا يفتأون يتشدقون ويتوعدون وبينما البريطاني لا يستطيعُ حتى أن يتقدم بمبادرةٍ بسبب الحربِ. لا يحملُ المستقبلُ أي أمل بإصلاح سياسي في الشمال وحسب ما يبدو فليس للبريطانين ولو مجرد فرصة صغيرة بالإحتفاظ مطلقاً بأي نوع من أنواع الإستقرار السياسي. لزيادةِ الطينِ بلةً، فإن الحزامَ الناقلَ في العنبر هتش، عمليات التعذيب في كاسلري وما شابهها، التعذيب الجماعي في السجون وفي العنبر هتش، وفي الواقع كل سياستهم الدموية التعذيبية الإجرامية/ الأولسترية قد أنفجرتْ في وجوههم. لذلك يا صاح، فإن أفضل طريقة

Twitter: @ketab_n

أمامهم لمحاولة الخروج من هذه الورطة هي تشتيت أذهان الناس بعيداً عن كل ما قلتُ والبريطانيون يعرفون أن لا طريقة أفضل لفعل هذا إلا من خلال حملة إجرام طائفية، متأملين أن IRA سيردون عليها ويجعلون الأمور أكثر سوءاً».

«لكننا أكثر دهاءً من أن نقوم بذلك»، يقولُ العنصر، متداركاً فجأةً.

«سن سيارت»، (عن الغيلية وتعني هذا صحيح ـ م) أقولُ، «ولا تنسَ أنه من الممكن أن يكون رجال SAS (قوات جوية بريطانية خاصة ـ م) أو أي عنصر من عناصر الإجرام البريطانية هم من يقوم بأعمال التخريب، Peelers (اسم تقليدي لكل عناصر الشرطة البريطانية وخصوصاً المحافظين والأسم مشتق من روبرت بيلر مؤسس القوة ١٧٨٨ ـ ١٨٥٠ ـ م). البرتقاليون، أو شخص ما من مناطقنا نحنُ، لهذا السبب على الناس أن يحذروا مثل هذا الشيء، لأن البريطاني متأهب لخلط الأوراق، لإحباط و إغضاب الناس ليقوموا بردة فعل دون أن يفكروا بالمجرمين الطائفين، وبهذا يشتتون الجميعَ ويعزلونهم عن الجهدِ الحربي. البريطانيون، وهم بالفعل يدعمون العصابات المجرمة بغض النظرِ عمن يكونون، سوف يغضون النظر عنهم كما فعلوا في الماضي، ليحموهم ويروجوا لهم ليكونوا قواتهم الإجرامية الخاصة، البرتقاليون أو أي أحد قد اشتروه، قاموا برشوته، اشتروه أو استغلوه».

«أفهم عليكَ يا صديقي»، يقولُ العنصرُ، «و قد يحاولون أيضاً أن يخدعوا قوات الـ IRSP أو القوات المظلية لتسقط في نفس الفخِّ أو ليقوموا بقلب كل شي رأساً على عقب، وذلك بالقيام بفعلتهم في مناطق الموالين، يقتلونهم لإستفزازهم».

«معكَ حق، يا رفيق»، أقولُ، «وهذه هي الحيلة التي استخدموها

Twitter: @ketab_n

لمئات السنين، فرّق تسد كما يقالُ، بالإضافةِ طبعاً إلى تحويل أنظار الناس عن القضية الأساسيةِ، إنهم، البريطانيون، وجودهم واحتلالهم لأيرلندا».

«لهذا علينا نحن وشعبنا ألا نسمح لأنفسنا أن ننخدع وتتحول أنظارنا عن القضية الأساسيةِ وألا تنطلي علينا حيلةُ الحربِ الأهليةِ البريطانيةِ»، يقولُ العنصرُ.

«معكَ حق، يا رفيق»، أقولُ، وأنظرُ إليهِ وهو ينظرُ عبرَ النافذةِ السوداءِ.

«مَنْ!» أقولُ.

«Lambeg Drums?» يقولُ العنصرُ.

«البيضُ الكريهُ!» أقولُ.

«العشاء جاهز».

«لا لا» يقولُ، «كل شيء إلا البيض الكريه».

١

Twitter: @ketab_n

رفاقٌ في العتمة

هاقد سطعتْ شمسٌ ذهبيةٌ خلابةٌ،
عبر السموات الحالكة،
أيقظتْ السيد من حلمهِ،
وهي تسقطُ فوقَ عينيهِ.
أنارتْ دروبَ الحريةِ،
أطلقتْ في الهواءِ القبرةَ الصادحة،
وحملتْ تويجاً باكياً،
إلى الأزهارِ التي في العتمة.

أزهَروا في معابرِ الريفِ والمدائنِ،
وعطرهم كان عطر الحرية
بثّوا الأملَ في القلوبِ المتوجسةِ،
في العصيبِ من الأيامِ.
ازدادوا قوةً ووسامةً،
خاضوا الأقدارَ الباردةَ والموحشة،
أبهى الأزهار إطلاقاً،

Twitter: @ketab_n

هذه الورود في العتمةِ.

ثم هبَّت رياحُ الحربِ العاتية،
لكن الوردة لم تبكِ،
لو تدرون كيفَ انفطرَ قلبُ الرجلِ الحرّ
عندما رآى أول وردةٍ تموتُ.
اقتلعَ بعضُ الجنودِ زهوَ الحديقةِ،
وخلّفوا ورائهم علامةً حارقةً،
على زهرةِ البتلاتِ الفضيةِ اللونِ،
التي ترزحُ الآنَ في العتمة مغلولةً بالأصفاد.

تبكي هذه الأزهارُ في الزنزاناتِ الباردةِ والرطبةِ
لا شمسَ تنيرُ الكآبة،
يعانون أفظعَ ضروبِ الإحتقارِ
ليضمحلُّوا وهم في عزِّ الإزدهارِ.
لكن هذه الأشياء الجميلة لا تستسلمُ،
قُمْ واستمع إلى نشيدِ حريتهم
هم نورُ الفقراء الهادي
هذه الأزهار التي في العتمة.

لا نكترثُ إن متنا نحنُ الأحرارُ،

Twitter: @ketab_n

من أجل أن نرى زهرةَ الحديقةِ،
ومن أجل أن ترفعَ ياقوتيات الكرمِ البسيطة رؤوسها،
لتبسقَ شامخةً.
أحبسُ دمعةً في قلبي،
نجّي يا يوحنا المعمدان
كل زهرةٍ من هذهِ الزهورِ القِدْسية،
التي تقبعُ الآنَ في عتمةِ أقبيةِ السجون.

Twitter: @ketab_n

ثلاثيَّة

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

١

مَقتلة «كاسلري»

على جدارِ الزنزانةِ الأبيضِ
حفرتُ اسمي،
«من هنا مرَّ بوبي ساندز»، كتبتُ ذلك بدافعِ الخوفِ وليس للشهرةِ،
كتبتُ بخطٍّ رديءٍ للغاية.
كتبتُ تلكَ العبارةِ في القسمِ السفلي من الجدارِ حيثُ لا تراها العيون
كتبتها لأشهدَ،
أني كنتُ بكاملِ وعيي وأن لا ذَنْبَ لي
إن أتيتُ إلى هنا لأموت.

سمعتُ ذلكَ الخطوَ اللعين
لرئيس النَظَارةِ يبدأ ورديتهُ.
فكّرتُ للحظةِ، قد يذهبُ كل عنائي
إن ثبَّتني فوقَ الأرضِ.

Twitter: @ketab_n

فضحتني عيناي الراقصتينِ
قفزتا من مكانهما كألسنةِ اللهبِ،
عندما تجرأتُ يا يسوع وحدَّقتُ
في عيني الموتِ المسمى «ماغواير»[1].

شحبتُ حتى الموتِ من الخوفِ
وقفتُ كعصفورٍ يرتجفُ،
وشعرتُ بتلكَ النظرة، نظرة رئيسِ النظارةِ
عندما أنسلُّ قربي.
لكنَّ فكرةً واحدةً تبقى في البالِ
غائرةً في العمقِ، يا صديقي
هي أنَّ اسمَ المرءِ وألمهُ الرهيبِ
وراءَ حتفهِ هذا.

بَزَغَ الضوءُ فالدنيا الآنَ نهارٌ فالدنيا الآنَ ليلٌ
لكن من يكترثْ لهذا في الجحيمِ،
فكلُّ ما يفكرُ بهِ المرءُ هنا
هو كيفَ سيخرجُ من الزنزانةِ.
فلا أحد منا يعرفُ متى أو أينَ
يناديهِ الموتُ

Twitter: @ketab_n

على وقعِ أقدام السجانينَ المريبةِ.

كانتْ أرضُ الزنزانةِ باردةً على باطنِ القدمِ
والأحذيةُ ممنوعةً،
لأنَّ أربطتها قد تستَخدمُ
لصنعِ حبلِ مشنقةٍ.
لأنَّ المساجينَ تحتَ التعذيبِ يبحثونَ عن موتٍ سريعٍ
ويعرفُ السجّانونَ هذا أيضاً،
لأنَّ السجانينَ الأجلافَ لا يتكلّمون فيضطرُ المساجين
أنْ يسيروا فوقَ أرضِ الزنزانةِ حفاة.

سمعتُ الأهاتِ وحشرجاتِ الموتِ
تلكَ التي أتتْ من زنزانةِ أحدهم.
وعرفتُ أنَّ صديقي المسكينَ ذاكَ
كانَ لديهُ ما يقولهُ.
سمعتهُ يذهبُ منذ بعضِ الوقتِ
كانَ خفيفَ الخطواتِ عندما ذهبَ،
لكنهُ عادَ حُطاماً
أو كشخصٍ خسرَ معركة.

Twitter: @ketab_n

كلنا أصغينا باستثناء الخسيسِ
الذي تقلَّبَ في فراشهِ،
فألآمُ رفاقهِ السجناء
لا تحركُ فيهِ ساكناً.
أهاتُ هذا الرجل ثقبتْ آذاننا ودبَّت الخوفَ فينا
جعلتنا كلنا نعتصرُ ألماً
لأن كل ما أحسسنا به كان ذلك الألم في عظامه.

على نارٍ هادئةٍ تقلَّبتُ كفأرٍ يشعرُ بالسُكْرِ من شدةِ الخوفِ
في قدورِ التخميرِ.
متى يأتونَ؟ من سيكونُ الضحيةَ التاليةِ؟
يدنوا الوقت.
قلقتُ وهرولتُ هلعاً
كالأعمى في قلبِ العاصفةِ،
بلا هدى مشيتُ خلفَ
بوقِ الرعبِ المُجَلْجِل.

بَزَغَ الضوءُ فالدنيا الآنَ نهارٌ فالدنيا الآنَ ليلٌ
أو كانَ ليلاً فصارَ نهاراً.
لأربعينَ ساعة، تعرّقتُ بشكلٍ مهولٍ
في شجارٍ مريعٍ تماماً.

Twitter: @ketab_n

أضنتني لعبةُ الإنتظارِ هذهِ
ورغمَ أني أعرفُ هذه الحيلةِ،
فإن ذلكَ لم يُخفِّف عنّي
بل زادَ من دماري.

انقلبتْ معدتي، طَحَنتْ وطحنتْ
دارتْ بسرعةٍ بسببِ الفزعِ المدوِّمِ.
في أوقات الأسى العصيبةِ كهذهِ
خَرَّ رجالٌ على ركبهم وصلّوا.
في أوقات الجبنِ كهذهِ
حنثَ رجالٌ بوعودهم،
وباحوا بكلِّ ما في جعبتهم وهم يصرخونَ بجبنٍ
ليبرؤا ضمائرهم من شناعةِ هذه المقتلة.

خَفَتَ صوتُ الأنينِ، نحنُ المعذَّبين تنفسنا الصعداء
وأطبقَ الصمتُ علينا مجدداً.
وعلى هذا النحوِ، عُقِدَ حبلُ المشنقةِ
ليخنقَ حتى هذا الدماغْ.
الكآبةُ، يا صديقي، انداحتْ كالموجِ
في كل زنزانةٍ،
أتتْ خِلْسةً وعضّتْ الدماغَ

Twitter: @ketab_n

كالصدمةِ من القذيفة.

عازماً على المضي
قاتلتُ بكلِّ ما أملكُ.
قيلَ لي بكلِّ قبحٍ،
«استسلمْ واذهبْ إلى الحبسِ.
وستودع قضبانَ السجنِ خلالَ ساعاتٍ
لو فقط توقَّعُ لنا هنا.
أو تقدم تنازلاً بسيطاً
بغضِ النظرِ عمن كانَ السبب».

سمعتُ قعقعةَ الحديدِ،
إنهُ رئيسُ النظارةِ.
أصدرَ صريراً وجلبَةً، تلصَّصَ على أطرافِ أصابعهِ
بحذاءٍ لا بأسَ بهِ.
لم ينبسْ ببنتِ شفة ولم يهتزّ
الصمتُ نفسهُ خَشَع مهابةً.
شاهَدَنا نرتعشُ، شاهَدَنا نهتزُّ
وقالَ لرفاقهِ عن كلِّ ما رآه.

غادرَ فجلستُ

Twitter: @ketab_n

على السريرِ الضخمِ.
وكميةُ الهواءِ القليلةِ المتبقيةِ
مرَّتْ فوقَ الرؤوسِ
مرَّت عبر ثقوبِ التهويةِ الصغيرةِ
وبالكادِ ملأت الرئتين،
فما كانَ منا إلا أنْ أكلنا فتاتَ الغبارِ المتسخِ
واختنقنا بألسنتنا.

لم نستطعْ أن ننامَ
بسببِ طقطقةِ فتحةِ التهويةِ.
شُوِيَتْ أجسادنا فوقَ ملاءاتِ القشِّ
شويتْ من تعرُّقِ السجناءِ.
لم يرحمنا ضوءُ النهارِ المبهرِ
ومزَّق عيوننا،
وتركَ ألماً للتوِّ
يفجِّرُ الرؤوسَ.

جدرانٌ بيض! جدرانٌ بيض! خربشاتٌ معذَّبةٌ،
لا فسحةً لنافذةٍ.
يُجَّنُ المرءُ
في هذا المكانِ الخانقِ.

Twitter: @ketab_n

التكرارُ رهيبٌ
يحزُّ العقلَ بسكين،
ليسَ أمامَ السجناءِ إلا أن يقنطوا ويسلّموا
بأي تهمةٍ.

بقي واحدٌ من ثمانِ سجناء لم يُهْزَموا بعد
ولن يهزموا.
قمتُ مثقلاً بالكآبةِ فمن يستطيعُ أن يرتاحَ
ولديه كل هذا العذاب ليتعايشَ معهُ.
تهادتْ أفكاري من جدارٍ إلى جدار
خلفَ يقظتي المترنحة،
صرخوا دونَ هوادةٍ
«كم بمقدوركم أن تحتملوا بعدُ؟»

كم! كم!
سيعتصرُ الألمُ روحكَ.
وما تظن أنه لن يقعَ
قد يقع ويكويكَ بنارهِ.
هي، أنتَ أو هو ليسَ لكم ذَنْبٌ
لأنهم سيحمّلونكم واحداً بالمجّانِ
وإن خنعتم فلا بدَّ

Twitter: @ketab_n

سيحملونكم ذنباً ثانياً وثالثاً.

الأنينُ والصراخُ جمَّدا عظامنا
سمعتُ سجيناً أخرا يصلي.
إنهُ نفسُ السجينِ مجدداً، قلتُ يملؤني العارُ
«هاهو الفتى المسكينُ في طريقهِ».
حتى الهواءُ صرخَ من شدةِ القنوطِ
محاطاً بخوفٍ محضٍ،
نَقْرٌ خفيفٌ على البابِ:
رجالُ التعذيبِ هنا.

فتحَ التوترُ فكيهِ المتوحشين
أطبقَ على حنجرتي.
فقدتُ كلَّ أحاسيسي
صرتُ المركبَ في مهبِّ العواصفِ.
وغرقتْ في لجَّةِ البحرِ أفكاري
وماتتْ من شدةِ الخوفِ.
ثم أتى الموجُ وبددَ شكوكي
بما هو آت.

حَضَرتْ هدئةُ الموتِ

Twitter: @ketab_n

لأن أيٍّ منا لم يعرف قَدَرهُ.
وكلنا حبسنا أنفاسنا شاحبينَ كالموتى
وقد نادانا العذابُ،
فتسمَّرنا في أماكننا رعباً
وكنتُ أنا أرتعدُ دونَ خجل.
جرحٌ غاضبٌ شقَّ عنانَ الزنزانةِ
إنهُ الخوفُ من الخوفِ وقد اشتعل.

خطواتهم الثقيلةُ مَخَرتْ
عبابَ الخوفِ.
تجرأتُ واسترقتُ نظرةً وهم يعبرونَ
كالصيادين في إثرِ الغزلانِ.
ثم كالطائرِ أتى النداءُ
هاقد عثروا على فريستهم المرتعدةِ الفرائص،
ولم نعرف مصير من سيحين
وهم يسوقونهُ بعيداً.

عدةُ ساعاتٍ مضتْ قبلَ أن يطالبَ أحدنا
برؤيةِ السجَّانِ العفريتِ.
الصوتُ المتهدجُ قررَ أخيراً
أن ينطلقَ.

Twitter: @ketab_n

بوضاعةِ الخسيسِ طلبَ إذناً
وحوله كانت تنصبُّ اللعناتُ.
قلتُ متأوهاً، وهو يعبرُ أمامي،
ذلكَ الوغدُ لنْ يعود.

قَدْ يمضي السجينُ يومهُ
ساهماً في إحلامهِ المتفائلة.
لكن بشكلٍ يومي في «كاسيلري»
أن تفكر يعني أن تحارب.
والرجالُ الغارقون يتعلقون بسرعةٍ، يا صديقي
بأي بارقةٍ لفكرةٍ.
ابتسامةٌ أو صوت طفلٍ عذبٍ
قواربُ نجاةٍ هنا.

من زنزانةٍ إلى أخرى تحرَّكوا كالشياطين
يرمونَ فتاتَ الطعامِ إلى المتضورينَ جوعاً.
يراعونَ القوانين، يوزعون أدواتَ الطعامِ البلاستيكيةِ
كي لا يحزَّ المساجينُ معاصمهم.
في الأطباقِ الكرتونيةِ القذرةِ
يضعون في يدكَ الطعامَ.
لكن من يأكلُ حلوى هؤلاءِ الشياطين

Twitter: @ketab_n

مَن حقاً يكترث؟

راقبوكَ أيضاً، حتى وأنتَ في المرحاضِ،
وقفوا بينما أنتَ تجلسُ.
لكن عليكَ أن تتابعَ،
ولهذا تديرُ رأسكَ إلى الوراءِ.
وهم لا ينظرونَ إلى القذارةِ،
ولا يغسلون مؤخراتهم.
أي صنفٍ من الرجالِ، يا صديقي
هؤلاء الذي يسيرون على خطى الشيطان.

كما في السابقِ تألمَ لمرتين اثنتينِ، ثم لمرةٍ ثالثةٍ
وجلجلَ الصوتُ.
حثثتُ خطاي
حتى أوشكتُ أن أركضَ.
صلّى رفيقي في الزنزانةِ المجاورةِ وخبيء ضوءٌ
أتى رئيسُ النظارة ليسترقَ النظرَ.
انتابتني رعشةُ خوفٍ،
حلّتْ كريحٍ حول قدميَّ.

هذا الحصنُ، دارةُ الجحيمِ هذه،

Twitter: @ketab_n

تعبدها القوانينُ.
مبنيةٌ على صخرةِ الآثامِ
من كرهٍ وبغضاء.
في قلبِ كل حجرٍ فيها حيلةٌ سوداءُ
كل بابٍ من أبوابها يُفْتَحُ على الشقاء.
هنا حظيرةُ الشرّ، هنا وكرُ الشيطانِ،
وقلعةُ العارْ.

رجالاتُ الأدبِ باعوا ذممهم،
أصبحوا يحلمونَ داخلَ أحلامهم.
بيعَ سحرهم بسعرِ الذهبِ
وكانَ الناس حولهم يصرخون.
رسموا القمرَ وسجّلوا لحظاتِ الإزدهارِ
بطرقٍ عبقريةٍ، كما يقولونَ.
لكنهم لم يرسموا قطَ عذابات سجينٍ واحدٍ فقط
يتلوى ألماً في سجنِ كاسيلري.

كلامُ الشعراءِ حلوٌ كالعصافيرِ،
حكاياتهم ونثرهم رومانسي.
يتغزلون بنجومِ السماءِ وبالحبِّ العذبِ
وبالنسيمِ العَطِرِ الذي يهبُّ في الهواءِ.

Twitter: @ketab_n

لكنهم لا يكتبونَ مجرد كلمةٍ واحدةٍ
عن الجمالِ المعذَّب حتى الموتِ هنا.
لا استغربُ لماذا يكذبونَ،
فلطالما كانَ الشعراءُ هكذا.

وأين هم أولئكَ أصحابُ النثرِ المقدَّسِ
الذي حصدوا الشهرةَ الفارغة؟
يركعون ويبتهلون، أو هكذا يقولون،
ويلعبون لعبتهم الوضيعة.
الحبُ والسياسة لم يجتمعا يوماً قط،
وهذا ما يعرفهُ كل المقهورين.
لهذا اركعْ، أيها المعذَبُ المهانُ
واحمل بؤسكَ صليباً.

خففتُ من سرعتي، فسباقُ الرعبِ هذا
لم يكن لي لأربحهُ قط.
حتى صريرُ سريرٍ كفيلٌ
بإشعالِ كل ضروبِ التوترِ المخيفةِ.
كان ذلك في التاسعةِ إلا عشرِ دقائق
عندما سمعتُ رئيسَ النظارة.
لكن هل كانت الدنيا نهاراً أم كانت ليلاً

Twitter: @ketab_n

لا أعرفُ، لا أعرف.

بعضنا تنالُ منهم الأفكارُ السوداءُ
تفطرُ قلوبهم.
تأكلُ عقولهم كما يفعلُ الجيرُ المشتعلُ
وتمزِّقُ قلوبهم.
تحيِّرُ عقولَ الرجالِ و تكمُّ أفواههم
وتتركهم في أسى.
إنهُ ذلكَ العفريت الذي يسألُ خلسةً،
«قل لي فحسب كيفَ ألقوا عليكَ القبض؟»

مزَّقتُ بنطالي مرتين اثنتين
وخبأتُ في عرواتِهِ أعوادَ ثقاب.
على السجناءِ أن يستنجدوا بأي حيلةٍ كانت
وأن يستغلوا كل الفرصِ.
إنْ حالفَ الحظُ أحدهم فحتى السيجارةُ الرديئةُ
قد تهدأُ الأعصابَ أكثرَ مما تتخيلون.
ذلكَ لأن لا قيمةَ لطعمِ التمدُّنِ
عندما تكون في جهنم، يا صديقي.

.

عادَ رئيسُ النظارةِ للتفتيشِ مجدداً،

Twitter: @ketab_n

جمَّدني صوتُ المفتاحِ.
كدقاتِ الساعةِ، توقفتُ مصدوماً
فقد حانت ساعتي.
ولا سمحَ اللهُ، لكنهُ طارَ بالفعلِ،
كما يطيرُ الشحرور الصيّاحُ،
فوقَ أرضِ الزنزانةِ، عبرَ الباب المواربِ
عواءُ رئيسِ النظارةِ وقال، «مقابلة!»

الكلمةُ المشؤمة، كعصفورٍ في الأسرِ،
انطلقتْ تولولُ فوقَ رأسي.
صرختْ وصرختْ يا إلهي حتى بدتْ
كأنها تنادي على الموتى.
نَظَرَتْ إلي دونما حسدٍ.
قالَ، «يريدونكَ، يا صديقي».
نظرتُ أليه نظرةَ المذنبِ،
ذاهباً ليلاقي حتفه.

وقَّعَ رئيسُ النظارةِ ووضعَ خطاً تحتَ اسمي
في سجلِّ قيدِ السجنِ.
لكنه لم يوقِّع على وقتِ المغادرةِ،
هذا الحقير، الشرير.

Twitter: @ketab_n

خَفَقَ بالقربِ مني كمرافقِ الشيطانِ
في دفةِ الشنقِ.
وحدَّق بي في فضولٍ
كأنه يحدقُ بشخصٍ لن يعود.

شعرتُ بلسعةِ بردِ الليلِ
وبالوعيدِ الذي في الهواء.
قمرٌ أصفرٌ كعينِ القَدَر
أطبقَ على عنقي.
هبطتُ اثني عشر درجةً فولاذيةً إلى أغوارِ السجنِ
حيثُ تترنحُ الأجسادُ.
استبدلوني سريعاً بشخصٍ آخر، كأنما كانوا يهرِّبون قطرةَ ماءٍ،
وها أنذا في ضيافتهم.

صورةٌ ظليةٌ لمكانٍ موحشٍ
فشتْ كلَّ الأسرارِ بهمسات،
«على صديقنا هذا أن يقومَ بتفتيشكَ
قبلَ أن يكسرَ عظامكَ».
من أمامي ومن خلفي انطلقتْ ضحكةٌ
جرَّفت اللحمَ عن عمودي الفقري.
وقالَ صوتٌ، «ليس لكَ خيارٌ،

Twitter: @ketab_n

لأنكَ، بعونِ اللهِ، ستوقِّعُ تنازلاً».

رأيتهُ يأتي، بدا كأنهُ قد انهى مهمتهُ،
عيناهُ محمرتانِ ومتورمتانِ
وعرفتُ أن صديقي المسحوق هذا
قد انتزعوا منهُ الأسرار.
نظرتُ إلى عينهِ، عندما عبرَ أمامي،
إلى هيئتهِ التي دمَّرها الرعبُ
فتِّش في الهواءِ فلن تجدَ فيهِ شيئاً يشبهُ
رجلاً أعمى في قلبِ العاصفة.

وقفَ الطبيبُ بعيداً بغرورٍ
من الصعبِ أن يخفي المرءُ قرفهُ.
قالَ «حسناً»، بلهجةٍ رسميةٍ،
«اخلعْ ملابسكَ، حتى الخصرِ».
توقَّفَ وحدَّقَ بي هنا وهناكَ
وأجالَ نظرهُ فوقَ جسدي على هواه،
ثم رمقني بكرهٍ
كأني قد عضضتهُ.

حملقَ بي بضغينةٍ،

Twitter: @ketab_n

سألني إن كنتُ مريضاً.
حرَّكتُ رأسي نافياً، فإزدرائي له،
لا يمكن شفاؤه بحبةِ دواء.
صحتُ كالخنزيرِ المساقِ إلى الذبحِ
عندما قالَ «أنتَ رشيقٌ».
خذوه إلى الأسفلِ، إنهُ جيدٌ وقوي،
وقوموا بشيِّهِ على السيخ.

قادوني في سردابٍ
تقبعُ فيهِ الشياطين.
الهواءُ يثقلهُ الأسى
هنا يرزحُ القدرُ اللعينُ.
هنا يشعرُ المرءُ بالعذابِ ينسلُّ
بهدوءٍ فوقَ جلده،
نظروا إليَّ بترقبٍ
ولكل منهم نظرتهُ الحانقة.

توقفنا بشكلٍ اضطراري
تسببنا بتصادم دفعيتن من السجناء.
بدوا حائرينَ كقطاراتٍ توقفتْ فوق سككها
لأن السردابَ لم يكن عريضاً.

Twitter: @ketab_n

تهادوا إلى الخلفِ، ثم هجموا
تهادوا وشعروا بالعارِ
لأن لا أحد منهم عرفَ كيفَ يتصرفُ
ولهذا جربوا الإنقضاضَ علينا مرةً أخرى.

قادوها أمامنا، مرفوعةَ الرأسِ
ووجوهم منكّسة.
بدا لي جلياً
أنهم قد أتوا ليزرعوا الرعبَ.
نَظَرتْ لي بعزمٍ وتصميمٍ
عبر فتحةِ القدرِ،
وابتسمتْ بشفقةٍ
كالوردةِ التي تفتّحتْ في الشتاء.

أفاقتْ وفي صحوتها تركتْ غصةً
شلّعت قلبي.
لو عرفَ السجناءُ ما مرّت بهِ
لمزّقوا أرواحهم أشلاءً.
«ادخلي هنا» قالَ بحركةٍ من رأسهِ،
أوْصِدَ البابُ كما لو كان كهفاً.
وقفتُ كمن يقفُ أمام فوهةِ مسدسٍ

Twitter: @ketab_n

قدمٌ في الأمامِ وأخرى في القبر.

وقفا معاً، وقفةً غريبةً،
تمحّصا بي من رأسي حتى أخمص قدميَّ،
وقفا بشكلٍ متراخٍ، أياديهم في جيوبهم،
تعابيرُ وجهيهما مدروستانِ بعنايةٍ.
لكنهما كانا مختلفين كاختلاف النهارِ عن الليلِ
هذا الثنائي الرهيب.
كانَ لهما عيونٌ كعيونِ البازِ وهما يراقبان كل الأحاديثِ
بينما كنتُ أنا مصاباً بمرضِ آداب السلوك.

كان لهم طرقهم في جعلكَ تصرخُ
وترضخُ لنزواتهم.
بعضنا يأنُّ ويرتعدُ قبلَ أن ينكسر
لمجردِ خوفهم على أضلاعهم،
ثم يتساقطونَ كالأوراقِ عن شجرِ الخريفِ
قبلَ أن يَضْرِبَ الفأسُ.
بسبب الخوفِ البالغِ يستسلمُ السجناءُ
إلى الشنق.

لديهم أساليبهم وطرقهم

Twitter: @ketab_n

لحلِّ عقدةِ لسانكَ.
يستخدمُ بعضهم عسلَ الكلام حتى لتخالَ أن مأثرتهم
هي المتعةُ بحد ذاتها.
لكنكَ سرعانَ ما تدركُ وتتوقُ
لأمانِ الزنزانةِ،
لأن ما اعتقدتهُ كفَّارةً
إنما هو ليس إلا بوابات الجحيم.

من يومِ إلى يوم في «كاسلري»
تمضي الساعاتُ كأنها سنواتٌ،
وبينما يعبرُ السجّانونَ جيئاً وذهاباً
ليبعثوا مخاوفك.
بعضهم يضعُ أقنعةً ليقوموا بأفعالهم الشنيعة
ليخفوا بغضهم الأسود.
ولكن ماذا يخفي القناعُ الأسود، أتجرأُ وأتسائلُ،
من وجهِ الشيطان؟

«القانون على صواب»، يستشهدُ القاضي،
«على الجميعِ أن ينصاعوا.
الجريمةُ جريمةٌ حسب ما أفهمُ
اينما أرْتُكِبَتْ».

Twitter: @ketab_n

أولادُ القحبةِ المنافقون، الطفيليونَ
يصرخون، «اسرعوا!»
لكنهم سيصرخون كأرواحِ معذبةٍ في الجحيمِ
لو يزجُّ بهم في «كاسلري».

لا يشاهدونَ تحوَّل الدقائقِ
إلى دهورٍ،
يرتلونَ الصلواتِ ويبكون بفظاعةٍ
وهم راكعون.
ليس كل صوتٍ دليلُ خوفٍ
وليست كل طقطقةٍ خطوةُ الشيطانِ.
إنما كل خاطرةٍ هي معركةٌ تُخاضُ
وأرضُ المعركةِ رأسٌ يتألم.

ولا حتى يتململونَ في مطارحهم
كغيومِ البؤس ينسلّونَ،
لا يرمقون جبلَ آثامهم
ذلكَ الذي يحدق بهم كالخطيئةِ.
لا يتألمون ولا ينتحبونَ
في جحورٍ صغيرةٍ منعزلةٍ،
لأنهم يضطجعونَ على سريرِ العارِ

Twitter: @ketab_n

فوقَ جراحِ الآخرينَ النازفةِ.

بشدةٍ وباستخدامِ الزيتِ المغلي
عذَّب ذاتَ مرةٍ رجالٌ رجالاً آخرين،
على لوحِ مروِّعٍ كسروا ظهركَ
حتى كسروا إرادتكَ، يا صديقي.
لكن في يومنا هذا هنا في «كاسلري»
يقومُ الشرطةُ بعملهم بعنايةٍ.
يرسمونَ خطاً، ثم يدوسونَ عمودكَ الفقري
حتى توقِّع، عن طريقِ الخطأ.

الآن سيقول بعضهم كلاماً عذباً
إنهم لا يريدون إيذاءكَ،
يحاولون استمالتكَ، يحاولونَ خداعكَ
يقتلونكَ بسحرهم.
يعطونكَ سجائر، يقولون لكَ نكاتاً
يحاولون تحييد كل مخاوفكَ،
ثم يرجونكَ أن توقع فوقَ ذلكَ السطرِ المشؤومِ
ليكونَ حكمكَ ثلاثينَ عاماً.

يغدقون عليكَ المديحَ ويحطمونكَ

Twitter: @ketab_n

بالإبتساماتِ والبهجة،
سيطلقون سراحكَ ساعةَ تشاءُ
على أن توقع فحسب.
يزحفونَ على ركبهم نحوك وينشدون لكَ
أعذب ألحانِ القيثارة،
لكن ثمة لصّ يتلطى
لحنهُ لحنُ الخطيئة.

بعضهم يحملُ وشم جريمة «قابيل»،
هؤلاء رجالُ القدر.
رجالُ التعذيبِ الذين لا يتورعونَ عن فعلِ أي شيء
ليثبتوكَ في الزنزانةِ.
بوحشيةٍ يلجؤونَ
لكل أصنافِ التعذيب الجهنمي،
لأنهم يعتبرونه نجاحاً
إن حصلوا على شيءٍ منكَ تحتَ التعذيب.

كورقةِ خريفِ متعبةٍ أو كشريحةِ لحمٍ
يعلقونكَ من كعبيك،
ثم تعتصرُ رئتيك من اللكمات
ليمعنوا في تعذيبِ هذه الأرواحِ التي تأنُّ.

Twitter: @ketab_n

تتكدَّمُ العظامُ من وقعِ الأحذيةِ
ليحلوا عقدةَ لسانكَ،
علَّ السجناءَ يعترفونَ بالقليلِ
بينما هم لم يرتكبوا أي ذنب.

يحزُّونَ عنقكَ بسكين، ثم يدوسونَ ظهركَ
وقد أبعدوا ساقيكَ حتى بدوتَ كجلدِ الحيوانِ المسلوخِ.
وعندما يصلون إلى أعضاءكَ التناسلية
تشعرُ بكل وسائلهم المقرفة.
يعصرونها دون رحمةٍ
حتى تصرخ متمنياً العودةَ إلى الرحمِ
الذي حمَلَكَ إلى هذهِ الأرضِ المجرمةِ
وإلى عذاباتِ تلك الزنزانة.

البعضُ يهدد بالوعيدِ كي يستجرَّ منكَ الندمَ
بعضهم يلجأُ إلى الرشاوى،
في «كاسلري» يدفعون بسخاءٍ
ليحصلوا على سرٍّ واحدٍ من أسرارك.
بعضُ المساكينِ يرمونَ نيرهم
ليهمسوا بما يعرفون،
ومقابل سعرِ الذهبِ يبيعون أرواحهم

Twitter: @ketab_n

أجل بعضُ الرجالِ تصلُ بهم الوضاعةُ إلى هنا.

أتوا بكثرتهم، ليقوموا بنفسِ العملِ،
ولم يردعهم شيءٌ.
«وقِّع هنا فحسب!» زعقوا كل مرةٍ
وضربوني حتى أغمي عليَّ.
عذبوني بوحشيةٍ
رموني في الهواءِ واسقطوني أرضاً.
ضربوني بفظاعةٍ حتى بدوتُ
كمن لن يتعافى أبداً.

مضتْ الأيامُ ولم يكلّ أحد،
باستثناء طبعاً من كان طعماً،
وعرفوا أنه مع مرور الوقتِ
إن كان لدي ما أقولهُ لهم أم لا.
جرَّبوا كل حيلهم القذرةِ
حيلٌ لم يسمع بها أو يرها أحدٌ من قبل،
لكن من يجروء في «كاسلري» أن يقولَ
إنَّ «الشرطة» يخرقونَ القانون!.

صبُّوا علينا زيتَ الآثامِ المغلي،

Twitter: @ketab_n

احترقتْ الأجسادُ ألماً،
حتى الركلاتُ واللكماتُ الثقيلةُ
انهالتْ علينا كالمطرِ.
حتى انداحتْ على أرضِ الزنزانةِ خصلاتُ الشعرِ
وانسابَ الدمُ قانياً كالنبيذ،
حتى ليخالَ المرْ أنهم عثروا على طريدةٍ
وسلخوا جلدها كما يُسْلَخُ الخنزير.

سعيداً ركضتُ عبر حقولِ خضراء اللون، في قلبي حملتُ شرائع الله والبشر
كل الأشياءِ ستمرُّ بلمحِ البصرِ
كي لا يموتَ الأملُ.
ليس ثمة ما هوأعلى أو أسمى
من أن يقهرهُ الإنسان الحرُّ.
ليسَ على وجهِ البسيطةِ شيءٌ
يستطيعُ كسرَ إرادةِ من يعرفُ،
أنَّ لا شيءَ يقهرُ إرادتهُ الحرةِ
من هنا تتوالدُ الحريةُ.

في لحظاتِ القنوطِ، من تلكَ الزنزانةِ
قادوني وكنتُ في بؤسٍ شديدٍ.

Twitter: @ketab_n

هذا القطيعُ القذرُ من السجانين وقد أخفضوا الآن رؤوسهم
لأني لم اعترف بشيءٍ.
فيَ سردابِ الموتِ ذلكَ
تمايلنا منسحبين،
وأيقنتُ أن هذا القطيعَ الأسودَ
إنما كان يجترُّ هزيمته.

وكل نأمةٍ كانت بمثابةِ فعلِ خيرِ
لأني كنتُ أبكي في صحوي
لسماعِ صراخِ المعذبين ومشاهدِ الدمِ
وكان عليَّ احتمالَ كل هذا.
ولم تنقصهم الحيلةُ ليلصقوا بي تهمةً
ويزجوا بي وراءَ القضبانِ،
لكنَ أسوأ من كل هذا هو الشعور
بالعارِ والمهانة.

قادوني في سردابِ
تقبعُ فيهِ الشياطين.
الهواءُ يثقلهُ الأسى
هنا يرزحُ القدرُ اللعينُ.
أشعرُ بلسعةِ الألمِ

Twitter: @ketab_n

بهدوءٍ فوقَ جلدي،
وأتيقنُ أن هذا هو الجحيمُ بعينهِ
وكنتُ ما أزالُ في الزنزانة.

بزغَ الفجرُ وانبثقَ العالمُ
هاهنا يومٌ جديدٌ.
خرجتُ إلى السماءِ الزرقاء
حيثُ تستلقي خرافٌ فضيةُ اللونِ.
سمعتُ بوضوحٍ زقزقةَ الطيورِ
وبينما هبَّ النسيمُ قربي،
شربتُ الهواءَ جرعةً واحدةً
والنهمُ في عيني.

شربتُ النهارَ كاملاً في «كاسلري»
كالعائدِ من القبرِ،
وأولمتُ لنفسيَ السماءَ
كالمتضورِ جوعاً.
كل نسمةٍ عليلةٍ كانت تعبقُ بالهناءِ
كل شعاعٍ ذهبي كان مفعماً بالحياةِ،
كل عصفورٍ صغيرٍ زقزقَ
فترددَ الصدى حلواً كالوجود.

Twitter: @ketab_n

راقبني رئيسُ النظارةِ مذهولاً
أو كمن رأى شبحاً.
على وجههِ علائم من خسرَ رهاناً
أو من خيلاؤه فارغةٌ.
لاثني عشرَ درجةً حديدةً نحو قيعانِ الصمتِ
قادني إلى زنزانتي،
لم يستشعر هولَ كراهيتي له وغضبي
سجينٌ أخرٌ لم يبح بالسر.

استدارَ بخيبةِ أملٍ واضحةٍ
هزَّ كتفيهِ وتنهَّد بألمٍ.
بدا كأنه لن يصولَ ويجولَ بعد الآنِ
هذا الزوبعة الوضيعة.
ولم أسمعَ صوتهُ بعد ذلك
بينما تتالت الساعاتُ.
وبدى، يا إلهي، أنهُ إن أطلقَ أحدهم صرخةً
فقد يبكي الهواء.

هذا الحصنُ، دارةُ الجحيمِ هذه،
تعبدها القوانينُ:
مبنيةٌ على صخرةِ الآثامِ

Twitter: @ketab_n

من كرهٍ وبغضاء.
في قلبِ كل حجرٍ فيها حيلةٌ سوداءُ
كل بابٍ من أبوابها يُفْتَحُ على الشقاء.
هنا حظيرةُ الشرّ، هنا وكرُ الشيطانِ،
وقلعةُ العارْ.

سمعتُ قعقعةَ الحديدِ،
إنهُ رئيسُ النظارةِ.
أصدرَ صريْراً وجلبَةً، تلصصَ على أطرافِ أصابعهِ
بحذاءٍ لا بأسَ بهِ.
لم ينبسْ ببنتِ شفة ولم يهتزّ
الصمتُ نفسهُ خَشَع مهابةً.
شاهَدنا نرتعشُ شاهَدنا نهتزُّ
وقالَ لرفاقهِ عن كلِّ ما رآه.

في الليلِ خبيء
ضوءُ المصباحِ حتى كادَ ينطفىءُ،
وهبطتْ الظلالُ على الزنزانةِ
حتى كادتْ تخنقها.
كانَ من الصعبِ أن تنامَ لأنه عليكَ أن تبقى حذراً
وتنتبه إلى رفاقكَ المعذبين المقموعين،

Twitter: @ketab_n

ومن يومٍ ليومٍ في «كاسلري»
لم يعرفِ السجناءُ طعمَ الراحة.

تسللتِ الظلالُ وقفزت من أماكنها شخوصٌ
عبر الأشعةِ الغريبةِ
ذلكَ الشالُ قربَ عينِ البابِ الساحرةِ
في جداولَ خالدةٍ...
ثم، يا يسوع، !! كما لو أن الحماسةَ قد دبتْ بهم
رقصوا حول الجدار
وحدقوا بي كالحيوانات المفترسةِ
بوجوهٍ بيضاءَ وصغيرة.

مشوا حولي ومشوا حولي مجدداً
ولم يفعلوا سوى التحديقِ بسريري.
مشوا مثنىً وفي عيونهم نظراتُ التعذيبِ
كما لو أنهم يسيرون في جنازةٍ.
كل واحدٍ منهم نظرَ نظرةَ الخاسرِ، حملَ صليباً
على ظهرهِ المحنيّ،
وعلى الصليبِ بدا واضحاً اسم الرجلِ
الذي عرفَ لوحِ التعذيب.

Twitter: @ketab_n

كل قبيحٍ وغريبُ الأطوارِ منهم كانتْ لهُ لحيةٌ شعثاء
وقد ارتدوا ثياباً خشنةً.
عيناهُ المشعتانِ نضحتا بالغلِّ
بقوةٍ مخاتلةٍ، ودموعٌ داميةٌ في مآقٍ محمرةٍ
تدفقتْ في العتمةِ،.
لترسمَ زهرةً ترتعشُ خوفاً
في موسمِ الجَمال.

حضنوا الألمَ وتباهوا بالتحمل
يَتَلوون في نوباتِ آلامهم
ما قابلهُ هؤلاء السجناء المساكين، يا صديقي،
لا يجرؤ المرءُ على تخيله،
دارتْ ودارتْ وصعدتْ وهبطتْ
وجوههم تقاطعت مع بعضها البعضِ
حتى اختفتْ هيئاتهم المؤلمة
في بحرِ الندامة.

سمعتُ طقطقةَ مفتاحِ الزنزانةِ
رئيسُ النظارةِ لم يكن هناكَ
ولم تتلصص من عينِ البابِ الساحرةِ أي عينٍ لعينةٍ
لكن أحدهم رمى تحديقةً.

Twitter: @ketab_n

أحسستُ برعشةِ الألم تسري في جسدي
أحدهم في السجنِ،
ولم أعرف من كانَ هناكَ
لكني رفعتُ صلواتي إلى الله.

الزنزانةُ المهتزة كأنما في نوبةٍ
بدأتْ بالتململِ ثم بالبكاء.
ثم أخذت أشكالٌ مرعبةٌ بأفواهٍ فاغرةٍ
بالعبور في رتلٍ من الأشباحِ.
قردةٌ محنية الظهورِ برقابٍ ناتئةٍ
رقصتْ حولنا صارخةً برعبٍ
وحشدٌ من طرازِ الشر الأول
تجمّع هنا تملؤهُ نظراتُ الخبثِ القميء.

صراخُ الغيلانِ ونعيقُ البومِ
صدحَ في تلك الزنزانةِ الصغيرة،
غربانُ الشيطانِ والأرواح اللعينةِ
أبحرتْ حاملةً الموتَ،
ثعابين شنيعة
تلوّث و فحّت، .
بينما دوّمتْ صورٌ ظليليةٌ

Twitter: @ketab_n

في رقصٍ مخيفٍ.

أتى شيطانٌ وفي عينيهِ اللهب
وكان محاطاً بقوةِ القانون.
رقصوا كأنهم في حضرة الإله هاديس وفئران الطاعون
وأنا يا إلهي تجمّدتُ خوفاً.
شدَّ هذا القطيعُ المتوحش حبلاً
من قدرِ الموت وآثامه،
ليصنعوا حبلَ مشنقةٍ يسوقُ
روحاً معذَّبةً إلى شِباكهِ.

شمطاوات ومجانين
وأفاعٍ رقصوا معاً،
وحوشٌ قبيحةٌ ورسلٌ من الشيطانِ
وقفوا عراةً مقابلَ الحائطِ.
نَفَثتْ الارواحُ خلاعتها وشرورها
وغنى الديمون غضباً،
بينما المسوخُ المزمجرةُ والقوادونَ
رموا الآثامَ على خشبةِ المسرحِ.

المشعوذونُ والعاهراتُ والأثرياءُ السارقونَ

Twitter: @ketab_n

نَصَبوا منصةَ الإعدامِ السوداء اللون
هرطقَ مهرطقٌ
في احتقارٍ ساخرٍ.
أولادُ الشيطانِ جميعهم
اجتمعوا هنا كالنارِ،
و، يا يسوعُ، قربانهم
كانَ أنْ قتلوا «براين ماغواير».

سَحَرةٌ، عَظاياتٌ، وخطئةٌ أتوا من العواصفِ العاتيةِ
زَوْبَعوا فوقَ رأسهِ،
خفافيشٌ تزعقُ و بعُوضٌ يعضُّ
سترشفُ خيطَ الدمِ.
وكلهم بصقوا حقداً في وجهِ ذلكَ الرجلِ
وكلهم صاحوا، «هاتوا الشيطانَ!»
كلهم مجّدوا القانونَ بخشوعٍ رهيبٍ
لأن الشرَّ واحدٌ.

رقصوا رقصةَ الظلامِ، رقصوا رقصةَ الموتِ الزؤامِ
رقصوا رقصةَ الإثم المميتِ
جرجروا أسمالهم وهرولوا
عِبر الظلمةِ والريحِ الشريرةِ.

Twitter: @ketab_n

خطوا ببطىءٍ ورفعوا قامتهم وقَرَصوا وقتلوا،
وفوقَ منصة الإعدامِ تراموا.
كانتْ مقتلةً نكراءَ في «كاسلري»
حتى أعدموا ذلكَ الرجل.

هربَ الشياطينُ فقد انتهتْ هنا حياةٌ.
اختبأتْ العدالةُ في عارها.
الهواءُ المقتولُ فغرَ فاهاً وصلّى
وانسالتْ دموعٌ كالمطرِ المدرارِ.
حتى الجدرانُ شعرتْ بالقهرِ،
عيناي كانتا حمراوين كاللهبِ،
لأني ذرفتُ بحراً من الدموعِ
حزناً وأسىً على «ماغواير».

هذا الحصنُ، دارةُ الجحيمِ هذه،
تعبدها القوانينُ.
مبنيةٌ على صخرةِ الآثامِ
من كرهٍ وبغضاء.
في قلبِ كل حجرٍ فيها حيلةٌ سوداءُ
كل بابٍ من أبوابها يُفْتَحُ على الشقاء.
هنا حظيرةُ الشرِّ، هنا وكرُ الشيطانِ،

Twitter: @ketab_n

وقلعةُ العاز.

رجالاتُ الأدبِ باعوا ذممهم،
أصبحوا يحلمونَ داخلَ أحلامهم.
بيعَ سحرهم بسعرِ الذهبِ
وكانَ الناسُ حولهم يصرخون.
رسموا القمرَ وسجّلوا لحظاتِ الإزدهارِ
بطرقٍ عبقريةٍ، كما يقولونَ.
لكنهم لم يرسموا قطَ عذابات سجينٍ واحدٍ فقط
يتلوى ألماً في سجنِ كاسيلري.

كلامُ الشعراءِ حلوٌ كالعصافيرِ،
حكاياتهم ونثرهم رومانسي.
يتغزلون بنجومِ السماءِ وبالحبِّ العذبِ
وبالنسيمِ العَطِرِ الذي يهبُّ في الهواءِ.
لكنهم لا يكتبونَ مجرد كلمةٍ واحدةٍ
عن الجمالِ المعذّب حتى الموتِ هنا.
لا استغربُ لماذا يكذبونَ،
فلطاما كانَ الشعراءُ هكذا.

.

سمعتُ قعقعةَ الحديدِ،

Twitter: @ketab_n

إنهُ رئيسُ النظارةِ.
أصدرَ صريراً وجلبَةً، تلصصَ على أطرافِ أصابعهِ
بحذاءٍ لا بأسَ بهِ.
لم ينبسْ ببنتِ شفة ولم يهتزّ
الصمتُ نفسهُ خَشَع مهابةً.
شاهدنا نرتعشُ شاهدنا نهتزُّ
وقالَ لرفاقهِ عن كلٍّ ما رآه.

على المرءِ أن يعيشَ، على المرء أن يقدم شيئاً للمجتمعِ
بالقانونِ وبالعدالةِ، يا صديقي.
فليعلمِ الجميعُ
أن ليسَ للعدالةِ نهايةٌ.
هذا لأن على الملكِ كما على الوغدِ
أن يمثلا أمام الربِّ،
وعلى كل منهم أن يدفعَ ثمنَ
كل شيءٍ غثٍّ أو ثمين.

وهذا الذي يكسوه العار والملامةُ
عليهِ أن يبرر كل ذنوبه،
ولا كذبةٌ سوداء اللونِ ولا حجةٌ
تنظفُ روحه من الداخل.

Twitter: @ketab_n

لهذا اصغُوا لي، يا قوادي الجحيم
انتم وحوشُ «كاسلري»!
القانون و رجالهُ سيقفون صاغرينَ
أمامَ الرب في يومِ الحساب!

في «كاسلري» من يومِ ليومِ
لا يعرفُ السجناءُ طعمَ الراحةِ،
ولا يغمضُ لهم جفنٌ وعليهم أن يبكوا
حتى يعترفوا.
يعترفوا «بجريمةٍ» مقابلَ حكْمِ
رغم أنهم غير مذنبين
لكن هذا هو القانون بكل فجاجتهِ
فحملوا صلبانَ الويل...

Twitter: @ketab_n

٢

مَحْكمة «دِبْلوك»

ساقوني عبرَ بابِ الموتِ
كما يُسَاقُ خنزيرٌ إلى الزّريبةِ.
لكنَّ الخنازيرَ تُعامَلُ بشكلٍ أفضل
من المساجينِ، يا صديقي.
وأنا في أغلالي الوضيعةِ
أسيرٌ من أسرى آيرلندا.

طقطقتِ السلاسلُ وتوهَّجتْ العيونُ
كلُّ المجتمعين هناكَ.
حدَّقوا بي طويلاً
وسمَّروني بنظراتهم.
وشعرتُ بالاحتقارِ في عيونهم
وهي تقولُ ـ «مَنْ أنتَ لتجرؤ؟»

Twitter: @ketab_n

حدَّقوا بي طويلاً
بنظراتٍ خبيثةٍ و هازئةٍ كريهةٍ،
رموني بظراتهم التي تفيضُ كرهاً
كالرماحِ الخطَّافةِ المشتعلةِ.
وقالوا معاً، «سنزجُّ بكَ هنا، يا صاح،
لثلاثينَ عاماً طويلاً».

أولادٌ مزعجونَ ومتأنقونَ وعديموا القيمةِ
من حقلِ الشرِ،
اجتمعوا هنا ليشاركوا في نطقِ الحكمِ
على شخصٍ لم يخنع.
ولن يخنع. «اكسرو إرادته إذن»،
قرّر مصيرَالضحيةِ.

قفصُ الاتهامِ كالجزيرةِ النائيةِ
وأنا المنبوذُ هناكَ،
البحرُ حولي يصطخبُ بسمكِ القرشِ
ورذاذِ الحقدِ الحانقِ.
لكنَّ أحداً لم يرَ حطامكَ
أو عرف حتى أينَ هي.

Twitter: @ketab_n

وقفَ حراسُ السجنِ في تحديقٍ طويلٍ
وقفةَ المشرِّعين.
راقبوا كل نأمةٍ وحركةٍ
في شبهِ غيبوبةِ المتسلّطين،
لأن هذا الفتى الأخرق لن يستطيعَ أن يقتل أحداً
أو حتى يحاول مجرد محاولة.

غبارٌ كالفضةِ فوقَ أشعةِ الضوءِ
عَبَرَ الستائر الحمراء اللونِ.
شممتُ عطرَ الغِنى
وشعرتُ بالرهبةِ تسري في عروقي.
كأنها بقيتْ هناك لا يحركها الزمنُ من مكانها
محكمةُ الموت، محكمةُ الموتِ تلك.

ظلالٌ عنيفةٌ، سيوفٌ مهولةٌ من الضياءِ
وقفتْ حارسةً في درجاتِ الجحيم.
لو تُلَقَّحُ بويضةُ الحقيقةِ
فلا بدَّ ستموتُ داخلَ الرحمِ،
لأن الحقيقةَ مقتولةٌ بقلبٍ أسودٍ
في قاعة «دبلوك» للموتِ هذه.

Twitter: @ketab_n

«قيام»، نعقَ أحدُ الغربانِ ذي النظرةِ الثاقبةِ،
وقفَ الكلُّ باستثناءِ شخصٍ واحدٍ فقط.
الضيفُ المضطَهَدُ أطرقَ رأسهُ بعينينِ هيّابتين
والمعذَّبونَ صَمَتوا،
لأن الجميعَ أيقنوا الآنَ
أنَّ القاضي الرجيم قد وصل.

حملقَ الخنزيرُ البدينُ وجلسَ الكلُّ
حرَّكَ عينيهِ اللعينتينِ
ليثبتهما فوقَ هيئتي الخائفةِ
في حملقةٍ يتطايرُ منها الاحتقارُ.
تراصفَ كلُّ الحراسِ
الإزدراءُ لا يعرفُ التخفّي.

نظرَ الخنزيرُ المقززُ بإزدراءٍ واحتقارٍ
وخَمَشَ خَطْمَهُ المتغطرسِ.
همهمَ بشيءٍ متهكم
ماتتْ كلماتهُ بينما زحَفَتْ خارجةً من جوفهِ،
لكنه رسمَ بالسكينِ نظرةً على وجههِ
بدَّدتْ كلَّ الظنون.

Twitter: @ketab_n

وقفَ أحدُ صقورِ المحاكمةِ
جلستُ كالسنونو الطعمُ،
أطلقَ منقارهُ المشحوذُ زعقةً
ثبَّتتني في مكاني.
ولم أجرؤ على قولِ شيءٍ
فاليومَ يومُ الحساب.

هذه القضيةُ واضحةٌ لا لبسَ فيها، مجزمةٌ بفعلِ الخوفِ
وقد نحتتها يدُ القانونِ،
اليدُ الخفيةُ التي خَنَقَتْ رجلاً
من أجل توقيعٍ.
بينما صرخاتُ الألمِ تحتَ التعذيبِ تقضُّ مضاجعَ المساكينِ
بسببِ أفعالٍ لم يرها أحد.

انقضَّ الصقرُ المحلِّقُ
يداهُ مفتوحتانِ كجناحين
اصبعهُ اللعينةُ قصَّتْ الهواءَ
بخفقاتٍ مدوِّيةٍ،
وبصقَ السمَّ فوقَ وجهِ الحقيقةِ
في لدغاتٍ كاذبةٍ وقاتلة.

Twitter: @ketab_n

لم يكن هناكَ هيئة محلفين، ولا حتى عضوٌ واحدٌ،
الخنزيرُ ذو الباروكةِ كان محقاً،
الحمقى فقط هم من وقفَ
وتحداهُ وقاتلهُ.
لأن هذه المحاكمة إنما هي محضُ كذبةٍ، يا صديقي،
وليس للعدالةِ هنا بريقُ ضوء.

واحداً واحداً تقاطروا بخبثٍ
واحداً واحداً سيكذبون،
هذه الأفاعي المتلوية وهؤلاءِ المنافقونَ القذرونَ
يسمونهم «شهود» ولكن لماذا؟
لأنهم يشهدونَ بما يتمنونَ
بعيونٍ مغمضةٍ أو مفتوحةٍ.

يحلفونَ بكتابٍ مقدَّسٍ
أمامَ اللهِ،
ومع هذا عينهم على الشرطي
ليأخذوا منه الإشارةَ، بغمزٍ أم بحركةِ رأسٍ،
أولا تعتقدُ، يا صديقي الوفي،
أنَّ هذا غريبٌ بعضِ الشيء؟

Twitter: @ketab_n

رأيتهم يتعثرونَ فوقَ كذباتهم
لكنهم لم يسقطوا قطُّ
لأن الخنزيرَ والصقرَ يضعون كلماتٍ في أفواههم
تجعلهم يلْجلجونَ، يتوقفون عن الكلامِ أو يتلعثمون،
ومن يجرؤ على القولِ إن العدالةَ تسودُ هنا
في قاعةِ «دبلوك» القذرة!.

لا وجودَ لما يسمى الأمل، يا صديقي،
لا تضحك على نفسكَ، فكَّرتُ.
نسبُ الفرصِ تقاسُ بالأعوامِ
وفرصكَ شحيحةٌ جداً.
لكن لا تفقد الأمل، لا تفعل هذا أبداً،
فيوماً ما سيتمُّ القبضُ عليهم أيضاً.

«يا سيادةَ القاضي، شعبةُ التحقيقِ الخاصةِ لها رموزها»،
قالَ لي بصدقٍ.
«نعاملُ كل مشتبهٍ بهِ بعدلٍ وإنصافٍ
بغضِّ النظرِ عمن يكونُ».
الحقيقةُ، فكرتُ، بارعونَ بها
بارعونَ بها بإجرام.

Twitter: @ketab_n

«يا سيادة القاضي، أغدقتُ عليهِ المجامَلات
قدمتُ له أكوابَ الشاي.
حتى أني رجوتهُ كي يعترفَ
رجوتهُ راكعاً على ركبتيّ.
وبعدَ بعضِ المجاملات
يا سيدي القاضي، وافقَ على الإعتراف».

«يا حضرةَ الرقيبِ، يبدو أنه ثمة إدّعاءٌ
أنكَ أجبرتهُ على الإعترافِ.
وأنكَ سرتَ فوقَ عمودهِ الفقري
وبرَّحتهُ ضرباً، أي نعم برَّحتهُ ضرباً؟»
«لا! لا! يا سيادة القاضي، ماتراهُ إنما هو آثارُ تعذيبِ ألحقها هو بنفسه».

نهضَ الطبيبُ الشرعي وذهبَ إلى منصةِ الشهودِ
وكل ما قالهُ كانَ الخيانةَ بحدِّ ذاتها:
«يا سيادة القاضي، هذه الكلماتُ التي قالها الرقيبُ،
عليَّ أن أعززها،
لأن من الواردِ جداً أن يكونَ السجين نفسه
هو من تسببَ بحالهِ المزريةِ هذه!»

Twitter: @ketab_n

«لا أستطيعُ أن أتقبَّلَ أن الأمورَ لم تكن في نِصابها!
ولا أستطيعُ أن أتقبلَ هذا الإدعاءَ السافرَ
أنكَ تعرضتَ للأذيةِ في الإحتجازِ
وأن المُلامَ هم شرطةُ السجنِ.
لأنهم يلتزمونَ بالقانونِ
وأنا كذلك!»

قلتُ لنفسي، يلتزمونَ بالقانونِ،
لكن ذلك القانون قانونهم.
إنه قانونٌ مستقلٌ
لم يرى أحدٌ وجههُ قطُّ.
لكني رأيتهُ، أجل رأيتهُ
وعرفتُ وحشيته.

جلستُ في قفصِ الإتهامِ الصغيرِ
ونظرتُ مطوِلاً إلى صديقٍ.
حدَّق بي بعينينِ قلقلتين
قالا لي، هذهِ هي النهايةُ.
هزرتُ كتفيَّ استهتاراً لأني عرفتُ
أن هذا ليسَ إلا الموضةَ المعتادة.

Twitter: @ketab_n

اقسموا أمامَ الله، أقسموا أمامَ الإنسانِ
أقسموا بحياتهم.
زيَّنوا مجوهراتهم بالرياءِ
قدَّموا الحقيقةَ المقدسةَ للذبحِ.
ذبحوها بوحشيةٍ
وتركوها تنزفُ في مكانها.

ذبحوها بألسنتهم الشيطانيةِ
بصقوا مباشرةً في وجهها.
وسحقوها بأياديهم الملطخةِ بالدماءِ
في هجمةٍ قاتلةٍ سوداء،
وابتهلوا إلى الله، أجل يا صديقي ابتهلوا،
أن يشهدَ على هذا العار.

حَمْلَقتْ بي العيونُ المفترسةُ
هاقد حانَ وقتُ،
أن تسيرَ دربَ العزلةِ
الشبيهِ بدربِ «كالفاري»[1].

---

(١) كالفاري تترجم إلى العربية ك «جَلْجَثة» وهي مكانٌ يقع على أطراف مدينة القدس، ويُعْتَقد أن يسوع المسيح صُلِبَ هناك. المترجم.

Twitter: @ketab_n

وأن تحملَ صليبَ رجالَ أيرلندا
الذينَ حملوا على أكتافهم الحرية.

ذلكَ القاضيِ المسخُ القميءُ
ألقى خطبتهُ الشعائرية،
«عدالةُ الله لا تعرفُ الإنحياز لأحدٍ»، قالَ وأردفَ
«العدالةُ تنصفُ الجميعَ.
لأن على المرءِ أن يحيى ويفنى»، قالَ،
«بكل كلمةٍ بشَّرَ بها»....

«سمعتُ كلماتِ الرجالِ الصادقين»،
تجرَّأَ الخنزيرُ على النخير.

«يبدو أني قوبلتُ بالحقيقةِ
لأنها دائماً تقفُ في المقدمة،
ووحدهم الكذابون يرفضونَ أن يتكلموا
عندما يدق ساعة مجابهةُ الحقيقة».

قدمَ كلُّ الكذابينَ إلى المقدمة
قلتُ لنفسي: لماذا يفعلونَ هذا،
كلُّ المعذَّبينَ ولِدوا ليفنوا

Twitter: @ketab_n

حولَ أعناقهم حبلُ مشنقةٍ مُعَدٌّ سلفاً،
لكني رأيتُ «حقيقةَ» الرجلِ الغني
وخلخْلتُ عرشَ العبوديةِ.

الخنزيرُ بباركوتهِ الرماديَّةِ اللونِ قال، «ثلاثونَ عاماً»
ستعدُ عقاربَ ثوانيها ودقائقها.
ثلاثونَ عاماً في الزنزانةِ
في أصفادٍ مريحةٍ، رنَّانةٍ.
ولن تعرفَ الراحةَ في الجحيمِ
في أقبيةِ العنبر هتش.

طفقَ الخنزيرُ خارجاً من قاعةِ الموتِ تلكَ
مرَّ يومُ الحسابِ وانقضى.
ابتسم رجالُ شرطةِ السجن والشرُ على محياهم
فقد قاموا بواجبهم الشرير.
وتركوني في حضرةِ الصمتِ الجليلِ
وأمامي ثلاثون عاماً.

ساقوني عبرَ بابِ الموتِ
كما يُسَاقُ خنزيرٌ إلى الزّريبةِ.
لكنَّ الخنازيرَ تُعامَلُ بشكلٍ أفضل

Twitter: @ketab_n

من المساجينِ، يا صديقي.
وأنا في أغلالي الوضيعةِ
أسيرٌ من أسرى آيرلندا.

وسألَ رجالٌ لماذا يهبُّ الرجالُ للقتالِ،
لماذا يلجؤونَ إلى العنفِ،
ولماذا تغصُّ الأيامُ بالموتِ
وبتقريرِ الموتِ الأسودِ.
لكنهم لا يرَون، هؤلاء الحمقى المعصوبي العيونِ،
محكمةَ القاضي «دبلوك» القذرة.

فليعلمِ الجميعُ وليعلموا جيداً
أن الأغنياءَ يقاضونَ الفقراءَ.
العاملُ الكادحُ بنظرِ مديرهِ
ليسَ إلا عاهرةً تتعرّقُ.
ولن ينحني الأغنياءُ أبداً أمامَ الكلماتِ
كن واثقاً من هذا، يا صديقي، كن واثقاً.

لكنَّ العمالَ أقوياءَ وجسيروا القلوبِ
متحدينَ، يداً بيدٍ،
يأملونَ أن يكسروا شوكةَ الطاغيةِ

Twitter: @ketab_n

وأن يروا تلكَ الشمسَ الساطعة،
الشمسَ التي وُلِدتْ للتو.

Twitter: @ketab_n

٣

العنبر هتش
طاحونة العذاب

لا ننامُ على جِراحِ الآخرين
لأنَّ كلَّ دمِ البشرِ أحمرٌ،
ولا نلعقُ قرْحةَ الفقيرِ
ولا حتى نشربُ دمعتهُ الذارفة،
لأنَّ لكلا الملكِ والوغدِ قبرٌ
والأفقرُ همُ الموتى.

والأفقرُ همُ الموتى الإنطوائيونَ
الذين يحدقونَ في السماءِ الصلصاليةِ،
وليسوا وحدهم بلحمهم وشحمهم
فوقَ الرقعةِ حيثُ يستلقون.
لكنَّ الأفقرَ هم أولائكَ الحمقى
الذينَ يعتقدونَ أنَّ الموتَ لن يطالهم أبداً.

Twitter: @ketab_n

وجدوهُ وحيداً على عتبةِ البابِ
وقد استلقى في بركةٍ قرمزيةٍ،
عيناهُ الميتتانِ وعليهما نظرةُ المسكينِ
حدَّقتا زائغتينِ في النهارِ،
لأنهُ بدا جلياً أنهُ لم يحلم قطُّ
أن الموتَ قد يأتيهِ يوماً.

شقَّ طريقهُ في نعشٍ موشحٍ من خشبِ الصنوبرِ.
إلى حفرةِ اللاعودةِ،
فرقةُ الموتِ الكئيبِ أجهشتْ بمعزوفةِ الموتِ
لتطحنَ روحَهُ طحناً،
لكنَّ هذه الروحَ الخبيثةَ سبقَ وعذَّبتْ سجناءَ
وحقَّ عليها الآنَ أن تحترق.
قبَّعتهُ الملطخةُ بالسوادِ وُضِعَتْ فوقَ النعشِ،
كانَ النعشُ محاطاً باثني عشرَ رجلاً.
اثنا عشر رجلاً متجهماً رافقوا صديقهم الميت
هاهو الثأرُ قد أتى وشَبَقَ،
الشبحُ الصائدُ الذي يمسكُ بالكثيرينَ
قد أطبقَ بيديهِ على هذا «العرصِ» أيضاً.

Twitter: @ketab_n

عميقٌ هو القبرُ، باردٌ هو القبر
ضريحٌ من الصلصالِ الأحمرِ العَكِرِ،
في الأسفلِ يتفسَّخُ الجسدُ،
بينما في الأعلى، تتفتحُ زهرةُ الربيعِ.
فلا تتذمر ولا تتململ
لأننا جميعاً سنصبحُ هناكَ قريباً.

من الترابِ إلى الترابِ، من الرمادِ إلى الرماد،
قالَ راعي الأبرشيةِ الذاوي،
بينما انهالتْ كثيبةٌ كمشاتُ الصلصالِ
بقوةٍ فوقَ الميتِ،
وغطَّتْ مرةً وإلى الأبدِ
ذلكَ العفريتَ الذي خانهُ الحظ.

لأنهُ أمعنَ في تعذيبِ السجناءِ
وأبلى بلاءً حسناً،
لأنَّ الخونةَ هم الجبناءُ الملاعين
والدهاةُ مخاتلونَ.
لكن أولادَ العاهرةِ الحقيقونَ هم السجّانونَ البغيضونَ
الذين يعذِّبونَ السجناءَ وهم عراة.

Twitter: @ketab_n

وقد أمعنَ بتعذيبِ السجناءِ
لأنهُ كانَ سجاناً من طرازٍ نادرٍ.
لكن! الأصواتُ المتذمرةُ صاحتْ بقوةٍ
ما ذنبُ هذا المسكينِ؟
لم يفعل سوى ما فعلَ المجانينُ باليهودي الصامتِ.

لهذا ادفنوهُ ودعوهُ هناكَ مستلقياً
واعزفوا موسيقى العرضِ العسكري،
لكن اكتبوا على شاهدةِ قبرهِ الرخامية
«هنا يرزحُ سجانٌ قميءٌ»،
لأنهُ لو عرفَ الناسُ ماذا فعلَ
فسيديرونَ ظهورهم وسيبصقون.

لا ننامُ على جراحِ الآخرين
أو نلعقُ ندوبهم النازفة،
في أروقةِ الصالاتِ الرخاميةِ
ولا في القلاعِ أو الأبراجِ.
لان السجناءَ يستلقونَ في الأغوار المعتمةِ
خلفَ قضبانِ السجن.

لهذا ننامُ على جرحِ كل يومٍ

Twitter: @ketab_n

الذي يصرخُ في صحوهِ،
ويزعقُ في وجهِ كل عقلٍ محطَّمٍ
كم ستحتملُ فوقَ هذا؟
كم، كم، فهذا الألم المبرحُ
يجعلُ حتى الأبطالَ يتلوَّون.

مثيرٌ للشفقةِ الرجلُ الوحيدُ
الذي يشاهد الليلَ يعبرُ،
ليسمعَ صراخَ أحلامِ رفاقهِ
البكاءَ الرقيقَ أو التنهيدةَ.
لكنهُ معذَّبٌ ذلكَ الرجلُ الوحيدُ
الذي يعرفُ أنه ميتٌ لا محالة.

ومن نحن سوى فانونَ
يحترقونَ من نارِ كراهيةِ الآخرين،
ويرزحونَ تحتَ
ثقلِ الجريمةِ المرهِق
لكن رغم أننا نرزحُ إلا أننا لا نقعُ
وقدرنا لا ختامَ له.

وقدرنا لا ختامَ له

Twitter: @ketab_n

نحنُ الخائضونَ معركةً مع الظلمةِ،
لأننا سُجِنّا،
منذ تشكلنا الأول، في الرحمِ،
لكن ثمرةَ الحريةِ لا بدَّ ستزهرُ أيضاً
في عتمةِ القبر.

سيستلقي في القبرِ،
القبرِ الذي حفرهُ بالألم،
ألمُ أولائكَ العراةِ
القبر الذي حَفَرَهُ باحتقارٍ
فهناكَ يستلقي تحتَ السماواتِ الطينية
في ذلّهِ الأبدي.

ليسَ ثمةَ نجمةٌ أو شعلةُ سماءٍ
لا نفخةُ بوقٍ ولا صافرة،
لا كورس ملائكةٍ تغنّى
ليزيدَ النحيبَ نحيباً.
لأن الأحرارَ يستلقونَ في دموعِ الأسى
ولا مخلّصَ لهم.

مباركٌ هو الشخصُ الذي يقفُ

Twitter: @ketab_n

متألماً في حضرةِ اللهِ.
وعلى ظهرهِ صليبُ العذابِ
جراحهُ عارٌ شاسعٌ.
هذا هو ابن الله
وليقدَّس اسمهُ.

مرَّتْ الكلمةُ عبر الأنابيبِ المتجمدة
السجَّانُ طليقٌ
وكل المساجينِ عرفوا من قبل سجاناً قذراً
قد قامَ بواجباتهِ في مكانٍ ما.
كل واحدٌ منهم عرفَ أننا سننالُ حصتنا أيضاً
لكن مَنْ يكترث.

بالهمسِ عرفنا أن القطيعَ العاري الملابس
قد تمَّ نقلهُ من زنزانةِ إلى أخرى،
وكل واحدِ ابتسم ابتسامةَ طفلٍ شقيٌّ
في وجهِ ما سيقوله.
بالرغم من أننا نستلقي بانتظار فنائنا البطيء
فإننا سمعنا جرسَ قدَّاسِ الموتى.

جلسَ فوقَ الرغوةِ القذرةِ

Twitter: @ketab_n

عيناهُ الثاقبتانِ تقدحانِ شرراً.
حدَّقَ كمن لا يعرفُ أين هو
كمن في حالةِ ذهولٍ.
لكن كل الرجالِ يحدقونَ بنفسِ الطريقةِ
ضمن هذه المتاهةِ الوسخة.

حدَّقَ في جدرانٍ كابوسيةٍ
كما لو أنها كانتْ تملكُ المفتاحَ.
ولسرٍ أسودِ غائرٍ في روحهِ
لن يُطْلقهُ حرا،
عبرَ ذلكَ الصدع الخفي الذي لا يرى
سوى الموتُ راحته.

لم يبتسم كولدٍ شقيٍّ
لدى سماعهِ ما يتداولهُ الجميعُ،
ولم تروقهُ الأخبارُ الكئيبةُ
ولم يسألَ سؤالاً واحداً،
لكنهُ أطلقَ صرخةً أرعبتْ جهنم
صرخةً كما لو أنها صوتُ انفجارِ بوق جبريل!

قهقهَ ضاحكاً خلفَ كفنٍ

Twitter: @ketab_n

من جلدٍ أصفر و لحيةٍ،
عيناهُ المشتعلتانِ احرقهما البغضُ،
وجنونُ غريبي الأطوارِ.
وتخيلتُ وقتها، لصديقي المسكينِ هذا،
قد ظهرَ شيطان.

لكني أيقنتُ في هذا الجحيمِ الأسودِ
أنَّ العذابَ يقومُ بمثلِ هذه الأمور،
ويتركُ العقلَ كأرضٍ مشَاعٍ
لا ينبتُ فيها سوى الجنونُ.
وأيقنتُ أيضاً أنه في كلِّ زنزانةٍ
يُعَلَّقُ العقلاءُ على الحبال.

لا نحملُ على وجوهنا نظرةَ المذنبينَ
هؤلاء الذين ارتكبوا جريمة،
ولا نضعُ على صدورنا شارةَ الخطيئةِ
ولا نتهادى فوق الخط المخصصِ للمجرمين.
فالرجالُ يحتملون شيئاً من قذاراتِ الصرف الصحي
مقابل حريةِ العقل.

ولا ننصاعُ للرجالِ في اللباسِ الأسودِ

Twitter: @ketab_n

عندما تصدحُ صرخةُ التعذيب،
أولئك الذين يستخفّون بكلمة اللهِ الحقةِ
بأن لكل إنسانٍ أرادتهُ الحرةِ
يحنونَ ظهورهم فوق مصطبة
العنبر هتش في طاحونةِ التعذيب.

لكل زنزانةٍ رائحةٌ نتنةٌ في ذلكَ الجحيمِ
حيثُ يحشرجُ السجناءُ العراةُ.
كل جدارٍ عليهِ لطخاتٌ غريبةٌ،
لذلك على مديرِ السجنِ أن يعترف
أنه ثمة برازاً على إسمنت السجن
لكن ما يعنيه هو الخراء!

لهذا فهذهِ البقعةُ التي خلّفها سجينٌ هنا
تفوحُ رائحتها في المكانِ،
هذه الفوضى العارمة التي صنعها
بتعريضِ الرجالِ للخوفِ.
والآن يتلوى إنما ليس من الجرائيمِ
بل مما قد يعرفهُ العالم.

•

رمونا على الأرضِ

Twitter: @ketab_n

والرجالُ المعصومونَ لم ينبسوا بكلمة قطُّ
وأبرحونا ضرباً ونحنُ عراة
لأن الأحرارَ يجب أن يُكْسَروا.
ماذا يمكن أن يفعلوا سوى تشويه ذلك العاهة
ويا يسوع لم يكن الأمرُ مزحة!

لا ينادونكَ باسمكَ
ولا ينفعكَ لقبكَ،
فالحبُ والكراهيةُ لا يعيشانِ مع بعضهما البعضِ
وكذلكَ الصوابُ والخطأُ.
ليس لكَ اسم إنما مجردُ رقمٍ،
«تحرَّك يا رقم ١٠٦٦!»

ينادوننا بـ«محتالين» ليصححوا أخطائهم
ويكتبون ذلك أيضاً بقلم.
ينادوننا بـ«مجرمين» ليناسب ذلك محتالي
السياسةِ، يا صديقي.
لكن فلينادونا بما شاؤوا
لأن الشعب ينادينا بالرجال.

سارَ فوق أرضِ الزنزانةِ من الحائطِ إلى البابِ

Twitter: @ketab_n

مصغياً إلى صوتٍ.
كل طقطقةٍ غريبةٍ وكل نأمةٍ
تجعلهُ يجولُ مهلهلاً،
عيناهُ الجاحظتانِ تقطرانِ رعباً
على وشكِ أن تقعا على الأرض.

المكانُ الذي بطولِ ثمانية أقدام كانَ هبةَ الحريةِ.
لتدريبِ العظامِ،
مع كل خطوةٍ بكى الجسدُ
بتأوهاتٍ وغصاتٍ فظيعةٍ،
كأنها صوتُ آلة الطحنِ التي تقضمُ
أحجارَ أحدهم التي يحف بعضها ببعض.

تحتَ السماءِ يعيشُ الرجالُ ويموتونَ
لأن كل من وُلِدَ لا بدَّ سيموتُ.
وبعضهم لا تقعُ عينهُ على وردةٍ أو شجرةٍ
أو يعرفونَ قيمةَ الحب،
إنما في الظلمةِ أو قبرِ السجنِ
يحنُّ الرجالُ إلى الأرضِ الأم.

لا أشجارَ ولا نسيم عليل،

Twitter: @ketab_n

لترطيبِ عيوننا المحمرة،
الأسلاكُ الشائكةُ الرماديةُ مثل الشوكِ المتشابكِ
تخنقُ السماوات الملبدةِ بالغيومِ،
وكل غيمةٍ كفنٌ باكٍ،
تبكي وهي متوجةٌ بالأشواكِ.
ما أحلى
أن ترقصَ وتتمايلَ على أنغامِ الحب
ما أروع
أن ترشفَ الخمرَ على العشاء
لكن ليس جيداً أبداً
أن تأكلَ وتجلسَ حيثَ تتبرزُ!

مصدومٌ أنتَ، جداً، جداً
لكنكَ تعرفُ ما تكونُ الصدمةُ الآنَ.
ربما تقولُ إن دربَ هذا الشاعرِ
قحطٌ و وضيعٌ؟
لكن في العنابرِ صُدِمَ الرجالُ
وملؤوا تنكةَ البرازِ هذه!

لا ترتجفُ كلما أستيقظتَ كل يومٍ
على ترتيلةِ فجرٍ يزأرُ،

Twitter: @ketab_n

عندما الفئرانُ المكفهرةُ الوجوهِ بقبعاتهم الملفوحةِ بالسوادِ
يتسللونَ لينضموا إلى جوقةِ الشيطانِ،
وبهراواتهم الصلبةِ المرفوعةِ إلى الأعلى
يهدّمونَ الأبوابَ.

لا تستلقونَ كالخنازيرِ في الزريبةِ
فوقَ سريرٍ من الإسمنتِ.
أو تراقبوهم وهم يأتونَ قبلَ بزوغِ الشمس
ليحصوا عدد الموتى الأحياءِ،
وتتطلبوا من السيدِ المسيحِ
أن تكونَ كفارتكم قد دُفِعتْ.

لا تصلُّونَ خلالَ كل يومٍ طويلٍ
أو تبتهلونَ طيلةَ الليلِ،
خذوا جرعاتٍ من الهواءِ والتراتيلُ على شفاهكم،
فقدْ يسرقُ النومُ خوفكم.
وضعوا شارةَ الصليبِ على رؤوسكم بصمتٍ مهيبٍ
بينما تتحولُ العتمةُ إلى ضياء.

من الحائطِ إلى البابِ زرعَ أرضَ السجنِ
كرجلٍ محاصرٍ داخلَ ملجأ،

Twitter: @ketab_n

ونظرا إليَّ بيأسٍ
من خلفِ قناعٍ من القذارةِ.
لأنهُ بكل خطوةٍ إنما كانَ يغرقُ أكثر
في لجَّةٍ عليهِ أن يتسلقها صاعداً.

وما الوقتُ سوى تعفنٌ لا ينتهي
والكلُ لوحدهُ،
البعضُ يتسلقُ وينجوا والبعضُ الآخرُ يغرقُ
والبعضُ يستلقي بغباءٍ وينبطحُ
بينما يمرُّ الوقتُ كسماءٍ ملبدةٍ بالغيومِ
قَدَرها مجهولٌ.

على موعدهِ ليخبطَ في البرازِ
حثَّ الخطى مسرعاً،
تلكَ العيونُ التي تقدحُ شرراً كسماواتٍ غاضبةٍ
جالتْ فوقَ وجههِ المغطى بالرمادِ
ثم مضى ككتيبةٍ مقاتلةٍ
فرَّت من أرضِ المعركةِ.

ركضَ في الزنزانةِ من الحائطِ إلى البابِ
ثم حدَّقَ بي بغباءٍ تامٍ،

Twitter: @ketab_n

وحدقتُ بهِ كإثم مميتٍ
لأن الكلماتَ لا تسعفني.
لأن هذا هو الجحيم بعينهِ وفي هذه الزنزانةِ
ثمة روحٌ هاربةٌ.

كل روحٍ معذَّبةٍ في تلكَ الحفرةِ القذرةِ
تفكرُ بفكرةٍ واحدةٍ:
سيأتي دورنا أيضاً ونعرفُ هذا جيداً
عندما يحلُّ الليلُ،
الكل يعرفُ ما سيأتي
ليس بيننا من هو أعمى.

يولدُ الأسى مع ولادةِ كل يوم
والكلُ موتى في أماكنهم،
السجانونَ القذرونَ بأحذيتهم كاتمةِ الصوتِ
يتسللونَ ليقوموا بالقتلِ،
لكنهم يبدأونَ بالزعيقِ والزمجرةِ
كمجانين يتدربون على الجنون.

سيعلموننا بحلولِ الوقتِ للذهابِ
وسيقيمون حفلةً تنكريةً،

Twitter: @ketab_n

من زنزانةِ إلى زنزانةٍ ضرباتهم تلدغُ
مثل سربٍ من الدبابيرِ،
وعلى الرجالِ العراةِ أن يركضوا حتى النهايةِ
كطيورِ البحرِ في العاصفة.

كلنا عرفنا ما سيحل بنا
وكلنا زرعنا أرض السجن سيراً.
فزعٌ زاحفٌ نما في قلوبنا
لأن كل منا سيعيدُ التفكير،
والفزعُ جلس وأكل مثل الإثم
قاضماً قلوبنا.

البعضُ جعجعَ وأستشاطَ غضباً بشعاً
من أجل النيكوتين والسجائرِ
إلى درجةٍ أنه على ركبهم
تجمَّعَ الغبارُ،
أعقابُ سجائر صعبةُ المنالِ في إنحناءاتٍ لاهثةٍ بالرجاء
ليقتلوا نيرهم الخانقِ.

وبعضهم مجَّ الدخانَ بشراهةٍ
حتى انشقتْ البطانيةُ المشتعلةِ،

Twitter: @ketab_n

فالأعصابُ مشدودةٌ والخياراتُ محدودةٌ
لترويضِ الفزعِ القاتلِ،
شاحبوا الوجوه كالموتِ بنَفَسٍ لاهبٍ
يقتلعونَ كل الأسنانِ المحمرةِ.

اليومُ المتسللُ قد فرَّ هارباً للتو
لأن الوقتَ يهربُ من أمامِ الموتِ،
ودنونا أكثر من الخوفِ
بينما كانت الدقائقُ تموتُ.
وأي أمل حاولنا التمسكَ به
قفزَ وفرَّ هارباً لتوه.

الليلُ المحتضرُ ينزفُ بياضاً
الظلمةُ هاربةٌ
والفجرُ البازغُ قادَ الليلَ بعيداً
أمامَ الشمسِ ذاتِ العينِ الحمراءِ من غزارةِ الدمِ.
ومن خلالِ الظلالِ على الحيطانِ
عرفنا أنهم قد قدموا.

لا نجمَ ولا لهبَ سماءٍ
لا بوقَ يعزفُ،

Twitter: @ketab_n

لا جوقةَ ملائكةٍ غنَّتْ ابتهالاً
لتجعلَ النحيبَ أقسى وأقسى،
فالرجالُ الأحرارُ يرتعونَ في دموعهم
ليس لهم مخلِّصٌ.

مباركٌ من يقفُ
في حضرةِ الله متألماً،
وعلى ظهرهِ صليبُ الألمِ
جراحهُ عارٌ غائرٌ،
فهذا الرجلُ هو ابنُ اللهِ
وليقدَّسْ اسمهُ.

ضربوا الأغطيةَ بهرواتٍ تعزفُ
ضربوا المواسيرَ والأبوابَ
وأوشكنا على البكاءِ من شدةِ الهلعِ.
قبلَ أن يبدؤا بالصراخِ المتوحشِ،
ورغم أننا تجمدنا من قلةِ الملابسِ
نضحَ العرقُ من مسامنا.

والسجان القذر ببزته السوداء والزرقاء اللون
يعرفهُ الشيطانُ جيداً،

Twitter: @ketab_n

وكلهم مع بزوغِ الفجرِ
يأتونَ إلى الزنزانات،
ويضرمونَ النارَ التي تبحثُ عن شهواتٍ
في طبقاتِ الجحيم.

على موعدهِ لينخبطَ في البرازِ
حثَّ الخطى مسرعاً،
تلكَ العيونُ التي تقدحُ شرراً كسماواتٍ غاضبةٍ
جالتْ فوقَ وجههِ المغطى بالرمادِ
ثم مضى ككتيبةٍ مقاتلةٍ
فرَّت من أرضِ المعركةِ.

ركضَ في الزنزانةِ من الحائطِ إلى البابِ
ثم حدَّقَ بي بغباءٍ تامٍ،
وحدقتُ بهِ كإثمٍ مميتٍ
لأن الكلماتَ لا تسعفني.
لأن هذا هو الجحيم بعينهِ وفي هذه الزنزانةِ
ثمة روحٌ هاربةٌ.

فاحتْ رائحةُ المعدةِ العفنةِ
لأن بعضَ الرجالِ يتقيؤون من الفزعِ،

Twitter: @ketab_n

ثم تسوءُ الأمورُ مرةً أخرى ومن دون أي إحساسٍ بالعارِ
تبانُ أمعاءُ الرجالِ.
لأنهُ، اسمعني يا صديقي، نحنُ لا ندَّعي،
لا وجودَ لأبطالٍ هنا.

صَدَمتنا طقطقةُ القفلِ المزدوجِ السريعةِ
ثم نطقَ أحدهم اسم الرجلِ الأولِ.
في أوقاتٍ كهذهِ يكللُ
الجبنُ الرجالَ
كلنا عرفنا مالذي سيحلُّ بنا
كل واحدٍ من سينالُ ما سينالهُ الآخرون.

ركضَ بعينينِ مجنونتينِ زاعقاً كطفلٍ
أمامَ قطيعٍ من الفئرانِ،
يطرحونهُ أرضاً
ويبرحونهُ ركلاً ولكماً وصفعاً،
ثم تحلقوا حولهُ في دائرةٍ من الشرِ
وركلوهُ حتى فقدَ وعيه.

سَخِروا و هلللوا، نظروا بخبثٍ و صاحوا باستهجانٍ
فوقَ فعلتهم القذرةِ.

Twitter: @ketab_n

كل سجان قذرٍ عرفَ ما يفعلُ،
على وجه كل منهم ابتسامةٌ صفراء قذرة،
اختالوا كراهيةً، رجالُ الدولةِ هؤلاء،
اهتاجوا مسعورين.

يمسكونكَ من رجليكَ كما تُمسَكُ ملاقطُ الغسيلِ
ويبعدونها عن بعضها البعضِ حتى تنشقَّ.
يمحّصون ويسترقونَ النظرَ ويحاولوا
أن ينظروا من خلالِ الشّقِ.
ينظرونَ شمالاً وجنوباً بحثاً في فمكَ
لينظروا من خلاله إلى «الخارج».

الهرجُ والمرجُ أثناءِ نزهةٍ في الريفِ
أمرٌ بغايةِ السعادةِ،
الركضُ أحدنا خلفَ الآخرِ في الهواءِ الطلقِ
سرورٌ ما بعدهُ سرور،
التمرغُ كالخنزيرِ في بولكَ
ليسَ بالنزهةِ الحلوةِ.

يصطفُّ السجانونَ الأوغادُ مثنىً
على طولِ دربِ الآلام ذاك.

Twitter: @ketab_n

يستلونَ هرواتهم لينهالوا
ضرباً على الفريسةِ التي تصرخُ،
ليس إلا مجردَ عملٍ، يتذمرونَ وينتحبونَ،
ويقبضون مالاً من الشيطان.

لا تأنيبات ضمير، لا تأنيباتَ ضميرِ البتةَ
توقفُ هذه الفرقةِ الشنيعةِ.
كيفَ ينزعونَ الأقنعةَ عن وجوهم
أمرٌ لا يُفْهَمُ.
لكن ألا يحرّكهم العارُ
فهو لعنةٌ تحلُّ على قبيلتهم.

ركضَ في الزنزانةِ من الحائطِ إلى البابِ
ثم حدَّقَ بي بغباءٍ تامٍ،
وحدقتُ بهِ كإثمٍ مميتٍ
لأن الكلماتَ لا تسعفني.
لأن هذا هو الجحيم بعينهِ وفي هذه الزنزانةِ
ثمة روحٌ هاربةٌ.
ثم تحركوا
بينما أصغينا إلى المقتلةِ.
ومن مكانٍ قريبٍ حدثَ أن سمعتُ

Twitter: @ketab_n

أول عصافيرِ اليومِ،
زقزقتهُ الدانية رنَّتْ كالقَدَرِ
وماتتْ هباءً منثوراً.

يفتشونَ شَعْرك بعنايةٍ فائقةٍ
يسلِّطونَ ضوءاً داخلَ انفكَ،
فمكَ وأذنيكَ ويفحصونَ
كلَّ مخاوفكَ كالغُرْبان،
وهل لي أن أسأل، ما هي مهمتهم؟
بما أننا نحن المساجين لا نرتدي أي ملابس؟

يفتشون ظهركَ وكلَّ شقٍّ من شقوقِ جسدكَ
بوجوهٍ كالحةٍ ومكفهرة،
ويكشطونَ ويحملقونَ في كلِّ مسامه
كطبيبٍ يبحثُ عن جرثومةٍ.
لكنهم بخلاعةٍ وبوحشيةٍ يلقنونكَ درساً
ليجعلوا المريضَ يتلوى.

لا جريمةَ لا في الفعلِ ولا في الذهنِ
لا إغراء شيطاني قذرٍ،
سيتردد أي سجّان عن فعلهِ

Twitter: @ketab_n

وليتأكد الكلُّ من هذا.
ينحنونَ جداً حتى ليصبح لهم
خصالَ العاهرة.

الإسترخاءُ هو أن تستلقي تحتَ الشمسِ
أن تَسْمَرَّ هو الروعةُ بعينها،
بشرةٌ شقراءَ وشعرٌ داكنٌ
يشبهانِ تعويذةً عذبةً.
لكن ندبةَ التعذيبِ قبيحةٌ و صارخةٌ
ولا تناسبكَ أبداً.

يجبروننا على جلوسِ القرفصاءِ فوقِ الأرضيةِ السوداءِ
فوقَ مرآةٍ جليَّةٍ.
يسلطون ضوءاً ليروا بشكلٍ أوضحَ
ليروا ما قد يظهرُ.
أحياناً أعتقدُ أن لهم التواءً
لكثرةِ ما يلكزونَ ويحملقونْ!

الدمُ حارٌ وقدْ يشكلُ جُلْطةً
لأني رأيتهُ على الأرضِ.
كأنهُ يقولُ إن ما مر هنا إما

Twitter: @ketab_n

قطيعٌ من الخيلِ وكلابِ الصيدِ،
لكن لا الربّان ولا حتى أدهى الذئابِ
يستطيعُ أن يوقفَ سعيرَ هذا الصيد.

مهمةُ الطبيبِ رغمَ غرابتها بعض الشيءِ
هي تضميدُ الجِراحِ.
هي تطبيبُ المرءِ وليس لعنهُ
عندما يتداعى الجسدُ.
بالرغم من هذا فهؤلاء الأطباء الشبان في عنابرِ السجنِ
يدعكونَ وجهكَ بالقذارة.

كطفلٍ يصرخُ هلعاً ركضتُ وعينايَ مفتوحتانِ على وسعهما
أمام قطيعِ الفئرانِ ذاكَ.
طرحوني أرضاً
وأبرحوني لطماً وركلاً وصفعاً.
ثم في حلقةِ الشرِ تلكَ
ضربوني حتى فقدتُ وعيي.

كالسكرانِ الذي لا يقوى على الوقوفِ
تخايلتُ كشجرةٍ تتمايلُ،
وشعرتُ بأسوأ ما يشعرُ به من يصابُ بدوارِ البحرِ

Twitter: @ketab_n

في بحرٍ متلاطِمِ الأمواجِ.
وشعرتُ بالألمِ مرةً أخرى
الألم الذي كانَ على وشكِ أن يُغْرِقَني.

the ace of spades (الآس البستوني) أحدُ علاماتِ الجحيم،
السجانُ دليلُ العارِ.
من يختلط بهؤلاءِ القردةِ
لابد سيلقى نفس الحتف؛
وفي قبورهم سيتحسَّرونَ و يتذمرون،
من اقترانهم بذلك الاسمِ.

بغضبٍ أمسكوني من شعري
سحلوني فوقَ البرازِ،
خنقوني، علقوني من عنقي،
كأنهم يعدمونني بالخنقِ،
ثم رموني في زنزانةِ الإثمِ
جسدي ملتفٌّ على بعضهِ.

ركضَ بعينين مفتوحتينِ كطفلٍ يصرخُ هلعاً
سمعتُ صرخاتهم الناحبةِ.
وركضَ في سباقٍ مؤلمٍ.

Twitter: @ketab_n

والذعرُ في عينيهِ،
حتى سقطَ في تلكَ الزنزانةِ
كحيوانٍ قارضٍ مشدوه.

«اسْرعِ!! وهرول!!»
صرخوا في وجهِ السجناءِ المغروروقةِ عيونهم بالدمعِ.
سمعنا الطقطقات وضرباتِ الهراواتِ
مقابل كل خطوةٍ عشرة سجانين،
والكل حلفَ بمقدساتهِ
أنه سيقتلُ طائرُ النمنمةِ القاطعِ.

ثم ذهبوا جميعهم ولم يرتووا تماماً
ويا إلهي كم ارتووا فيما بعد.
أن تفعل ما فعلوه فهذا يتطلبُ مهاراتٍ خاصةٍ
تتعلمها من مدرسةِ الشيطانِ،
فعندما يتعلقُ الأمرُ بأوقاتِ استخدامِ القفازاتِ
فالملاعينُ ليسوا بحمقى.

من السعادةِ في أوائلِ الربيعِ
أن تصغي لقبّرةِ الصباحِ،
السمُّنةُ في الأحراشِ البعيدةِ

Twitter: @ketab_n

تزقزقُ بحدةٍ ووضوحٍ.
لكن هل يعرفُ إن كانت قبرةً أم غراباً
من كانت أذنهُ داميةً، مضروبة؟
أو مَنْ يشمُّ الرائحةَ العطرةَ
للنرجسِ والزهورِ،
الهضابُ البريةُ الخضراءُ في أعراسِ الخريفِ
بانتظارِ ثلوجِ الشتاء،
عندما تكون في وضعٍ أسوأ عليكَ أن تطبب
أنفاً دامياً مكسوراً.

حبسنا دموعنا وكبحنا مخاوفنا
وتخلصنا من الألمِ
وعلى أبوابنا وقفنا مترقبينَ
لنحتلَّ صيتهم السيء
لأننا أطلقنا صيحتنا بصوتٍ عالٍ
«أمةٌ مرةٌ أخرى!»

لا نجمَ ولا لهبَ سماءٍ
لا بوقَ يعزفُ،
لا جوقةَ ملائكةٍ غنَّتْ ابتهالاً
لتجعلَ النحيبَ أقسى وأقسى،

Twitter: @ketab_n

فالرجالُ الأحرارُ يرتعونَ في دموعهم
ليس لهم مخلِّصٌ.

مباركٌ من يقفُ
في حضرةِ الله متألماً،
وعلى ظهرهِ صليبُ الألمِ
جراحهُ عارٌ غائرٌ،
فهذا الرجلُ هو ابنُ اللهِ
وليقدَّس اسمهُ.

يتخايلونَ بعظَمةٍ وبهاءٍ
هذه الإمبراطورية كانتْ عظيمةً في يومٍ ما.
بأساطيلها الدمويةِ ومآدبها النجسةِ،
بنوها دون كللٍ.
لكن ليس بحوزتهم لا دبابةٌ ولا بارودةٌ
تستطيع كسر إرادةَ سجينٍ.

لا نحملُ على وجوهنا نظرةَ المذنبينَ
هؤلاء الذين ارتكبوا جريمة،
ولا نضعُ على صدورنا شارةَ الخطيئةِ
ولا نتهادى فوق الخط المخصصِ للمجرمين.

Twitter: @ketab_n

فالرجالُ يحتملون شيئاً من قذاراتِ الصرف الصحي
مقابل حريةِ العقل.

ولا حتى ننصاعُ أمام الرجالِ بالبزّاتِ السوداءِ الفاخرةِ
عندما تعلو صرخاتُ التعذيبِ
هؤلاءِ الذين يستخفُّونَ بحكمةِ اللهِ
بأن لكل إنسانٍ حقُ العيشِ الحرِ.
لهذا أميلُ ظهري على اللوحِ
في طاحونةِ التعذيبِ في العنبر هتش.

Twitter: @ketab_n

الصراعُ من أجلِ البقاء

القسمُ الأعظم من كل يوم أحياهُ ويبدو أبدياً، مليءٌ بالتفكير. ليس لدي شيءٌ آخر ليساعدني على تمضية الوقتِ خلال الساعاتِ الطويلةِ، التي لا نهايةَ لها. المللُ والوحدةُ شيئانِ مرعبانِ، لا يكلان ولا يملان. هاقد وجدتُ سلاحاً للتغلبِ عليهما: أفكاري.

لتمضيةِ الوقتِ وللبقاءِ دافئاً أزرعُ أرضَ الزنزانةِ سيراً. أحياناً أقفُ وأحدقُ من نافذةِ الزنزانةِ إلى الأسلاكِ الشائكةِ الرماديةِ أو ببساطةٍ فقط أجلسُ فوقَ فِراشي القذرِ الرطبِ فوقَ الأرضِ في زاويةِ قبري الذي يشبهُ الجحر. لكني كل الوقت أفكرُ في شيءٍ، في أحدِ ما، أو في مكانٍ ما. قد تكون فكرة عميقةً، أو جادةً أو حلم يقظة للهرب من واقع وضعي الكابوسي.

مجدداً، قد أكونُ، وغالباً ما لا أكون، قلقاً، مفكراً بما يدور حولي، أو ما يمكن أن يُطْرَح أمامي. رفاقي وأنا نواجهُ كل يومٍ معركة نفسية من أجل البقاء. إنها معركة مشحونة جداً والعدو لا يرحم.

بالنسبةِ لشخصٍ قنوعٍ، أو لشخصٍ لا يعنيه أي هم، يعيشُ ما يسمى الحياة اليومية، قد ترى من الصعب استيعاب ظروفي النفسية. وذلك لسببين اثنين: أولاً، عدم قدرتي على وصفِ الصراع النفسي لنفسي ولرفاقي الثلاثمائة وخمسين؛ ثانياً، من الصعب جداً، إن لم يكن أمراً

Twitter: @ketab_n

غير قابل للإستيعاب، أن أخترع في مخيلتي الألم والتوتر الذي يسببه العذاب النفسي أو لتعرف أشكاله المتعددة أو لتفهم آثاره الكثيرة.

تخيل كيف ستشعر وأنت حبيس سجن إنفرادي، لأربع وعشرينَ ساعةً في اليوم، وتتعرضُ لحرمانٍ تام ليس فقط من الأشياء اليومية الشائعة، لكن من أبسط ضروريات الحياة، مثل الثياب، هواء نقي والرياضة، صحبة بشرٍ آخرين.

باختصار، تخيل أن توضع في جحرٍ، عارياً ووحيداً، ليومٍ كاملٍ. كيف سيكون الوضعُ على مدى عشرينّ شهراً ضارياً؟

الآن مجدداً، وبناء على ما قلتهُ آنفاً، حاول أن تتخيل فقط كيفَ ستشعر إن كنت في هذه الحالة محاطاً بما يجسدُ مزبلة خنازير، وأنت متكور على نفسك وعاري الثياب على الأرضِ في الزاويةِ، برد قارس، وسط الرائحة العابقة للقمامة المتفسخة، وحولك الدود الأبيض يدب ويتحرك، ذباب بدين منتفخ يحوم فوق جسدكَ العاري، الصمت يهد الأعصاب، عقلكَ في محنة.

تجلسُ وتنتظرُ السجانين ليأتوا إلى زنزانتكَ ليجروك ويجبروكَ على الإستحمام. لقد سمعتَ ورأيتَ النتائج المرعبة لهذا من العديد من رفاقك خلال القداس. تعرفُ حق المعرفة ماذا يعني ذلكَ: أن ينزعوا جلدكَ عن جسدكَ بالدعكِ بفَراشٍ قاسيةٍ. سبقَ وقالَ لكَ السجانون إن دوركَ قادمٌ. تنتظرُ طيلةَ اليومِ، مفكراً فحسب. عقلكَ دمارٌ. ربما نسوا، تضحكُ على نفسكَ؛ لكنكَ تعلمُ أنهم لن ينسوا أبداً.

لا يأتونَ. اليوم التالي مشابهٌ لسابقهِ، والتالي، والتالي. تصبحُ مُخْبَطاً أكثر فأكثر. لأيامٍ لاتزالُ خواطركَ كما هي، كتلةٌ من الخوفِ، الخوف مما سيأتي.

Twitter: @ketab_n

تخيل أن تعيش في حالةِ الذعر هذه كل يوم! عالماً أنه سيتم ضربكَ بلا أحاسيس تقريباً، تحميمكَ قسراً، تثبيتكَ على الأرضِ ليتم فحص فتحتكَ الشرجية والتمحص بها. هذه الأشياء هي حقائق شائعة للحياة اليومية في العنبر هتش.

لا يمكن استيعاب أن تحاول وتتخيل فتى في عمر الـ ١٨ عارياً يعبرُ بينما تسوطه دزينة أو أكثر من السجانين بالهراوات، الأبواط، واللكمات، بينما يقومون بسحلهِ من شعرهِ على طولِ الممرِ، أو عندما يعصرون أعضاءه التناسلية حتى يسقط أرضاً، أو يرشون ماءً يغلي حول جسدهِ العاري. من غير القابل للإستيعاب أيضاً بالنسبةِ لي هو أن أصفَ ذلكَ، دعكَ من أن تتخيل لوحدكَ، حالتنا العقلية ونحن نجلس بانتظار أن يحدث كل هذا. أستطيعُ القولَ أن هذا العذاب الجسدي والنفسي في العنبر هتش قد دفع بالعديد من الرجالِ إلى حافةِ الجنون.

وضعنا صعبُ، صعبٌ جداً الآنَ. كيفَ سنكون في نهايةِ اليوم، أو في الأعوامِ القادمةِ؟ عقلي مدمى بجرحٍ غائرٍ. إنه لهاجسٌ مقلقٌ بنفس الدرجة أن نفكرأنه قد ينتهي بنا المطافُ غير قادرين على التفكير مطلقاً. ضَعْ هذا في «حسبانكَ»، سأنهي كتابتي هنا. فكر بالأمرِ، لكن لا تكتفِ بذلك.

Twitter: @ketab_n

ادفنوني في أغطيتي

«حسناً، كيفَ حالكم جميعاً؟»

يا إلهي ليسَ من جديد! قلتُ لنفسي. كان دور السجان صاحبكَ ليقوم بإذلالنا مرة أخرى في وقتِ فراغهِ. بدا في غايةِ السرور لدرجة أني اعتقدتُ أن نائب مدير السجن مايلز قد تمت مشاهدته في موقفِ السيارات.

«حسناً كيف حالكم جميعاً؟» قالَ مكرراً، متلقياً رداً كاسحاً من الصمت المطبق.

«لدي لكم أخبار سيئة»، أردفَ.

«يا إلهي!» كنتُ أعرفُ ذلكَ. «لقد شوهِدَ نائبُ مدير السجن مايلز في موقفِ السياراتِ»، تنبأتُ بصوتِ عالٍ.

«لا، لا! أسوأ من ذلكَ بكثير»، قالَ.

«براين فوكنر على قيد الحياة وبصحةٍ جيدةٍ»، تجرأَ أحدهم.

«لن تضحكوا بعد دقيقةٍ عندما تسمعوا ما سأقولهُ. ألا تريدون سماع ما سأقولهُ؟» قالَ مكرراً وكان في استقباله جزء مشجعٌ و مهول من الصمت المطبق المستمر. ممتقعاً وجهه بالأحمرِ، الأمر الذي أصبح طبيعياً بالنسبة له، قالَ، «حسناً سوف تسمعون الأخبار بطبيعةِ الحالِ»،

Twitter: @ketab_n

في تأتآته، ناا، نا، ناا، نا، صوتٌ طفوليٌّ صارَ هو أيضاً يأتيه بشكلٍ طبيعي (الأخرق المدلَّل).

«السيد مايسُن»، قالَ، محنياً رأسهُ لحظةَ قوله ذلك، «لقد صرَّحَ السيد مايسُن إن عائلاتكم تشجعكم على المضي في احتجاج البطانيات لأن الآي آر أي تدفعُ لهم مالاً!»

هذه المعلومة غير المجدية والمهمة بشكل غير مسبوق قد تمَّ تلقيها فقط بما يمكن وصفهُ بالضجيجِ الهمجي المنفلت الذي انبعث من زنزانةٍ قريبةٍ، تبعهُ ما يبدو الآن أنه اندفاقةُ صمتٍ مطبقٍ. حسناً، إن رجلكم، الذي لا يُغلى عليهِ (وهذا كان حالهُ دائماً)، قامَ بسلِّ المفتاحِ وفتح بابَ الزنزانةِ على مصراعيهِ.

«كيفَ حالكَ؟» سألني.

«أفضلُ مما أنت عليه في الخمس دقائق المنصرمة»، أجبتهُ وفيَّ أملٌ ضئيلٌ أن أتخلَّصَ منه.

«ما رأيكَ بتعليقات السيد مايسُن؟» تشدَّق، محنياً رأسهُ من جديدٍ لدى نطقه اسم السيد مايسن بينما تغمره السعادة.

«مثيرةٌ جداً»، أجبتُ بكل ما أوتيتُ من سخريةٍ في محاولةٍ ثانيةٍ للتخلصِ منهُ.

«الحقيقةُ تجرحُ»، قالَ بغباءٍ ومدَّ نفسه عبر عتبةِ البابِ.

«تجنَّب هذه الدودات الصغيرة على الأرض»، قلتُ، مستهلاً تراجعاً بحجم قدمين ونجاح تكتيكي أولي بينما قفز هو إلى الوراء. «حسناً»، قلتُ، «يبدو لي أنَّ السيد مايسُن... هل ثمة مشكلة في عنقكَ؟» أضفتُ. أمتقع وجهه احمراراً و تابعَ. «حسناً، يبدو لي أن بطلكَ يتفوه بتفاهات كثيرة يكترث لها أناس يساوونها بالتفاهةِ. أعني»، قلتُ مراقباً

Twitter: @ketab_n

فمه يتدلى، «صار لنا هنا ٣٠ شهراً، نتقلبُ عراةً نذوي تعفناً بينما نتعرضُ لأشنعِ المهانات وأكثرها وحشيةً ولصنوف التعذيبِ المتعددة، منادينَ بحقنا كسجناء حرب سياسين، في سبيل فكرةٍ لا تُشترى ولا تُرْبَحُ بمالِ الدنيا، وأنت ودكتاتوركَ الغبي الصغير تحاولان أن تقولا لنا إن ما يدفعنا على المضي في رسالتنا وما يبقي الزخمَ في مقاومتنا هو مجرد قروش لعينة لم ترها عوائلنا قطُّ وأولائك الذين يضغطونَ علينا من أجل مالٍ شحيحٍ غير موجودٍ أصلاً! ما يدفعنا على المضي هو ما نسميه روح المقاومة، لذا قُلْ هذا للسيد مايسن. هل أنت حقاً متأكد أن عنقكَ لا تشكو من شيءٍ؟»

استدارَ صافعاً بابَ الزنزانةِ وراءهُ وانطلقَ في الجناحِ صارخاً، «كلكم مجانين، كلكم مجانين! هل سمعتوني؟» ومرة أخرى تم استقبالهُ بوقفةٍ مهيبة متناسقة من الصمت المطبق!

بعد خمس دقائق وبعد أن مزَّق من دون شك كل علب مناديل الكلينكس الثمينة خاصتنا، عادَ وشقَّ طريقهُ إلى زنزانتي.

«روح المقاومةِ!» قهقهَ. «مبادئ»، قلَّدني. «سنرى جيداً إن كنتَ ستموتُ هنا»، قالَ. «فكرتُ بذلكَ أيضاً»، قلتُ، «ومن الصعب أن أقولَ لنفسي إن المرءَ مستعدٌّ للمضي إلى ذلك الحدِّ، لكننا سجناء من نوعٍ خاصٍ ونحن نقاتلُ من أجل قضيةٍ خاصةٍ، لذلك فإن كان علي الموت هنا، قل لـ «السيد مايسن» أن يدفنني في غطائي وكرمى للهِ أن تحافظَ على رأسكَ وأن تقومَ بمعاينته كصبي جيدٍ».

Twitter: @ketab_n

نافذة عقلي

عندما يمضي المرءُ كل أيامه عارياً ومحصوراً في زاويةِ زنزانةٍ تجسدُ زريبة خنازير، محدقاً في قذى العينين إلى أكوام متفسخة من القمامةِ المحشوة بالدود والذباب، وعاء غرفة مكتظة بالأوبئة، أو بحائطٍ أسودٍ، مشوهٍ بشكلٍ مقرفٍ، فهو للحفاظ على عقل المرءِ ليبقى قادراً على الوقوفِ والتحديقِ من نافذةٍ إلى العالم.

نافذة زنزانتي، المدعمة بقطع اسمنتية ثخينة التي تستخدم كقضبان، تتيحُ لي رؤية العدم، إلاّ إذا قدمت لي غابةٌ من الأسلاكِ الشائكةِ، وصفوفٌ من الخشبِ القصديري عديم الشكلِ، تقديراً فنياً غير معروفٍ لي من قبلُ. إنهُ ما يعبرُ، ما يعلقُ، أو يتجسدُ أمامَ نافذتي المتواضعةِ الصغيرةِ التي تنقذني، ذلك الذي يخمدُ الإحباطَ، يسمحُ لي بأن أتأملَ، أوظفهُ كإلتهاءٍ مسلٍّ مما حولي، ويقدم لي سعادةَ سبقَ وعرفتها مرة واحدةً من قبل.

ذات ظهيرة كئيبةٍ، مملةٍ، رطبةٍ، قاضيةٍ على المعنويات من شهر تشرين الثاني، عندما تكون معدة المرء فارغة، وعندما تبدأُ الرتابةُ بإحباطكَ وتدميركَ، فإنه من المهدءِ من عدة نواحي أن يمضي المرء نصفَ ساعةٍ ورأسهُ مستند إلى القطع الأسمنتية، محدقاً في تعجبٍ، ومسجلاً في ذاكرته التصرفات الغريبة لاثني عشر أو ما يقارب ذلك العدد من الزرازيرِ الفتيةِ تنقرُ بضع كسرات من الخبز اليابس. تصنعُ

Twitter: @ketab_n

دوائرَ، تنقضُّ على بعضها البعض، تسرقُ من بعضها البعض وتتجرأ على التقاط قضمةٍ إضافيةٍ، منتبهين بشكل دائم، وأعصابهم الضئيلة جداً مشدودة، تقتتلُ الزرازيرُ الفتية فيما بينها، الزرزور الطماعُ يحاولُ باستمرار أن يهيمن ودائماً يريدُ كل الرشةِ لنفسهِ، مقاتلاً رفاقه بينما يتسللُ السنونو وينقرُ ما بقي على الأطرافِ.

لكن حاكم مملكة رؤيتي الصغيرة المكونة من عشرين ياردة مقنطرة من العالم الخارجي هو النورس، النورسُ الذي يهيمن، يسرقُ، ينقرُ، ويحرمُ الطيور الأصغر من نصيبها. النورسُ يحوزُ على كل شيء. في الحقيقةِ، تبدو قابليته للأكل لا تشبعُ. يفعلُ كل ما في وسعه ليحشو نفسه. لهذا لا أحب النورس، وغالباً ما أحارُ لماذا لا تصب الزرازيرُ جلَّ اهتمامها إلى المفترس، عوضاً عن الإنقضاضِ على بعضها البعض. ربما ينطبقُ هذا على غير العصافير.

خلال شهور الصيفِ، أتت العصافيرُ بكثرةٍ، وموسيقى القبرة كانت سمفونية دائمة من الصوتِ والتذكيرِ بالحياةِ. الغربانُ المتنوعةُ، غرابُ عقعقٍ ما، وما أزالُ بانتظار رؤيةِ الذعراتِ الصغيرةِ وسماعها من الفجر حتى الغسق.

في آخر المساءِ، عندما يكون معظم سجناء الحربِ هاجعين، عندما يهبطُ الصمتُ، مكبرةً صوتَ النسيمِ الرهيفِ، يستطيعُ المرءُ أن يحدقَ في أوقيانوس السماء وفي غزارةِ النِجوم التي تبدو كما لو أنها مرصعة ومتقدة في ذلكَ الجذر الأسود من العدَم التي ولاحتى بمقدور القمر ببهائه الساطع أن يخترقها، وباستطاعة الَمرءِ أن يحلم ألفَ حلم عن البارحةِ، عن الطفولةِ والسعادةِ، عن الحب والهناء، ويهرب عبر التَوهم والتخيل.الخطوبُ التي تغلف كل يومٍ تُنسى، والغدُ بعيدُ بُعدَ النجوم التي لا يمكنُ الوصولَ إليها.

Twitter: @ketab_n

ذات مساءٍ صيفي وفي ليلةٍ شتويةٍ باردةٍ أقفُ وليس بحوزتي غير بطانيتي القديمة البالية ملفوفةً بقوةٍ حولي، نَفَسي ينطلقُ في العتمةِ، في غيومٍ على هيئةِ أشباحٍ، أحلمُ فحسب. ذات يوم في الساعاتِ الخالدةِ، أقفُ ناظراً إلى العصافيرِ ومستمعاً إلى القبرةِ، محاولاً أن أكتشفَ مكانها في المحيطِ الأزرقِ الهامدِ الذي فوقي والذي يجسد العالمَ الخارجي، وأتوقُ إلى حريةِ القبرة.

أفْتَرِضُ أنه، بالنسبة لكثيرين، عدة عصافير، صوتُ قبرةٍ، سماءٌ زرقاء، أو قمرٌ مكتملٌ، أشياء موجودة هناك، لكنها تبقى مُهْمَلَةً معظم الوقت. لكن، بالنسبةِ لي، إنها تعني الوجود، الدعةَ، الراحةَ، الترويح عن النفس وشيئاً يمكنُ النظرُ إليهِ، لأنسى العذابات، الأعمال الوحشية، المهانات والشرور التي تطوق وتقض مضجع حياتي اليومية.

اليوم، بدأ السجانون بإغلاق كل النوافذِ بألواحٍ من الفولاذ. بالنسبة لي فإن هذا يجسدُ ويؤكد العذاب القادم للمعذبينَ، وهو إغلاق جوهر الحياة ألا وهو: الطبيعة!

بضعة كلمات سبق وقرأتها يترجعُ صداها إلي اليوم: «ليس بمقدورِ أحدٍ أن يأخذ من أي شخصٍ قدرته أو قدرتها على التأمل. ارمهم في السجن، اخضعهم للأعمال الشاقةِ، اجبرهم على القيام بأعمال لا يمكن تخيلها، لكن لن يكون بمقدورك أبداً أن تأخذ منهم القدرة على العثور على الشِعر والموسيقى في الحياة». وأنا أيضاً أدركتُ هذا، هنا، بدأ معذبيَّ منذ زمنٍ، ولما يزالوا لا يألونَ جهداً، بإغلاقِ نافذةِ عقلي.

Twitter: @ketab_n

نوبة في جناح العنبر هتش

قبلَ يومين اثنين عرفَ كل الشباب
لطالما كان الأمرُ كذلكَ.
أعطوا السجين يومين اثنين من التأجيل
ليقلق لدرجةِ الإعياءِ ويصلي.
مَرِضَ بعضُ السجناء وأصيبَ بالبكمِ بعضهم الآخر،
بعضهم شحب لونه من الهلع المقيت.
سمعتُ الطيورَ تسيرُ قربنا
بينما دنى اليوم وحانتِ الساعةُ.

من ساعةٍ لساعةٍ دقتْ الدقائقُ،
الأيامُ أتتْ بالسوداوية معها،
نظرَ إلي بعينين اثنتين مخيفتين،
وكذلك فعلتُ أنا،
ولم نتكلم قط لكننا زرعنا أرض الزنزانةِ سيراً،
وتمنينا أن يكون اليوم يومنا،
لأن اللعنة الكبرى هي أن نصغي

Twitter: @ketab_n

بينما الرفاقُ يخوضون المعركة.

ضربوا الأنابيبَ بهراواتهم،
وهدروا بطرب متوحش،
في هكذا أوقات ضعف الرجالُ،
وخرّوا على ركبهم.
كنا نعرفُ لعبتهم جيداً،
وهم بدورهم كان يعرفون ذعرنا الراجف جيداً،
نظرَ إلي ونظرتُ إليه،
في شحوب موتٍ متطابقٍ.

نطقَ المشرف على حفل الشواء بالكلمات المشؤمة،
يا إلهي، ارتعدت فرائص العنبر بأكملها،
«احجزوهم في الداخل»، صرخَ وصرخَ وصرخَ،
«ممنوع أن يرى الشهود شيئاً».
استوينا كالخوخ في صمتٍ قاتلٍ،
واستسلمت أمعائنا للخوف،
لأن الرجال يتغوطون في الزوايا،
عندما تحين الساعة إلى ذلك الحد.

تزلجنا جيئة وذهاباً في الزنزانة،

Twitter: @ketab_n

بطانياتنا تلوحُ بالوقتِ،
وكل طقطقة صغيرة تردد رجعها عالياً،
في جرسٍ مذهلٍ مخيفٍ.
الهدوء جثم على صدورنا بصمتٍ،
كان ذلكَ مرعباً،
تجرأتُ وهمستُ له،
«الشيطانُ يقبعُ في ذلكَ الجناح».

عبر قربي كشبحٍ رافلٍ،
قابلتُ عينيه المتقدتين.
رقصتا مثلما ترقصُ قطرات المطر العجولةِ
منتشرة في كل مكانٍ.
وسمعنا جلبة باب ثقيل يصفقُ،
عرفنا منها أن الساعة قد دنت،
تنهدنا تنهيدة رجالٍ في الأصفادِ،
لنهدء من روعِ العاصفة.

سمعنا الصرخة الأولى وقد أتت من البعيد،
كبرقٍ في السحبِ،
تقلب من يد السجان «بي» إلى السجان «سي»،
مدفوعاً بالحشودِ الصارخةِ.

Twitter: @ketab_n

سمعنا خبطةَ بوطٍ ثقيلٍ،
صفعة ولكمة اليد،
تركونا لا نألوا شيئاً،
كسمكٍ فوقَ اليابسة.

يا إلهي كم استشعرنا شرَّهم،
أحسسنا بكل لكمة كأنها أتت في الصميم،
بينما خرَّ الرفاقُ على الأرضِ،
تمزَّقت أرواحنا.
«تحرك!تحرك!» صرخوا، أولئك السجانين الجبناء،
وبالفعل كم حركونا يا إلهي.
ما بمقدور السجين العاري أن يتحدى،
هذا ما تشترطهُ الهراوات.

علَّقوا الشبابَ مثل خنازيرِ منزوعةِ العيون،
ونشروهم عراةً فوقَ الطاولةِ،
حيثُ سيضربون بأرجلهم كما الطفلُ الحديثُ الولادةِ،
خجلين في عريهم.
سحبوا كل طرفٍ من أطرافهم بعيداً جداً،
لدرجة أنك تشعرُ وكأن الجسد قد تمزَّق.
صلبوكَ في ذعركَ،

Twitter: @ketab_n

وتركوكَ معلقاً في الهواء.

أضاءت المرايا بالأنوار الباهرة،
طنّتْ المجسّات بحثاً عن الفولاذ،
لكن كل معدات التفتيش الجسدي القذرة،
لا تستطيع استشعار ما نحس به.
عبر قربي أبيضاً كالكِلس،
عيناه تقدحان كراهيةً،
يتهدج ويتحشرجُ بكلمات راجفةٍ،
«الدور قادم على عشرين سجيناً آخرين».

«الدور قادم على عشرين سجيناً آخرين» قالَ،
بينما ركضوا عراةً،
وارتطموا فوق أفرانِ الشواء واللكمات الطاحنةِ،
مترنحين كالسكارى.
يضربون بهراواتهم بصخبٍ وقوةٍ،
كما لو كانوا ضاربي صيدٍ،
تهاوى السجناءُ العراةُ أرضاً كالغزلانِ البيضاء،
تهاووا من فظاعةِ التعذيب.

حلَّ الصمتُ في حضرةِ الألمِ،

Twitter: @ketab_n

لأن الكل قد ركض عبر ذلك الجحيم،
واستلقوا يلتقطون أنفاسهم وتغمرهم سعادة،
وصولهم إلى تلك الزنزانةِ المعتمةِ.
نستلقي الآن وقلوبنا تخفقُ،
لأن دورنا قد أتى،
هذه هي محاكمة سجناء عصيان البطانيات،
في أغوار العنبر هتش الثالث.

Twitter: @ketab_n

نازلتُ وحشاً اليوم

نازلتُ وحشاً اليوم ومرة أخرى صرعتُ جيشَ الوحشِ. رغم أني لم أنجُ، إلا اني عشتُ لأقاتل ليوم جديد. كانت المنازلة صعبة؛ أكثر صعوبة من أي وقت سابقٍ، وهي تشتدُ كل يوم. كما ترون أنا أسيرٌ هنا وكل ما بإمكاني فعله هو أن أقاوم. أعرفُ أني سَأجندل هذا الوحش يوماً ما، لكني أخشى أحياناً. أعتقدُ وأشعرُ أنه قد يقتلني أولاً.

الوحش داهية. يلاعبني، يهينني، ويعذبني. أبدو كجرذٍ مقابل هذا العملاق، لكني عندما أثور في وجه التعذيب الذي يسلطه عليّ أشعر أني بطول عشرة أقدام لأني أعرف أني صاحب حق. أعرف أني ما أنا عليه، لا يهمني ما أتعرض له، لن يغير ذلك من تلك الحقيقةِ أبداً.

عندما أقاومُ، لا يفهم الوحشُ. أترون أنه حتى لا يحاول استيعاب لماذا أقاوم. «لماذا لا تستسلمُ لي؟» يقولُ. «استسلم! استسلم لنا»! يزمجر جيش الوحش. يود جسدي أن يقول: «أجل، أجل، افعل ما يحلو لكَ بي. أنا مهزوم، لقد هزمتني». لكن روحي تطغى. تقول روحي: «لا، لا، لا تستطيع أن تفعل ما تريد بي. لست بمهزومٍ. لا تستطيع أن تفعل ما تريد بي. أرفضُ أن أهْزَم».

هذا يُغضبُ الوحشَ. يفقدُ صوابه. يأخذ بتعذيبي إلى درجة الموت. لكنه لا يقتلني. غالباً ما أحارُ لماذا؟ لكني كلما واجهتهُ، أرى الموت

Twitter: @ketab_n

يتجسد أمامي. يبقيني الوحشُ عارياً. يقوم بإطعامي. لكنه لم يطعمني اليوم لأنه حاول جاهداً أن يهزمني وفشل. وقد أغضبه هذا مرة أخرى، هل ترون هذا. أعرفُ لماذا لايريدُ قتلي. يريدني أن أخرَّ صاغراً أمامه؛ أن أقرَّ بهزيمتي.

إن لم نصرعه قريباً سيقتلني. متأكد من هذا. يبقيني سَجيناً في جحرٍ مظلم نتن الرائحة ويرسلُ شياطينه ليبقيني متوجساً، ليبقى نار العذاب متقدة. كلما فُتِحَ بابُ زنزانتي، تنقضُ عليَّ الشياطين السوداء اللون! كانوا على وشك أن ينتصروا علي البارحة. كان العذاب فوق طاقة البشر. ضربوني حتى فقدت وعيي. أفكر، «هل هذا يحدث لي حقاً؟»، و«هل يمكن أن يحدث شيء كهذا في هذه الأيام وهذا العصر؟»

لا وجود للوحوش. ولا حتى للشياطين. لا يمكن أن يكون هناك كل هذا العدد من الشياطين. أنا مجنون. أجل، أجل، أنا مختل عقلياً. لكن ألمي، عذابي، وقهري أمور حقيقيةٌ. حقاً كلها حقيقية. لا، أنا على صواب، أعرفُ أني على صواب. عليَّ أن أقاومَ، ليس لدي مكان أهرب إليه. قد يكون جحري قبري. محاطٌ بغابةٍ من الأسلاكِ الشائكة. يزأر الوحشُ في وجهي: «لن تخرج من هنا أبداً. إن لم تفعل ما أقوله لن أطلق سراحك أبداً».

أرفضُ.

جسدي منهارٌ وباردٌ. وحيدٌ وبحاجةٍ أن أرتاح. من مكان ما، ناءٍ، أسمعُ تلك الأصوات المألوفة التي تبقيني حياً: «نحن معك، يا ولدي. نحن معك. لا تدعهم يهزمونك». أحتاجُ أن اسمع تلك الأصوات. إنها تُغْضِبُ الوحشَ. يتقهقرُ. الأصواتُ تخيفُ الشياطين. أحياناً أشتاقُ حقاً

Twitter: @ketab_n

لسماع تلك الأصوات. أعرفُ أنهم إن لم يصيحوا بصوت أعلى فسوف يطردون الوحشَ وسينتهي عذابي.

أتذكرُ، ولن أنسَ أبداً، كيف سرقَ الوحشُ حياةَ توم آش، تيرانس ماكسويني، مايكل غوغان، فرانك ستاغ، وهيو كوني، وأفكر كل ليلةٍ ماذا سيفعل بي الوحش وشياطينه السوداء غداً.

دائماً في جعبتهم الجديد. هل سأتغلب عليه؟ يجب أن أفعل ذلك. أجل، علي أن أفعل ذلك. غداً يكون يومي السابع والأربعين بعد المئة ـ دهرٌ. أجل. سأُنتصبُ غداً في عنبر هتش في سجن لونغ كيش. أجل غداً سأنازلُ الوحشَ وشياطينه مجدداً!

Twitter: @ketab_n

وحيدٌ ومحكومٌ عليَّ

بابُ زنزانة التعذيب الفولاذي الثقيل أُوصِد خلفي. في دوخةٍ محيرةٍ سمعتُ بما يشبه الإبهام طقطقة المفاتيح والخطوات الواثقة تختفي في ترجيعها الراعد. هبط علينا صمتٌ شرير، تاركاً مجرد صوت شهقاتي الحادة.

التمعت عيناي لرؤية عُريّ الأشياء المتواضعة التي تحيط بي. قطعة خشب كسرير، حجر اسمنتي ككرسي، لوح اسمنتي كطاولة. ضوء ساطعٌ احترق عالياً فوقي، عاكساً الجدران الكلسية البيضاء، والبردُ القارس تغلغل في جسدي وشلَّ قدميّ العاريتين. عارياً، وحيداً، ومحكوماً عليّ، بدأت أمشي فوق أرض الزنزانة الصغيرة، القارسة البرودة؛ أفكاري في حالة فوضى متشابكة، يحيرها الخوف، الهلعُ والرعبُ. محكوم! «سنعود بعد ثماني ساعات»، هذا ما قالوه. يا إلهي، ماهي الساعة الآن؟ ثماني ساعات، هذا كل ما بقي أمامي.

سأتالم. أعرف أني سأتألم. الكل يقول إنهم سيتألمون. يا إلهي، لا أصدق أن هذا يحدث لي. هذا لا يحدث. محتجزٌ. مقبورًا! لا مفرًّ! لا مكان أهرب إليه. محكوم عليَّ بمواجهة ما ينتظرني خلال ثماني ساعات. لا أستطيعُ الإعتراض، لا أستطيعُ أن أرافع عن نفسي. لن يسمعوني حتى، سيضحكون فحسب، فرحون، يرفلون في السعادة.

Twitter: @ketab_n

لهذا ينبهونني قبل ثماني ساعات، ليراقبوني أتعرق وأتوتر. احسنوا التخطيط.

يراقبوني الآن. يراقبوني عبر الشق في باب الزنزانة. لن يمنحوني الأمان، لكن أي أمان يمكنني أن أحصل عليه؟ خائفٌ جداً، لا أستطيع حتى أن أفكر بشكل سوي. أتمنى لو كنتُ في البيت. يا ترى ماذا يفعل أفراد عائلتي الآن؟ يتحلقون حول المدفأة في غرفة جميلة دافئة يتناولون الغداء. يا إلهي، الطقس يشتد برودةً. قدماي زرقاوان. يا ترى بماذا يفكرون؟ ماذا سيفكرون لو عرفوا ماذا سيحل بي؟ هذا سيجعل الأمور أسوأ، سيعانون، سيقلقون أيّما قلق، لكنهم ربما كانوا يتوقعون هذا سراً، ولم يقولوا ذلك قط. ربما من الأفضل لو لم يعرفوا.

لن يكسروا روحي. لن أسمح لهم أن يفعلوا ذلك. باستطاعتهم أن يفعلوا ما يحلوا لهم، ولن أخفي روحي. أجل، هذا قراري. اهدأ، قاتل، أرِهِم روحكَ، ارتخِ، وتهيأ لـ....ثمة إنجيل في الزاوية ـ قلِّب صفحاته وتوقف عن التفكير في ذلك الأمر. ست ساعات!(قوي قلبك)....النبي سيراش: «بوركَ كل امرء لا يحكم عليه قلبه، بورك من لا يفقد الأمل». تذكر ذلك. تذكر تلك الكلمات. إني على ما يرام. لن أفقد الأمل. لا، لن أفقد الأمل.

يراقبوني من جديد. تجاهلهم. تصرف كأنك لا تراهم. يا إلهي، بردٌ صقيعي. هدوء غامر، هدوء كالأشباح. امش مجدداً، تحرك، دفئ جسدكَ. كم تبقى من الوقت؟ كم الساعة الآن؟ أفقدُ تسلسل أفكاري. خمِّن. بقي خمس ساعات، ربما أقل. علي أن أكون مستعداً. ترتعدُ فرائصي مجدداً. لا ترضخ الآن. ركز، سيعودون أدراجهم. أشعرُ بالإحباط! يا يسوع المسيح! إني أنهار، أفقد عقلي...أتمنى لو كان معي من أحادثه، حتى لو لمجرد عدة دقائق.

Twitter: @ketab_n

مفاتيح! قعقعة المفاتيح. وقعُ خطوات! يعودون. يا إلهي لم يحن الوقت بعدُ. لقد خدعوني، سيأتون في إثري الآنَ. لا تسقط، تذكر روحكَ. «بوركَ من لا يفقد الأمل». يا يسوع، يا ماري وجوزِف، ابقوا أعينكم علي واحموني. مفتاح في الباب. يُفْتَحُ البابُ. آه، يا إلهي...

«انفض نفسك! بماذا تحملقُ وتتثائب، يا بني؟ خذها». (يوماً ما ستدفع الثمن، يا ابن الحرام، ستدفع الثمن.) «لا تؤلب الأمور. خذها، أيها الحثالة». فهمت. إنه يغلق الباب. ضربة عنيفة! مفاتيح تقعقع. يذهبون، يغادرون. الحمدالله. الحمدالله، لقد غادروا. لا تفقد الأمل، الأمل لم يزل موجوداً.

طعام بارد، لا سكين، لا شوكة، مجرد ملعقة بلاستيكية فحسب. لست جائعاً، معدتي تتقلب. الأعصاب مجدداً. يجب أن أهدأ. علي أن أقابلهم بوقار. يا لها من كلمة: «وقار». لا يستطيعوا أن يأخذوا ذلك مني أيضاً. بما أني عارٍ، فقد عاملوني بما هو أسوأ من معاملة الحيوان، أنا ما أنا. لا يستطيعوا ولن يغيروا ذلك. الحصول على سيجارة الأن أمر جيد. منذ زمن طويل لم أدخن سيجارة أو أحصل على ملابس دافئة أو غفوة في سرير جاف. نسيت كيف تعاش الحياة. لا بد أني مصدوم، حتى أني لم أعد أشعر بالبرد. فقدتُ الإحساس بقدميّ المسكينتين المعذبتين. لا يهم. لن يطول الأمر بعد الآن. العذاب يقترب متسللاً.

ساعتين اثنتين. الوقت لا ينتظر أحداً. إني مرهقٌ. يا إلهي، إني متعب. أتمنى لو استلقي وأخلد إلى النوم، وأستيقظ من هذا الكابوس. إنهم يراقبوني مجدداً. تابع السير. متأكد أنهم لا يشعرون حتى بمجرد الندم. المالُ يعزي ضمائرهم. تلك هي غايتهم في الحياة، أن يجمعوا من المال ما ملكت أيمانهم. حمقى أغبياء، طفيليون لا يرحمون أحداً.

Twitter: @ketab_n

تجار تعذيب. أجل، إنهم كذلك. ستحين ساعتهم يوماً ما. سيكون عليهم أن يعترفوا بكل شي!

يخيم الظلام. إنها ليالي الشتاء. أكرهُ الشتاء. البرد قارس والدنيا ظلامٌ وأنا وحيدٌ. أتمنى لو كنتُ حراً...يا إلهي، صداعٌ يفلق رأسي، صداع رهيب من جديد. أشعرُ بإعياءٍ شديدٍ. إنه الانتظار، الانتظار أسوأ من أي شيء آخر. عندما يقع الأمر سينتهي وينقضي، لكن الأسوأ هو الانتظار.

أشعر أني الشخص الوحيد الباقي في العالم. منعزل بشكل كبير جداً. الخوف شيء فظيع، لكني يجب أن أبقي رأسي مرفوعاً. ستنجو روحي. يتوقعون مني أن أستسلم، أن أهزم، لكن سيخيب أملهم. سأقاومُ. من الطبيعي أن أشعر بالخوف. ومن لا يخاف؟ لا بد أن الوقت قد حان تقريباً. أستطيعُ أن أسمعهم يتحركون. سيأتون بكثرتهم، كما الحالُ دائماً. يا إلهي، ما أقسى الحياة على المقموعين، لكن أن تقاتل لهو النصر بعينه. أن تبقى متماسكاً في الروح لهو النصر العظيم.

هاهم يأتون، تقعقعُ مفاتيحٌ و خطواتهم الثقيلة تصدر جلبة. استعد، واجههم. يا إلهي، هاقد حانت الساعة. هذه المرة، يا إلهي، احمني. «انهض على قدميك، يا حثالة، نحن في طريقنا إليك». أرتعدُ مجدداً. تذكر روحك. لن يكسروها. مفاتيح في القفل، يُفْتَحُ البابُ. يا يسوع، لا بد أنه ثمة دزينة كاملة منهم. «حسناً، أنتَ، تعال معنا».

«أنا...أنا لن أذهب». (اضحكوا كما تشاؤون يا تجار التعذيب.)

«ماذا قلت؟»

«قلتُ لن أذهب». (يوماً ما ستضحكون في الجهة الأخرى من وجوهكم.)

«ستذهب غصباً عنك، يا بني. خذوه».

Twitter: @ketab_n

يا يسوع، إنهم يعتلوني، ركلاً ولطماً...أنا خارج الزنزانة، وفي الممر. يا يسوع، يسحلوني من شعري. رأسي يحترق، عيني تنزف، سيقتلوني!

«حسناً، ادخلوه إلى هنا. ادخلوه إلى هنا! يا إلهي، إنه يقتلعُ عينيَّ! «هاتوا الفراشي». إنهم يكشطون الجلد عن ظهري، جلدي يحترق، إنهم يقتلوني. وجهي وجسدي مغطيان بالدماء والكدمات».

«لقنوه درساً. لقنوه درساً، فليرى بقية أولاد الحرام هؤلاء ما سيحل بهم هم أيضاً».

يا إلهي! إنهم يقتلوني. إنهم يقتلوني. رأسي خفيفٌ. تذكر روحكَ. «مبارك من لا يفقد الأمل». لا تستسلم، لا تستسلم، ليس بمقدورهم أن يكسروا روحك، ليس بمقدورهم...

Twitter: @ketab_n

تحية إلى السجانين

أستيقظُ في العتمة كجثةٍ في القبر،
محاطاً بالذعر من موجةٍ شبحيةٍ.
على طرف سريري ثمة شياطين وملائكة
اقتتلوا فيما بينهم حتى فرَّت سماءُ الليل.

صليتُ في كآبةٍ بشفاهٍ راجفةٍ
متسائلاً عن سبب ولادتي لأموت في جحرٍ.
كان الصمتُ غاضباً وعضَّني عميقاً في عقلي
وصرخَ في وجهي، «أنت هنا لتبقى أبداً».

أربعُ جدران عارية تشكل الزِنزانة
المساحة المؤلفة من ثمان أقدام بثمانِ أقدام يسميها السجناء الجحيم،
عبءٌ من الإسمنت مولود على الظهور
والبعض يسمونه «عصفوراً» والبعض الآخر يسمونه «الضربة».

Twitter: @ketab_n

شعور فظيعٌ أن تكون عارياً ومحبطاً
أن تكون متسخاً ومصاباً بالحكَّة وأن تنام على الأرض،
شعور فظيعٌ أن تعيش وتشعر كالفأر
لكن من الأكثر فظاعة هو أن تُعامل على هذا النحو.

هذه الكتل الحجرية ليست سوى زنزانات لعينة
حيث يلتقي الإنسان بذاته ويدرك أنه وحيد،
والشياطين السوداء يمشون في سراديبهم
حيث تبدو الأسابيع سنوات والدقائق أياماً.

كل صباحٍ يأتون قارعين على الأبواب
ويلقون علينا تحية الصباح من بذاءات، حبائل من اللعنات والصرخات.
قتلة الأمل أولئك، مدمروا العقل أولئك،
أوه، هؤلاء المسيحيين الذين يتقون الله عندما يكونون على أسرة الموت.

هم رواسبُ الأرض ولعنة السجناءِ.
البعض يسمونهم سجانين، لكن معظمنا يسمونهم أسوأ من ذلك.
يراقبونك وأنت تنتحبُ، يراقبونك وأنت تجثو على ركبتيكَ
يراقبونك وأنتَ تموتُ، موتك سرٌ تعزُّ سرقته.

Twitter: @ketab_n

من الصعب التصديق ومن الأصعب حتى أن تعقل
لماذا ينحني المرءُ أدنى من معدة الأفعى.
بعضهم يقر بطمعه بالمال، بعضهم طمعاً بالشهرة،
لكن الشيطان الأسوأ يقر بتعصبه الحاقد.

زجوني في زنزاناتٍ قديمةٍ والآن أنا حبيسُ قفصٍ
وقد رأيتُ هؤلاء الأوغاد يخاطرون بحياتهم فوق خشبة المسرح.
هؤلاء الجبناء القساة الأجلاف، هؤلاء المنافقين الحمقى،
الذي يطحنون المرء طحناً وينسون قوانينهم ذاتها.

هل ثمة تهمة دامغة لقوم الحثالة هذا
أكثر من ملايين الجرائم التي سبق وارتكبوها؟
ليكن ذلك في زنزانةٍ إفريقيةٍ أو في سجن الباستيل القديم
وحشيتهم لا تختلف، ولا الألم الذي نشعرُ به!

هل سبق لمكرٍ كهذا أن وجد أمام أعين البشر
أكثر من أولاد الحرام المتواطئين هؤلاء، عشاق الأكاذيب هؤلاء،
هل سبق لمهنةٍ أن تتطورت إلى هذا النقاء
لدرجة أن دناءتهم تنتصبُ أعلى من مؤخرة العاهرة.

Twitter: @ketab_n

هل سبق لمواهب كهذه أن تبهرت لتنضج
هل سبق لشرٍ كهذا أن خطرَ في بال،
أمامهم يبدو يهوذا بريئاً، يحطون حتى من قدر الإثم،
سيُطْرَدون من هاديس، هذا إن دخلوها أصلاً!

أقول لكم إني أعرفهم وأعرف تحديقهم،
وضربات هراواتهم التي تصبغ الشعر باللون الأحمر.
أعرف تبجحهم عندما يقفون ستة مقابل واحد
وكذلك أعرف جبنهم المقزِّز، عندما يقفون واحداً مقابل واحد!

قد كسروا قلوب نسائنا، أولاد الحرام المدمنين هؤلاء،
قد شيدوا أبراجاً من الهلع وحطموا أحلامنا اليافعة،
قد ضربوا الشيب في رؤوس أمهاتنا المسكينات وساهموا في حفر قبورنا،
هل منكم من لم يشعر بالغثيان من أفعال هؤلاء الأوغاد؟

منذ البارحة فقط جلستُ في الزنزانة
مع السجانين الذي كانوا يعتدون على استراحتي التي مدتها ثلاثين دقيقة،
في مساحةٍ بحجم القلمِ حيث تذرف العائلات الدموع
نهمس بخفوض راجفين، نتحدى مخاوفنا.

Twitter: @ketab_n

وهمْ، الغربانِ قلباً وقالباً،
يتمسكون بكل مقطع صوتي متمنين أن يفضحوا أسرارنا
هؤلاء الأفاعي، هؤلاء الزواحف، هؤلاء الثعالب الشريرة،
يحشرون من لا حول ولا قوة لهم في صناديق قذرة صغيرة.

لا مكان أكثر وحشة من الزنزانة
لكن الأمور أسوأ في هذا الجحيم الحي.
آه لقد أكلتُ قذارة، ـ أعيشُ مع الدود والذباب،
أجل ما تعلمت أن أحتقره هو الحشرات البشرية.

خرق قذرة بالية هي ما يكسو أجسادنا الشاحبة جداً
نحن سكان الزنزانة السياسيين ـ نحن أصحاب ثورة البطانيات المضْطَهَدين.
نتحدى الجميع ـ لا ننحني لأحد،
لأنه في أقاصي السجون، لا مكان للفرار.

أهل آيرلندا، يعيشون على هذه السطور
لا يمازحون ولا يسخرون ولا يغنون حتى،
إن لم تكن تعلم سوى بالعذاب، العذاب الذي يعرفه السجناء جيداً
فسوف تقتحم تلك السجون، سوف تمزق هذا الجحيم.

Twitter: @ketab_n

لكن ما أشعر به هو الشفقة على هؤلاء المجرمين
وليس الإنتقام المر برؤيتهم يحترقون،
لأن سواءً كانوا في الجنة أو في الجمهورية، أو أينما كانوا
فليس لهؤلاء الشياطين القتلة غير الفاجعة.

سيُلاقون بالكراهية، سيتم إلقاء التحية عليهم يالإزدراء،
وأشباحنا ستقض مضاجعهم، وأشباحهم لم تولد بعدُ.
السجناء والعبيد، صدقوني سوف ترون
عُهّار العدالة هؤلاء يذوون ـ أمام حريتكم.

Twitter: @ketab_n

سهرة ليلة الميلاد

شيء ما أيقظني، صوت غريب أتى متسللاً عبر العتمة وهرب قبل أن تهجرني آخر غيوم النوم. في عتمة ما يحيطني من أشياء تشبه الكهف الصغير، أستلقي دون حراكٍ في سريري، فراش مبلل فوق الأرض، مصغياً إلى تأوهات الريح الناعمة تمخر عبابَ الليل. غمرني صمتٌ مُخبِطٌ، لا يكسره سوى التنفس الرقيق والريح المتنهدة.

تسلل البرد تحت البطانيات القديمة البالية وغطاني، وعذَّب جسدي العاري. غادرني كل أمل أن أهرب خلال النوم، تاركاً إياي نهباً للهواجس في هدأة الليل.

صار لي هنا ردح طويل من الزمن، دهر. أفكر أحياناً أن هذا لا يحدث حقيقةً، وأني سأصحو من هذا الكابوس في وقت ما وسينتهي كل شيء. لكن هذا لا يحدث أبداً، الألم لا يتوقف، والخوف والتوجس يأبيان أن يرخيا قبضتيهما المجرمة. أفكرُ في الحياة التي تقعُ في العالم الخارجي، في بلدان نائية وفي موطني، في الناس الماضين في حيواتهم اليومية.

من عتمة قبري الوحيد أشعرُ أني مدفون دون أن يكون لي وجود، أن وظيفتي الوحيدة هي أن أكون جسداً للتعذيب. يختلقُ عقلي رسومات ملونة لفتيات يبتسمن وأطفال يضحكون، أيام مشمسة وسهرات صيف

Twitter: @ketab_n

ويا إلهي كم أتوق أن أكون حراً، مع عائلتي. أتوق أن أكون بعيداً عن الشياطين التي تجابهني كل يوم. جسدي يموت قبل أوانه وأطرافي خاملة لزمن طويل لدرجة أن جسدي يتألم.

كم أتوق لمشوارٍ في الريف، أن ألمس العشب الأخضر الندي، حيث المساحات المفتوحة، أن أسمع زقزقة الطيور وأن أستنشق هواءً نقياً. أنا أعيش مجدداً، هذا ما أريده، أن أعيش مجدداً. أنا الآن لا أعيش، يتم تعذيبي لدرجة الموت في هذا القبر الشنيع حيث احتجزوني عارياً لزمن طويل جداً، ألمي فوق الوصف.

يمضي الليلُ، رفاقي العراةُ يضطجعون ويحلمون. هم الآن مع عائلاتهم وأصدقائهم لبرهة أخرى من الزمن. لكن الكابوس سيعود عند الفجر وستهرب كل الراحة مع الليل المحتضر. كل الأولاد الصغار سيلقون تحية المساء. غداً يوم فرحٍ لهم.

كل الآباء والأمهات سيتسللون إلى أسرّتهم، سعداء وراضين، لأن أمنيات أولادهم قد تحققت. ستكون جائزتهم عظيمة عندما يأتي الغدُ؛ الوجوه السعيدة، الباسمة ستلخص كل شيء. صرخات السعادة ستدفىء قلوبهم، لكنني لن أرى أي وجوه باسمة أو أسمع صرخات السعادة تلك، صرخات الأطفال السعيدين. فقط صرخات الرعب من الأرواح العارية، المقهورة حولي. دور من سيكون غداً أو بعد غد؟ لا يتركونا بحالنا أبداً. لا ينفكون عن استخدام أساليب تعذيبهم القبيحة لأجل سحق عزيمتنا. يا إلهي الليل يحتضر مجدداً.

سريري على الأرض مبلل. لا أستطيع العثور على الدفء في أي مكان. كم من الجميل جداً الحصول على سرير دافئ ونظيف، أو الجلوس أمام نار متقدة وبيدك كتاب جيد. منذ سنوات طويلة لم أر كتاباً

Twitter: @ketab_n

أو جريدة. غالباً ما تساءلت إن كان العالم الخارجي ما يزال على ما كان عليه. يا إلهي، أحياناً أسأل نفسي هل ثمة شيء آخر غير العذاب والأسى؟

جائعٌ وأشعر بالبرد، لكن الحياة مستمرة. يا إلهي، أصلي ألا تنقضي هذه الليلة علينا بسرعةٍ. يأتي الفجر لكنني لا أستطيع رؤية الضوء لأنهم قد سدّوا نافذتي. لكن أستطيع سماع تغريد الطيور. إنه يوم آخر بالنسبة لهم.

تجثم على صدري الهواجس والمخاوف والشر يعبق في الهواء. لا موسيقى في تغريد الطيور، بل مجرد أسى. البوابات تصرُّ فاتحةً ووقع الخطوات يكسر الصمت الميت لليل ميّت هو الآخر. قعقعة المفاتيح، تلك المفاتيح البغيضة، يمكن سماعها، منذرةً الأرواحَ النائمة قربي.

حان وقت ذهاب «العائلات»، لأن غداً آخراً قد حلَّ علينا وملايين الأحلام تفرُّهرباً بينما مئات الأجساد العارية تستيقظ باردةً وجائعةً لتواجه كابوساً آخر جديداً. الهواء ثقيل، يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة، والهدهدة الرقيقة لـ «ليلة صامتة» يعودُ صداه من القبر المجاور. لكن لا أحد يبتسم، لا أحد يصرخ من الفرح، لا سعادة، مجرد حرقة قلب وألم. يا إلهي، إنها سهرة ليلة الميلاد.

أتي السجانون باكراً هذا الصباح،
لا علم لي بما سيحل بي.
جرُّوني من سريري وكنتُ عارياً وبارداً،
لم يقولوا لي لماذا.
وضعوني في حمّامٍ فيه ماء يغلي،

Twitter: @ketab_n

مع كل لكمة وركلة بدا الماء أكثر سخونةً.
تقرَّح جسدي، كان عليَّ أن أخرج.
لم ألحظ صرخاتي التي أخبرني عنها أصدقائي.
ضحك السجانون وكأن الأمر تسلية عظيمة،
عندما دعكوا جلدي حتى سال الدم.
ثم أتبعوا ذلك بماء بارد، ففقدت وعي.
من المؤكد أني سأصابُ بإلتهاب الرئة، أو قد أموت.
لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، كان في جعبتهم أكثر
فبينما طرحوني فوق الأرض ووجهي نحو الأسفل،
قصّوا شعري وكانوا على وشك أن يقصوا لحيتي،
ثم جعلوني أبتلعُ الشعر والأوساخ.
سحلوني ممسكين بي من قدميّ إلى زنزانتي،
عدتُ إلى الجحيم ومعي الأوساخ والآلام.
علينا أن نحارب من أجل إيقاف هذا العذاب،
لكني لن أنساه ما حييتُ ـ ذلك الحمَّام!

أكره هذا المكان من كل قلبي
زنزانتي، سجني وكل جزء منه.
هذا جحيمٌ حيٌّ بالنسبة لي
جحيم تملؤه الأوساخ والآلام والروائح النتنة.
السجانون تلقوا الأوامر بسحقنا جميعاً.

Twitter: @ketab_n

يفعلون ما في وسعهم للإستجابة لنداء السيد مايسُن.
لهذا يبرحوننا ضرباً ويقومون بتجويعنا كل يوم
بينما يسعون لترقية في المعاش.
أغلقوا نوافذنا، سدُّوا علينا الرؤية،
هل تثلج في الخارج أم أن الدنيا قحطٌ؟
لاشمس لا تستطع أبداً أن تظهر في نظرنا
لا نعيش سوى العتمة وأوقات العزلة.
أكره هذا المكان من كل قلبي،
هل من يلومني، منذ البداية؟
لكني أقول للسجانين وللسيد مايسن أيضاً ـ
لن تستطيع قهر رجل واحد من رجال احتجاج البطانيات!
أكره هذا المكان...

Twitter: @ketab_n

نوبات الحراسة في الجناح

مرتدين هالات الكراهية، وقفوا مثل فاريسيس[١]
معاطف أرجوانية تليق بألوانهم الرمادية والسوداء.
كالفاري[٢] أو داتشو[٣] أمكنة تناسب أفعالهم الشائنة أكثر،
تجمعوا كالذئاب للإنقضاض على السجناء العراة القادمين.

عبق الهواء برائحة البنفسج
موجة تمويه اخترقتها الرائحة الشيطانية العالقة في الهواء،
حبسَ التوتر أنفاسه مثل مقصلةٍ فضيةٍ، ثم سقطَ!
بينما تثائبت بوابةٌ فولاذيةٌ وصاح صوتٌ، «أنتَ هناك!»

خروفٌ للذبح، قبّرة للنسر الصائد،

(١) عضو في تجمع يهودي بائد عرف بتشدده في تفسير قوانين النبي موسى شفاهة وكتابة. الدلالة الحديثة للمفردة تعني الشخص المنافق الذي يرى نفسه على صواب دائماً. م
(٢) هضبة في القدس القديمة حيث صلب المسيح. م
(٣) مدينة شمال غرب ميونخ الألمانية كانت معقل لمخيم تعذيب نازي بني العام ١٩٣٣ وتم تحريره على يد قوات التحالف في العام ١٩٤٥. م

Twitter: @ketab_n

عراةٌ بإعدادٍ كثيرةٍ، عيونٌ تقدحُ كرهاً!

مفتشون بمجسات، ملاقط ضخمة ومرايا،

يعلقون جسد السجين مثل خنزير ليلقى نفس المصير.

تقطَّعت الأيادي عند الخواتم ـ ما يجمع المحبين ـ أو بالأحرى بطولات الأشباح الذين مروا من هنا،

يعرون السجين من كل ما يملك من عزة بالنفس والحلَّة،

باحثين عما خفي؟ ربما لهب الروح،

لكنكم ستكونون أحراراً يوماً أيها السجناء العراة!يامن ترتدون تاج الشوك هذا!

Twitter: @ketab_n

الخائن

اخترتُ أن أتخلى عن مبادئي وكل كياني من أجل الرشاوي والهدايا، رغم أني غير متأكد لماذا فعلتُ هذا. بما أني غير قادر على التمييز بين الحقائق والأوهام التي أقولها لأبرر الندم الذي يضايقني والذي غالباً ما يعصف بي في أوقات الوحدة والاكتئاب. ربما أنا معتلٌّ؟ لكن كان بمقدوري التخلي عن محنتي الجسدية وأترك الأمور على ما هي، لكنني لم أفعل! أخترتُ أن أتابعَ، عقلي يتغلب على شخصي، يغرقني أكثر وأكثر، متسبباً بقيامي بأفعالٍ شائنة وشيطانية، ماحياً من الوجود الشخص الذي كنته يوماً، ورامياً إياي في هاوية العار واللاعودة.

لكنني لم أقاتل قط ولم أحاول حتى أن أكبح تصرفاتي. هل أجرؤ على الإعتراف أني غالباً ما استمتعت بها، وأحياناً تفوقت على نفسي بإسعاد أولائك الذي تخليت عن نفسي من أجلهم. أدركُ الآن أني أعتمد عليهم، على رحمتهم. لكن أفعالي ليست بالضرورة ناتج ما يتوقعونه مني، بما أنه علي أن أبذل قصارى جهدي كلما سنحت الفرصة لأرضي نهمهم للمعاناة والوحشية، الوحشية التي لا بد ستصب على من عرفتهم وعرفوني يوماً، هؤلاء الذي يستلقون الآن عراةً يذوون موتاً ويكرهوني.

يجب أن يكون قدرهم قدري. الآن الأمر بين يدي جزئياً. يكرهوني أكثر مما يكرهون محتجزيهم.

Twitter: @ketab_n

«خائن!» يزمجرون بحقدٍ في وجهي، هواجس دموية، قاتلة بالإنتقام تنضح من عيونهم بينما أسلم لهم وجبة العشاء المشوهة، الباردة والهزيلة. لا أشعر بالندم حينها، حتى أني سعيد لأني حرمتهم من حقهم من الطعام. لا أستطيع إحتمال النظرة على وجوههم المعذبة، الشاحبة. كنتُ سأفعلُ ما فعلتُ على أي حال. أجل! حتى لو يطلب السجانون هذا، كنتُ سأفعل ما فعلتُ بهم. لن أسمح لهم بالنظر إلي هكذا!

أعطاني السجانون سجائر.

نفختُ الدخانَ في وجوههم الكالحة. أتهكم، بهم، أصرخُ بهم وأهينهم. لقد أتقنتُ فنَّ الإهانةِ جيداً: بحقهم! أسخر منهم وهم يحبُون فوقَ الأرض القذرة ليأكلوا فتاتَ وبقايا طعامهم في عتمة تامة أجبرتهم عليها. لكن من زوايا السواد تأتي النظرات الصارخة، الثاقبة التي تنضح بالعداء والإنتقام وأفرحُ لأني ساعدتُ السجانين بضربهم.

أشاهد السجانين يذبحونهم حرفياً! يرشونهم بالماء، ساحقين أجسادهم المدمرة بمرشات مائية قوية، وأصفقُ تشجيعاً وفرحاً. وعندما يرشون المواد المطهرة فوق زنزاناتهم المقززة، القاتلة التي تشبه الجحور، أقوم بتشجيعهم وأضحك على تعليقاتهم وإهاناتهم الوضيعة.

عندما جروهم إلى خارج قبورهم القذرة، عراةً، ومن شعورهم، لينهالوا عليهم ضرباً في حمام بارد من المياه المطهرة لينزعوا الجلد عن أجسادهم المحطمة، صرختُ، «المزيد، المزيد!»

لكن تلك النظرة الحجرية القاتلة في عيونهم لم تختف قط. لن يستسلموا ويصبحوا مثلي. لن تخنع روحهم، أجسادهم فقط خارت قواها وخلف قناع حيرتي المفتعلة وأضاليلي، أتمى لو كنتُ واحداً منهم!

Twitter: @ketab_n

لكنه وحده يصرخ لي من أعمق أغوار العار، ولا أخدع أحداً بفكرة ماذا سأفعلُ عندما يأتي دوري؛ أفكار ماذا سأفعل عندما يطلق سراحي، هي أفكار من أصقاعٍ نائية تبدو مشجعة وزاهية الألوان. أنا عالقٌ هناك، بلدتي ستُنسى معَ كل وديانها وحقولها وكل الأصوات والوجوه المألوفة، التأوهات والأصوات والضحكات.

طفولتي وماضيَّ ومعابر حياتي كلها اختفت، لن أخطُ شعابها أبداً بعد اليوم. أصوات ومشاهد غريبة وأصوات من عالم آخر ووجوه تنتظرني وستتعرف إليَّ، أو ستعرف ماذا اقترفتُ، باستثناء من سيبقى يتذكرني. لا وجود للخَضار في اللون، ولمن أعودُ؟ ليس بمقدوري العودة أبداً، لأن تلك العيون الصارخة الثاقبة لن تنساني أبداً! وأنا لن أنساها أيضاً.

Twitter: @ketab_n

افْتح صدركَ، ارفع ذقنك

يدلفُ في الصباح، شَبِعاً ونشِطاً،
على وجنتيه احمرارٌ، وعلى جلده لفحةُ شمسٍ متساوية.
حذاؤه الطروب يتناغم مع خطوته ـ
افتح صدرك، ارفع ذقنك (النظام العسكري الموقر القديم) الذي يعرفه حق المعرفة.

مثل جوقة مَدافع، يتثائب وحوش الفولاذ،
محركين أمواج المدّ الذي انبعث من الخرطوم.
يحصي عدد الجثث التي بالكاد غُطيت بخرق القماش،
صدره مفتوح، ذقنه للأعلى، لا يكترث إن كانوا أحياء أم لا.

يتأكد من أن الجائعين يبقون جائعين عندما يأكلون،
وأن الخائفين يبقون خائفين فوق أسرتهم المبللة،
أن نيران هذا الجحيم تحرقُ العراةَ برداً،
صدره مفتوح، ذقنه للأعلى، ينفذ الأوامر.

Twitter: @ketab_n

السجين رقم «١٠٦٦» يتصلب جسده في رعشةٍ،
«ارتدِ ثياب السجن وامضِ إلى العمل».
لكن بسبب تقاليده العسكرية ورنّة صوته السلطوية،
صدره مفتوح، ذقنه للأعلى! يغادرُ وحيداً.

لكن بأسلوبه العسكري الصارم وبشفةٍ عليا قاسية،
لا ينطق أبداً بكلمة موت، لا ينطق أبداً بكلمة استقالة.
سيعودُ في الصباح، عندما تُطْلَقُ صافرةُ النهوض
صدره مفتوح، ذقنه للأعلى! لا رحمةَ في محيَّاه!

Twitter: @ketab_n

«أنا يا سيدي، أنا السجين رقم ١٠٦٦!»

لا بدَّ أني متُ ليلةَ البارحة، لأني عندما استيقظتُ صباحِ اليومِ كنتُ في جهنم. لا أعرفُ حقيقةً كيفَ وصلتُ إلى هنا. لا أعتقدُ أني اقترفتُ ما يستوجب وجودي هنا. لكني هنا، هنا وأعاني الويلَ. أعتقد أني في قبر من نوعٍ ما. لا أستطيع رؤية شيء، لأن المكان غارقٌ في عتمة دامسة. عارٍ، باستثناء خرقة ما حولَ خصري.

أرضية قبري مغطاة بمادة رطبة لزجة، لا أعرف مصدرها أو طبيعتها. ثمة رائحة مقرفة عالقة في العتمة والهواء حار، ثقيل ورطب. ثمة شيء ناعم ورطب يستلقي في الزاوية، يبدو كشيء يشبه السرير للإستلقاء عليه.

أستطيعُ سماع أصوات ثقيلة مدوِّية يتردّد صداها حولي كالرعد. تذكرني بشكل ما، بأبواب ثقيلة توصَدُ. أتفقدُ جدران زنزانتي الأربع؛ ثمة ما يشبه الباب في أحد الجدران.

لا أستطيع فهم سبب وجودي هنا. أتسائلُ، ماذا سيحل بي؟ أعرفُ أني كائن بشري، رغم أني عارٍ وملتحي. أستطيع أن أفكر وأتنفس. هل أنا في جهنم أو ضربٍ من ضروبِ النسيان.

أستطيعُ سماعَ وقع خطواتٍ ثقيلةٍ. تتوقفُ الخطوات قربي تماماً. ثمة شخص أو شيء ما قربي. أستطيع سماعه يتحرك ويتنفس. إنه يراقبني.

Twitter: @ketab_n

ضجيج كثير خارج قبري مباشرة، قرقعة حديد يصطدم بالحديد. مربع من الضوء يأخذ بالتشكل، كاشفاً مدخلاً بينما يُفتَحُ باب. هيئة لشخص ما يقف في الضوء الرمادي الخافت من الممر. هذه هيئة إنسان، مرتدياً ما يبدو أنه نوعٌ من اللباس الأسود الموحّد. يقفُ محملقاً بي صامتاً لبضعِ ثواني قبل أن يطلق صرخةً مرعبة تبعث الرعشات في جسدي.

«أنا يا سيدي!» الكلمات تصدر صدى حول قبري. «أنا يا سيدي!» تصرخُ مجدداً. «أنا يا سيدي، أنا السجين رقم ١٠٦٦!». يُوصَدُ البابُ كأنه أوْصِدَ بقذيفةٍ مدويةٍ، قاضيةً على الضوء الخافتِ حيثُ كان الممرُ. أقفُ في العتمة التامة وما أزال أشعرُ بالخوف.

ماهو ١٠٦٦، أتسائلُ؟ من الجلي أنه أنا، لكني أستطيعُ أن أفكر، أتكلم، أشتمّ وألمس. لدي كل حواسي، لهذا أنا لستُ برقم. أنا لستُ ١٠٦٦. أنا إنسان، أنا لستُ رقماً، أنا لستُ ١٠٦٦! مَنْ أم ماذا يكون ذلك السيد؟ لقد أخافني. كان شريراً. استشعرتُ حقده عليّ، توقه ليسيطر عليّ، وطبيعته المحتملة العنيفة. أوه، ماذا سيحل بي؟ أتذكر أنه كان لدي عائلة ذات يوم. أين هم الآن؟ هل سأراهم أو أسمعهم مرة أخرى؟

إنه يراقبني. البابُ يُفتَحُ من جديد. يفسح الضوء الخافت المجال لبعض النور، كاشفاً الشخص باللباس الموحد الأسود اللون الواقف في عتبة الباب. «أنا يا سيدي»، يقولُ الصوت. «هاكَ طعامكَ، ١٠٦٦». يُقْذَفُ وعاءٌ في يديَّ بينما يصفق الباب. قبل أن يختفي الضوء ألمحُ الأرضية. إنها مغطاة بالقذارة والأوساخ. ثمة دودٌ يتسلقُ قدميَّ. الجدران مغطاة بكتلة من الذباب المنتفخ بدانة.

مرة أخرى أنا مصاب بالرعب. أزرع أرض السجن سيراً، مصعوقٌ

Twitter: @ketab_n

مما يحيط بي. الوعاء الذي في يدي بارد، فيه شيء يشبه العصيدة أو الحساء الجامد. رائحته مقرفة. أضعهُ على الأرضِ. أمشي في عتمة مطبقة، يغمرني إحباطٌ وقنوط. أتمنى لو كنتُ ميتاً. «لكني ميت»، أقولُ بصوتٍ عال: لا أستطيعُ حتى أن أقتل نفسي، أتسائلُ.

نسمةٌ: أشعرُ بنسمة تأتي من الحائط خلفي، متلمساً حولي، ألمس قطعة قماش. أشدها صوبي فتقعُ. ضوء كثيف جداً يضربُ عينيَّ، يعميني لبرهةٍ. ينارُ قبري، كاشفاً نافذةً تقسمها قضبان اسمنتية. أقتربُ أكثر، آلاف الأضواء من كل حجم ولون تظهر أمامي. تنتشر هذه الاضواء فوق جبالٍ من الأسلاك الشائكة التي تتلالأ وتلمعُ في الأفق الذي بلون الحبر الأسود.

خطوة أخرى إلى الأمام، ما أزالُ ناظراً إلى الأمام، ينتصبُ أمامي بناءٌ صغيرٌ، وفيه دزينة أو ما يقارب ذلك من النوافذ المنارة جيداً. على النافذة تظهر بعض الأجساد العارية. بناء يبعد ثلاثين ياردة. أستطيع أن أرى أن كل الأجساد لأشخاص ملتحين، يبدون كلهم شباناً، لكن كل وجوههم شاحبة ومتعبة. إنهم شبان لكن لهم وجوه مسنين. هل أحدقُ الآن في وجه الموت؟ تبقى هذه الأجساد تحدق في اللاشيء، بينما أمشي جيئةً وذهاباً.

وقعُ خطواتٍ من جديد! أستديرُ، يأسرني التوجس مرة أخرى، أن أنتظر ليفتح بابي مرة أخرى. فضولي الذي عثرت عليه مجدداً وقد اختفى، أسقط أكثر في أغوار الإحباط والقنوط. فكرة ما تنتظرني في الضفة الأخرى من ذلك الباب تعذبني.

يُفتَحُ البابُ، الرجال المرتدين ثياباً موحدة سوداء اللون يقفون هناك، متحلقين حول شخصٍ صغير جداً، بدين، بهيئة شيطان وهو

Twitter: @ketab_n

على ما يبدو قائدهم. الكل يحدق بي، ثم يأخذون بالصراخ في وجهي: «أنا سيدٌ»، «أنا سيد»، «ستستسلم»، «استسلم»، «استسلم».

يمسكونني جميعهم ويبدأون بضربي وركلي بينما يصرخون: «ستستسلم»، «ستستسلم في العنبر هتش....».

مستيقظاً، أصرخُ و أتقلبُ في فراشٍ قذرٍ فوق الأرض. «أين أنا؟»

«هل أنت على ما يرام؟» يسأل زميلي في الزنزانة.

«أين أنا؟»

«أنتَ في زنزانتك، يبدو أنك كنت ترى كابوساً»، يقولُ لي.

يفتح باب زنزانتنا ويقف شخص بلباس موحد أسود اللون هناك.

«طعام»، يقول.

«ماذا كان ذلك، يا سيد؟» أسألُ.

«تخاطبني بـ «سيّد». أنت في العنبر هتش الآن! أنت في العنبر هتش...لا تنس ذلك، أيها السجين رقم، ١٠٦٦!»

Twitter: @ketab_n

استراحة من الرتابة

طبقة رقيقة من الثلج الندي غطتْ كل شي باستثناء بعض الفراغات فوق السطح الأسود الكالح من الساحة الإسفلتية الصغيرة، العارية المبسوطة خارج نافذة زنزانتي. هذه أول مرة يهطل فيها الثلج هذا الشتاء غير المرحب به بينما قد خبئ للتو ضوء رمادي ليومٍ آخر.

كانت السماء عبارة عن غيوم دوّارة من الثلج الأبيض التي علقت مهددةً، متحدية وقتها، منتظرة أن تطلق العنان لحمولة متوحشة من شطحات الثلج الشتوية القارسة البرودة وذلك لتلتهم اليابسة ولتغرقَ الأرياف بالبياض الناصع. كان الطقسُ بارداً جداً. كنتُ متكوّراً في زاوية زنزانتي المتجمدة. الفراش الرقيقي المنتفخ التي استخدمه كسرير فوق الأرضية الإسمنتية كان مبللاً، بالياً وقذراً. كنتُ على الفراشِ محاولاً العثور على بعض الدفء بمساعدة البطانيات البالية التي كنت قد لففتها بقوة حول جسدي.

فجأة تحول إنتباهي إلى النافذة حيثُ اللغط والإبتهاج الذين أتيا من اثنين أو ثلاث من رفاقي العراة من مسافة قريبة، بينما أعلنوا عن التغير البغيض للطقس عبر نوافذ زنزاناتهم التي تشبه الكهوف. كان ذلك استراحة فيما بدى ضجراً أبدياً وتغيراً غير متوقع في المشهد الذي يقرح العيون المكون من الأسلاك الشائكة الرمادية المتقاطعة ومن الأخشاب المتموجة.

Twitter: @ketab_n

طبقة الثلج الناعمة تلألأت وأنارت، حاجبةً القتامة ومشكِّلةً مشهداً جديداً. كان ذلك شيئاً جديداً يعيننا في تمضية الساعات الأزلية، وبما أن هطول ثلج أكثر كان وشيكاً جداً، فقد حفَّزَ ذلك بقية السجناء على الذهاب إلى النوافذ بينما أخذ اللغط بالتزايد.

ذكريات قديمة، منسية تقريباً عن فصول شتاء مضت كانَ قد تـمَّ نبشها من أغوار عقولٍ هلعة وتم تداولها واحدة بعد الأخرى عبر النوافذ. أحدث الأخبار قد تم تداولها بين السجناء في القسم الآخر من الجناح ذاك، بما أنهم لم يتمكنوا من النظر عبر النوافذ التي تم إغلاقها بإحكام مؤخراً، وقد أندفعوا إلى الأبواب من باب الفضول بحثاً عن جوابَ حول الهياج غير الطبيعي من رفاقهم الفرحين.

طبقة أخرى رقيقة من الثلج تسللت عبر العتمة التي تهبطُ علينا وآلاف الأضواء الملونة البرتقالية اللون، البيضاء والحمراء أنارتْ المنطقة المحيطة، متلألئة وعاكسة الأخشاب المكسوة بالثلج، لامعةً فوقَ أميالٍ من الأسلاك الشائكة المغطاة بالثلج، منظفة السجادة الناعمة التي تغطي الساحة. بدت نُدَف الثلج كالسحر من أعماق السواد الذي في الأعلى، كأنها تتراقص على أنغام موسيقى الريح المتأوهة ذاهبة نحو ملاذها الأرضي.

غيوم من أنفاسي الدافئة خرجت من نافذتي التي بلا زجاج إلى الليل. ندف من الثلج والجليد علقت بلحيتي الطويلة الشعثاء، وأدمعت عيناي بينما قصم البردُ وجهي وانقضّ على جسدي العاري. من كان يتخيل ليلة بهذه الروعة يمكن أن تتواجد في هكذا مكان ملؤه الأسى والألم، فكرتُ، بينما فركتُ يديَّ وخبطتُ بقدمي العاريتين فوق الأرضِ محاولاً إستدراج بعض الدفء. كان اللغطُ على وشك النهاية

Twitter: @ketab_n

عند النوافذ، فقط أشداء القلوب والوحيدون بقوا متحدين البرد. ليلة سهاد أخرى، فكرتُ.

كانت الأرضية الإسمنتية باردة جداً حتى المشي سريعاً بدا مستحيلاً بقدمين عاريتين. ثلاث بطانيات رثة صغيرة ومستلقياً فوق فراشٍ مبلل لم تمنحني دفئاً كافياً لأهرب عبر النوم. ستكون هذه الليلة ليلَة أخرى، متكوراً في الزاوية، محارباً البرد القارس وسط المخاوف المحبطة، حيث الألم والإحباط يغدوان طاغيين تقريباً.

تنهض الريحُ وتصبح أكثر غضباً؛ ستحمل بطانيات الثلج المتساقط عبر النوافذ الكتيمة. أشعر بالبرد، أشعر بالبرد الشديد الآن. أستطيع أن أقف هنا وأتجمد أمام النافذة محدقاً في غابة الأسلاك الشائكة المؤلفة من ألوان وبياض خالص، أو أستطيع أن أتقهقر إلى حجري الصغير في زاوية قبري وأحدق في الأشياء الكابوسية التي حولي، فوق الظلال المعتمة الحقودة التي تختلقها الجدران القذرة، أو فوق أكوام القمامة المنتشرة في المكان، والتي تفسخت يوماً، وتفوح منها الآن روائح مقرفة وهي تشوه الأرض.

عصيدة باردة، لا طعم لها على وجبة الإفطار صباح الغد، على موعد مع مزيد من الضرب المبرح وأزلية أخرى، وليلة أخرى باردة، باردة جداً.

الوحش يرمي معطفه المكون من ملايين ندف الثلج، الوحش الآخر ينام في مكان ما، غداً آخر أيام السنة. لا أحد آخر على النافذة الآن.

يا إلهي، أفكر كيف هي الأمور في سيبيريا؟

Twitter: @ketab_n

العامل المحظوظ

«هل أنت بخير؟» أقولُ للعامل لحظة دخوله عارجاً إلى الزنزانة وعلى وجهه تكشيرة ألم وتتدلى فوق خصره منشفة قميئة تشبه بشكير المطبخ.

«بخير»، يرد، عيناه تستطيران لهباً بينما يغلقُ السجانون البابَ خلفه بقوة. «انظر إلى ذلك»، قال، فاركاً قفى رجليه العاريتين اللتين كانتا قد خدشتا، جرحتا وتورمتا في كل بقعة. «أنا محطَّم»، يقول. «أوشكوا على كسر قدميَّ الإثنتين».

«نالَني هذا أنا أيضاً»، قلتُ، بينما كنتُ أمشي جيئةً وذهاباً وحول خصري بشكير مطبخ فقط، محاولاً العثور على الدفء.

«سيأتي يومنا»، يقولُ العامل، متأتاً ولاعناً في نفسه وقاتلاً في ذهنه كل ضروب السجانين.

«ركلوني ثلاث مرات فوق تلك المرآة»، يقول، مرغوني فوق الأرض بغضب شديد. «وثم أجبروني أن أقعي وأخرأ فوقها عارياً، وقفزوا فوقَ رجليَّ حتى هويتُ فوقها وكسرتها».

«سمعتُ صوتَ التحطم»، قلتُ، مفكراً أن الساعة فقط الثامنة إلا ربع صباحاً، ونحن هنا الآن عراة ونتجمد برداً، مجروحين، متورمين ومنهكين من الضرب، بعد ليلة نوبة حراسة تعذيبية أخرى.

Twitter: @ketab_n

«ج. ب. شو كان محقاً»، يقولُ العاملُ، متابعاً تفقد الأضرار التي لحقت به.

«صاحب رأي صائب في الناس»، أقولُ، مفكراً بما قاله ج.ب. عن السجانين.

«حسناً، هذا كل شيء حتى المرة القادمة»، يقول العاملُ متفحصاً قدميه.

«على الأرجح أننا لن نحصل على بطانياتنا حتى السادسة من مساء اليوم»، أقول، بينما العامل، بسبب البرد، قد أخذ بالقفز حول أرضية الزنزانة العارية والفارغة.

«مجموعة لا بأس بها من العمال صباح اليوم»، يقول، عائداً للحديث في موضوع نوبة التعذيب مرة أخرى.

«على أي حال، لابد أنك أصبحت تعرفهم جميعاً الآن، أليسوا كلهم متشابهين»، أقولُ، وإن كنت قد لاحظت من كان في ذلك الحشد هذا الصباح، كنت سترى بضعة رجال شرطة سابقين، سجاني من طراز «بي»، ضباط «يو دي آر» وبريطانين.

«لقد لاحظتُ»، يقول العاملُ، «وهذا ما يجعل الأمر أكثر صعوبةً بكثير، لأنهم نفسهم دائماً، ونحن دائماً من يتلقى التعذيب».

«معك حق»، أقولُ. «ألم يكن الأمر هكذا دائماً، ألم يكن هناك دائماً جانبان اثنان ـ المحظوظون (هم) والمضطهدون (نحن). إنه نصفٌ يسجنُ النصف الآخر، يقمعُ النصف الآخر، يجرمُ بحقِ النصف الآخر أو ما إلى هنالك».

«ونحن دائماً الآخر»، يقول العاملُ. «المتعجرفون الأوغاد يقولون أنهم يقومون بعملهم فسحب».

Twitter: @ketab_n

«طبعاً، هم يقولون الحقيقة فحسب»، أقولُ، «لأن عمل السجانين، مثل عمل أي ضابط شرطة، بريطاني، يو دي آر، موظف دولة، عضو مجلس شعب أو في الواقع كل ذلك الرهط المحظوظ على الضفة الأخرى من السور، هو فقط أن يقمعنا، أن يبقينا تحت السيطرة ويتأكد من أن حصتهم الضئيلة من طبق الحلوى البريطاني بأمان».

«أنا هزيل»، يقول العاملُ، بادياً عليه الشحوب أكثر من المعتاد.

«إني أتضور جوعاً»، أقول، ملاحظاً صوت قطار دبلن عابراً قرب سكة القطار غير البعيدة.

«بيضة مسلوقة مقيتة على العشاء اليوم؛ لا بد سيسعدنا ذلك جميعاً»، يقول العامل ضاحكاً. «يا ترى من يتم تعذيبه الآن في كاسرلي» يقول مستدركاً.

«طبعاً، لن يعذبوا أحداً من سكان شارعي آنتريم ومالون»، أقول.

«وبرغم كل المال اللعين الذي يحصل عليه السجانون، لن يطول الأمر قبل أن يعيشوا هناك أيضاً»، يقول العاملُ، متناولاً الحديث عن السجانين مجدداً.

«أنت محق تماماً»، أقولُ، «والأمر غير المضحك بهذا الشأن هو أن ضباط الشرطة، موظفي الدولة، رؤساء البلديات، أعضاء مجلس الشعب أو أي كان، لن يبقوا دون عمل، وذلك بسبب أنهم سيحافظون على مناصبهم المحظية، أشغالهم الأفضل ذات المداخيل الأفضل، سكنهم الأفضل وحيواتهم الباذخة وكل ذلك، يبقوننا تحت السيطرة، محشورين في غيتواتنا، دون عمل وفي منازل سيئة، في أدغال اسمنتية مثل شقق «ديفيس و يونيتي»، يحرموننا من كل شيء، يسرقوننا،

Twitter: @ketab_n

يقمعوننا، لأن ما سيخسرونه سيكون كثيراً، ليس لدينا ما نخسره سوى بؤسنا وأغلالنا».

«وقد أنفقوا ٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه على العنبر هتش ليقوموا بتعذيبنا، وانظر إلى بيوت المقابر هذه التي نقطنها»، يقول العامل، محقاً.

«وسيزدادون بدانةً، أثرياء وسعداء من أمثال «ذا ستيكس» وحزب العمال الديمقراطي الإجتماعي وهم يتدافعون لمساعدتهم»، أقولُ

«وعندما يحاول أي منا أن يغير ذلك ينتهي بنا الأمر في العنبر هتش، وفي مقبرة ملتاون».

«ومع هذا يتسائل الناس: لماذا نقاوم ولماذا كل هذا؟» يقولُ العامل.

«حسناً»، أقول، «لو جلس كل واحد منا وسأل نفسه، ماذا قدم لنا البريطانيون أو أعضاء التجمع الآيرلندي الشمالي أو أعضاء حزب العمال الديمقراطي الاجتماعي، باستثناء القمع، فسيكون الجواب واحداً: لا شيء!»

«حسناً»، يقول العامل، «ربما قد يفعلون يوماً، وربما قد يقومون بشيء لتغيير ذلك ونستطيع أن نهنأ بليلةٍ واحدةٍ، شأننا شأن البريطاني السامي».

«البريطانيون لا يقتحمون بابه بالأحذية»، أقول.

«ولا ينال البيضة الكريهة، أو يُسحلُ عارياً فوق مرآةٍ ليتم فحص أعضائه التناسلية في السابعة والنصف صباحاً»، يقول العامل.

«آه حسناً، دعنا نتكلم الآن عن الجمهورية الاجتماعية»، أقول.

«المسيرة المندفعة لأمةٍ ناشئةٍ»، يقول العامل، ليكن الله في عونه، عارجاً فوق أرض الزنزانة.

Twitter: @ketab_n

موسيقى الزمن

في قلب كل منا شيء،
هل تعرفه يا صديقي؟
صمد هذا الشيء على أهوال ملايين السنين،
وسيبقى صامداً إلى الأبد.

ولدَ هذا الشيء قبل ولادة الزمن،
وأصبح أكبر من الحياة،
قطَّع شرايين الشيطان الخانقة،
كسيفٍ باترٍ.

أضرم ناراً حيث لا نار،
وأحرقَ عقل البشر،
شاحذاً القلوب الواهنة،
منذ أبد الآبدين.

عبر سواحل بابل،

Twitter: @ketab_n

وعندما كانت البشرية في ضياعٍ،
صرخَ بألمٍ يلوي القلوب،
وتدلى نازفاً فوقَ الصليب.

ومات في روما بين فكي أسدٍ وبحدّ السيف،
وفي جمهرة وحشية،
عندما نطقت كلمة «سبارتاكوس» القاتلة،
في طريق آبيان.

خرج في مسيرة صحبة فقراء «وات» و «تايلور»،
وأنزل الهلع في قلب الأسياد والملوك،
وتوهج ناراً في تحديقاتهم الميتة،
وفي كل شيء حي.

على محياة ابتسامة قدسية بريئة،
أمام الفاتحين الأوائل،
في منتهى الوداعة والألفة لم يكن يعلم،
بقوة الذهب القاتلة.

اندفع في شوارع باريس البائسة،
وانقض على سجن الباستيل،

Twitter: @ketab_n

وخرج في مظاهرة فوق رأس الثعبان،
وسحقه تحت قدمه.

مات مضرجاً بدمائه في شوارع بوفالو بلاينز،
وتضور جوعاً لأعوامٍ وأعوام،
دفن قلبه في مذبحة الركبة الجريحة،
لكن سيأتي ويبعثُ من جديد.

صرخَ عالياً قرب بحيرات كيلي،
وجثا على ركبتيه فوق الأرض،
ومات ميتة الأبطال العظام،
بينما أطلقوا عليه النار بدمٍ باردٍ.

يعيشُ في بصيصِ كل أمل،
لا يعرف حواجز ولا أماكن،
قد بُعِثَ باللون الأحمر والأسود والأبيض،
يعيشُ في كل البشر.

يقبعُ في قلوب كل الأبطال الذين ماتوا،
يصرخُ متحدياً كل الأباطرة،
يعيش في شوامخ الجبال،

Twitter: @ketab_n

يلمعُ كالسيفِ المسلولِ في السماوات.

يضيء عتمة هذه الزنزانة،
يرعد بعظمته وجبروته
إنه «الفكرة التي لا تهاب شيئاً»، يا صديقي،
الفكرة التي تقول «أنا على حق!»

Twitter: @ketab_n

رَجلُ الإتحاد

كنا فخورين.

أجل، كنا فخورين عندما وقفنا في أرتالٍ طويلةٍ

رغم أننا كنا خائفين، جائعين ومتألمين.

فخورون! فخورون أننا تركنا أصفادنا خلفنا

بين أكوام القمامة المغطاة بالدم

وهطل مطر ناعم فوق أيادينا المتقرحة

وبلل وجوهنا المتسخة، السوداء اللون.

ثيابنا الرثة فاحت برائحة المعركة، احترقت وسالت لهباً

في الاقتتال، في الاقتتال المرّ

وقد تشوهت بآثارها الدموية القبيحة

وكان هواء الصباح صامتاً

لكنه هزَّ أزيزَ المدفعِ القاتل،

ميتاً الآن على الأقل.

وهاجت الحياة وماجت بينما احتشدنا في شوارع دبلن

في مرمى النار .

حيث العيون المتلصصة الغاضبة من خلف الستائر المغلقة

Twitter: @ketab_n

فوقنا بغضبٍ
وتحدثت أصواتٌ بالكُرهِ، هامسةً وحاقدةً علينا،
رغم أننا لم نعرف ما قالوا
وهبط ندى ضبابي أمامنا كما لو كان يكفننا موتى.
كان وقت الأسى، لكن يوماً عظيماً.
يوماً عظيماً للرجال المحاربين، العمال.
لكن العامل كان أعمى البصيرة، أعمى حتى كأنه لا يبصرُ الزهرة
التي تفتحتْ فوق اليابسة.
العمالُ، يا إلهي، أخوتي من أبي وأمي،
أهالي دبلن أيضاً
استداروا وبصقوا في عيني الحمراوين وقلتُ لنفسي
لم يفهموا قط في حياتهم وأشفقتُ عليهم، يا إلهي، أشفقتُ عليهم
لأنهم لم يسمعوا قط صرخات الفنيين المحتضرين.
وأعتقد، حيثُ كونولي الذي ناضل من أجل العمال
وذلك الرجل بيرس والعجوز كلارك الذي نال يومه أخيراً؟

أجل، وقد أستيقظَ الغربُ النائم من أجل أمةٍ
وخاضَ المعركة.
إني أتألم إني متعب إني قيد الأسر لكن

Twitter: @ketab_n

جيش المواطنين الآيرلندي قد دربني جيداً
ودعوني أقول لكم -
من أجل أمتي ومن أجل جايمس كونولي سأنهضُ من جديدٍ،
أجل، سأنهضُ من جديد وأخوضُ الوغى وصولاً إلى الجحيم.

Twitter: @ketab_n

علمّوا أولادكم

ثمة نسوة مرتديات الحرير و الساتان، رافلات في فساتين مخملية
إبتساماتهن بلاستيكية، مطلية، معطرة وعلى وجوههن ملامح غبية
كأنهن مهرجات.
يرتشفن خمراً بارداً ويتحادثن ويرفعن الأنخاب للرجل البدين ونكاته
بينما تصنع الأناشيط السعادة وسطَ الثريات والدخان
والرقصُ المتراخي، طفلُ يحتضرُ، يصرخ ويسخرُ من البشر
الذين يرقصون على موسيقى الأناشيط بينما يعضُّ الفأرُ وجههُ
ويصفقُ الرجلُ البدينُ ويتمايلُ والجشعُ ينضحُ من عيْنيه.
باعَ أدوات الإبادةِ مقابل الذهب، أدوات السلطة والجبروت
وطائرات الميغ المزمجرة وطائرات ٥ تبصقُ الموت فوق نملٍ في أرضٍ نائية.
بينما في صالة الرقص يقفُ الجميع ويرفعون نخب العوامِ
لكن العوام يحترقون، أجسادهم المشوهة تستلقي مضرجة فوق الأرض.
حيث الكلاب الهائجة تلعقُ جلدَ هؤلاء المحكومين بالموت منذ الولادة.

Twitter: @ketab_n

وثمة قلق وتخبط وبشرٌ يهرعون جيئةً وذهاباً
وأشخاصٌ يتسلقون ويقعون ويتسلقون والدولارات تنمو وتنمو
نسباً واستثمارات تتوقع قدرَ الأرواح المعذبة
فقر ودم وموت اندمجوا لينتجوا عائدات مالية وثروات وذهب.
وفي معتقلات الأعمال الشاقة يقفُ رجالٌ قلقون معذبين ليواجهوا يوماً آخراً.
هذه هي حياة العوام، لطالما كانت هكذا.
علموا أولادكم أنتم المقهورين المعذبين في هذا الزمن الفاني
انزعوا القناع والستار عن أولائك الذين يجثون فوق أرواح كل الناس.
انهضوا ثواراً، واضربوا ولتصل صرخة معارككم عنان السماء.
علموا أولادكم القانون الوحيد والكلمة الوحيدة التي يخشاها الرجلُ البدينُ
علموهم قوة الكلاشينكوف أي كي ٤٧.

Twitter: @ketab_n

السيرُ في نزهة

أقدام محمرة، متسخة تزرع الأرض جيئةً وذهاباً
تحملُ أرواحاً هائمةً.
جيئةً وذهاباً في اقتتال دائمِ
كأشباحِ في الليلِ.

الأجسادُ الهلعة لرجالِ هلعين
التي تسرعُ لثلاث خطوات ثم تستديرُ مجدداً.
بطانيات بنية اللون قديمة تغطي الجلد العاري الكالح
تتعلقُ بالكادِ بأجسادِ، مترهلةٍ وناحلةٍ.

تتنزه هائمةً في زمنِ هائم
لتهزم العدو الذي ينقضُّ على العقلِ.
في جحورِ العذاب بين فكي خوفِ قاتلِ
حيثُ لا دفء إلا في الدمعة النازفة.
يمضي الوقتُ، لا يراه أحد، لا يسمع به أحد، يعبرُ

Twitter: @ketab_n

والعتمة توشح بالسواد الوجه المكسو بالألم الذي لا يرى السماء أبداً.

وفي مكان ما كل دقيقة تزرع الأقدام المحمرة الزنزانة التي تشبه القبر المنعزل

النزهة اليومية في العنبر هتش، أو السير الأبدي في نزهةٍ عبر الجحيم!

Twitter: @ketab_n

وإلى الأمام مضى الأحمق

ألمي مبرّحٌ، لكن الألم الأكثر تبريحاً هو ذلك الذي في قلبي
والعار الذي يقتحمُ روحي.
لا أيادي حنونة تبلسم وجنتيَّ
مجرد هذا التراب الداكن الغريب الذي سأقضي نحبي فوقه.
والمعركةُ الشيطانية تستمرُ
والرجالُ الصارخين، المشوهين يحتضرون اليومِ كالسماوات الزرقاء
للحرية التي اسودت وغطتها غيوم الموت، وسخرت مني.
ولعبتُ دور الأحمق بينما رجال أفضل مني
يموتون في يقظتي من أجل حرية أمرأة معمرةٍ معتزة بنفسها.
يرتاحون في حضنها
يا لهم من أبطال ـ «إلى الأمام، أقولُ تابع إلى الأمام» ـ
و، يا يسوع، لماذا كنتُ أنا الأحمقَ؟

لا وعد ولا بهجة في هذه المقبرة
حيث الجثث تخطر أمامي مثل ريح تسيرُ إلى الأبدية.
ومن سيرطب شفاهي العطشى؟

Twitter: @ketab_n

يقعُ الموت قربي ليلاحقني بعاري ولحظتي المحتضرة،
«إلى الأمام، أقول تابع إلى الأمام» ـ لكن الجثث تضحك في صمتٍ
لكن صوت المدفع يأتي في همسات عندما تتساقط دموعي
فوق أرضٍ لا تعرفني ولا أعرفها.
وأتمنى لو لم أكن ذلك الأحمق إنما بطل أمي المعمرة المعتزة بنفسها.
«إلى الأمام، أقولُ تابع إلى الأمام».

Twitter: @ketab_n

النافذة المطلة على عقلكَ

بدأ ضوء النهار يخبو ويموت. عندما هبط الغسقُ كنت قد أوشكتُ على تمييز الضوء المتغير ولا شيء آخر عبر الأحبولة الجديدة التي أحاطت بنافذة زنزانتي. محلقاً في مكان ما في دغل الأسلاك الشائكة الرمادية البغيضة. زقزق عصفور دوريٌّ من أعماق قلبه في ظلال النهار الراحلةِ. بعض السجناء كانوا يناقشون احتمال أن يكون عصفور الدوري مجرد سمنة كبيرة الحجم. لكن لم يكن بمقدور أحد أن يكون متأكداً لأنه لم يكن بمقدورهم رؤية شيء عبر نافذة الزنزانة ليتعرفوا إليه.

كان ذلك آخر صنوف التعذيب ومحاولة لكسر روحنا من خلال حرماننا من ضوء الشمس، ومن الكمية الضئيلة من الهواء النقي التي حصلنا عليها ومساحة الرؤية المحدودة القيمة التي أتاحت لنا رؤية الطبيعة والعالم الخارجي. لو كانت التشققات في الجدار الخلفي تمثل نافذة، فإنها قد فقدت كل منظرها بالتأكيد. ذلك لأن النافذة قد تم تدعيمها بكتلة من الفولاذ والخشب والبلاستيك! داخل النافذة مقفل بإطار فولاذي ثقيل وأداة شواء؛ ثم تبع ذلك دعامات أربعة اسمنتية مدعمة هي الأخرى، تم توظيفها كقضبان من الخارج. منطقة سكنية على هيئة صندوق غلّفت ما وراء النافذة. هيكل خشبي وبلاستيكي متموج هو ما حجب كل الرؤية، لكن هناك في قمة الهيكل كان ثمة قطعة زجاج شفافة تستلقي بشكل مقرف ومن دون خجل لتقدم لنا

Twitter: @ketab_n

«بسخاءٍ» الجانب الداخلي البائس بمنظر «ميسور» من دون أدنى شك فإن بعض الإنشات المربعة من أسلاك شائكة وسماء اختفت حالما سدَّت الأوساخُ الزجاج الشفاف. لم أستطع رؤية الكثير في الخارج شأني شأن سنونة عابرةٍ لم تستطع رؤية شيء في الداخل! كان الهواء عابقاً وحاراً وفكرتُ أن الوقت كان مناسباً جداً ليقوم إداريو السجن، إن أرادوا، بعد تركنا نموت تجمداً خلال أحد أكثر الشتاءات برداً، والثلج يتساقطُ عبر النوافذ المشرعة فوق أجسادنا العارية، أن يقرروا فجأةً إغلاق كل النافذة التي ستحول كل زنزاناتنا التي تشبه القبور إلى أفران، عندما تأتي أيام الصيف الطويلة اللاهبة. لكن ذلك شيء هامشي في مقابل وضع الأشياء، عموماً، في سياقها الصحيح. مثلاً، السبب وراء دفن السجناء العراة كلياً، المحرومين أصلاً من ممارسة الرياضة، الهواء النقي، والمحرومين أيضاً علاوة على ذلك من الضوء الطبيعي، رؤية الغيوم، النجوم والقمر وكل شيء آخر ذي قيمة. بالإضافة إلى ذلك ثمة ضوء حارق أبيض اللون متروك دائماً في الزنزانة. العيش على وجبات مقتترة والنوم فوق فراش قديم، رطب، وقذر فوق الأرض ولديك سبب خارجي جيد. نوع الزنزانة الذي يشبه«وحدة التحكم الخاصة» حيث رجل عصيان البطانيات العاري، وقد أخذوا منه الشيء الوحيد الذي كان يسليه، متروك ليحدق في الفراغ، في الأشياء المحيطة القذرة في زنزانته التي تحولت قبراً.

كل ذلك حرب نفسية وقصد منها خلق إحباط، كآبة، وقنوط وهلمَّ جرًّا!

كل شيء معد ليكسر روحك، ليهزم عقلك ومقاومتك، إن سمحت لهم بذلك! باستطاعة المرء أن يلهي نفسه ويضيع الوقت بمجرد النظر من النافذة، بمراقبة العصافير أو التحديق في الغيوم أو في طائرة عابرة

Twitter: @ketab_n

من وقت لآخر فوق رؤوسنا. سماء حمراء اللون أو عتمة حبرية اللون مخططة وملونة بنجوم متلألئة، أشياء كهذه إنما هي أمور مسلية محببة وفي حالات الكآبة المحزنة أو الملل المزمن يمكن أن تكون مرحباً بها وقد تهدئ من اضطراب المرء. المرء يكتئب أكثر فقط عندما يحدق في «البراز القذر» أو في جدران أربع قذرة طيلة الوقت. لهذا، وتبعاً لتواجدك على أي جهة من النافذة، ثمة سبب جيد وراء إغلاق نوافذ الزنزانة حيث يُحْتَجزُ سجناء الحرب الجمهورين. يضاف كل هذا إلى حملة التعذيب الضخمة التي يتم الإعداد لها بحق مئات السجناء السياسين العراة. اليوم سمعتُ رفاقي يقولون، «أتسائل ما الوقت؟» «هل تمطر في الخارج؟» «كيف حال الطقس اليوم؟» غداً لن يهتم أحد للسؤال لأن أحداً لن يعرف. ربما بعد مدة قصيرة لن يكترث أحد. ربما قد ننسى حتى مافي العالم الخارجي. يقولون ما نفع عينان لا تريان؟ لكن ما نفع عينان باستطاعتهما أن تريا كابوساً حياً مستمراً فحسب؟

Twitter: @ketab_n

عزلة مشلول طويلة المسافة

كنتُ أرتجفُ كورقة خريف. الهواء كان مشدوداً ومملوءً ببرد وانتعاش. الشتاء الذي يعض عميقاً في الرئتين والذي يسبب الإحمرار للأنف والوجنتين. كان هناك ابتهاجا على وشك أن يكون طاغياً، وصمت وهدوء يبدو أبدياً قاطعه لمرة واحدة فقط طائر سمنة كبير غير عابىء بأحد، وعاصفة وحيدة أتت وعبرت قربي، تكشكش شعري وتحرك طرفي قميصي الداخلي البالي بينما عبر في طريقه إلى اللامكان. بينما اصطبغت السماء باللون الرمادي والعتمة وأنذرت الدنيا بالمطر، عوى صوت مطلقاً أمراً وتجمدتُ في مكاني. على جانبيَّ مئات الآخرين فعلوا الشيء ذاته. عاصفة أخرى ساطت قدميَّ العاريتين، وقطرات المطر الأولى سقطت فوق يديَّ المشوهتين غير مرئية بينما حبست أنفاسي.

«بانغ». هرب طائر السمنة الكبير وقفزتُ إلى الأمام. الأرضية السبخة طحنت ومجت وهصرت عندما شوهت مئات الأقدام المليئة بأشواك غريبة وجهها. في حقل مفتوح تحلقنا في مجموعة. كان عقلي يشتعل بالأفكار بينما حاولت أن أزن الوضع والعدو بما أني تمكنت من رؤية الساحة، ثم اختفت، في غضون بضع خطوات. نفخات دخان مترددة بدأت بالظهور عندما تلاقى النفس الدافئ المتنهد بالهواء الريفي البارد، المتجمد وقفزنا قفزة مهولة، متخبطين عبر مستنقع موحل كان نائماً. ماء بلون أسود، عكر، متجمد ساطَ وأوغل جَلداً فوق رجليَّ العاريتين

Twitter: @ketab_n

الغائرتين، بينما كنتُ أشق طريقي عبرها، وبعضنا خار أرضاً وبعضنا الآخر استسلم، وخلف المستنقع الذي كان يوماً نائماً يوجد الآن دوار من الأمواج مصدرة فقاعات. لسعني القراص الشوكي، وغرز العليق أنيابه وأخذ بتمزيق وحك جلدي.

خفق قلبي كبوق جيشٍ لكنني لم أستطع أن أفعل ذلك، عرفتُ أنه كان بمقدوري القيام بذلك عندما أندفعتُ إلى الأمام، متجاوزاً هؤلاء الذين كانت قواهم تخور وأملهم يضعفُ سريعاً، ثم قفزتُ فوقَ الخندق مرة أخرى، حاشراً رجليّ الضعيفتين لتحملاني فوق هذه الهضبة التي تفطر القلب وتكسر الجسد. تحكمت بالأمر جيداً وبمعونة الريح المنعشة والمطر الذي يضرب وجهي قفزتُ إلى البيت، حيث وقف الحشدُ، حيث يقع خط النهاية، ولم أسمع قط الأصوات السعيدة المشجعة ولا رأيتُ الوجوه المهنئة المبتسمة عندما قطعتُ حبل نهاية السباق، شاهقاً بشكل عميقٍ ومهول كحصان سباق.

كان النصرُ حليفي وشعرتُ كما لو كنت بطلاً أولمبياً. كان عمري أربعة عشر عاماً. بدا الأمر كأنه حدث البارحة وأنه لم تمر سنوات عديدة منذ ذلك اليوم.

اليوم، أشعر كأني جثة حية. الرجلان اللتان ركضتا لأميال ذات يوم، اللتان قفزتا فوق خنادق وتسلقتا هضاباً، اللتان لعبتا كرة القدم وأحبتا السباحة والرياضة تتوقان إلى عيش هكذا رياضة والإشتراك في ألعاب كهذه من جديد، لكنهما تحتضران، وربما كانتا ميتتين قبل أوانهما بكثير، ربما قبل أن تريا شيئاً يشبه ذلك من قبل. تقلص دور قدميّ إلى مجرد المشي ضمن حواجز قبري القذر الكئيب المملوء أسى وألم والخطوات الثلاث جيئة والخطوات الثلاث ذهاباً تصبح أقل شيئاً فشيئاً،

Twitter: @ketab_n

ربما لبضع لحظات لبعض الأوقات كل يوم. رجلاي ثقيلتان وضعيفتان وملتهبتان ومؤلمتان. أتعبُ كعجوز وأشعر بالدوار ويحل علي الإرهاق مثل شبحٍ ولا أستطيع تصديق أني غير قادر حتى على السير لخمس دقائق. أنَا الذي ركضتُ لأميالٍ في سباقات قاسية في طول البلاد وعرضها وسبحتُ أميالاً ولعبت كرة القدم بالكاد أستطيعُ أن أمشي مسافة بطولي، ومع مرور الوقتِ أُصبح أكثر قلقاً، ليس فقط بشأن رجلاي بل بشأن جسدي كله، وربما قريباً بشأن عقلي، وأفكر أنه بمقدورهم رؤية السماء على الأقل في أقفاص سايغون للنمور. أشعر كأني مشلول، ربما حتى كجثة، لكن الجثة لا تشعر بالتعذيب ولا تستيقظ في منتصف الليل هلعةً أو تشعر بألم الإهانة، التحقير، التعذيب أو الوحشية. أخوضُ سباقاً من نوعٍ آخر في عقلي والبؤس الذي يحيط بي من كل الجهات ويضعني في مغلف يسخر مني بينما أحدق في رجليّ وجسدي العاري وأنا غير مصدق ما أرى ـ قسوة الحبس الإنفرادي التام في العنبر هتش قد فَعلتْ فعلتها.

Twitter: @ketab_n

وردة قلعة راثفارنام[1]

ظلالُ اعتلتْ الجدران البائدة ودق جرسٌ في البعيد محذراً.

فتيَّةً وطريةً مثل بتلةٍ فضية اللون فوق وردة، استيقظتْ في صباحٍ باردٍ رطبٍ.

أتى اليوم متردداً، بدا عارفاً أنه يحمل الساعات الأخيرة لرجل يحتضر.

ونهضتْ مفكرةً به وبالآخرين بينما اندلقَ ضياء الشمس كالعسل فوق الأرض.

فكرتْ بالكوخِ الصغير المطلي بالبياض على طريق راثفارنام
حيث حلت وغادرتْ كائنات مرفرفةٌ في صمتٍ سِرّي يوم بعد يوم،
حيث صنعوا من الأشجار رماحاً وشحذوها ليصنعوا منها البواريد
والأسلحة لعاثري الحظ الذين استلقوا بين أكوام الخشب المغبرة.

(١) (قلعة أنغلو نورماندية في أيرلندا بنيت في العام ١٥٨٣ ـ م).

Twitter: @ketab_n

في الهدئة التي علقت في الهواء، تكسر وقع الخطوات فوق الفناء
خارج زنزانتها الوحيدة،
هاقد جاء رجلٌ لا يعرف حتى الله من أين أتى، تنهيدةٌ ألقتْ عليه
تلويحة الوداع الأخيرة.
أوه، وأين كان هنري جوي و مونرو وطفلها الذي من دمها أودوير،
وأين كان هو، أكثرهم إقداماً، الذي أضرم نار الحريةِ.
حينها فقط، إنجلى اليوم وأتى ثم مضى،
وأخذوها لتتعرف على جثته، وكانت، كانت الشمس في كبدِ السماء.

أخذوها إلى دبلن في باصٍ، تجمَّعَ الناس حولها
حيث بكت نسوةٌ وتجهّم رجالٌ عندما دقت طبول الموت عالياً،
فوق سقالةٍ، ملفوفاً بأناشيط، لكن شامخاً وحراً في روحه
انتصب كبطلٍ ليلاقي الموت الزؤام.
ودقت الطبول وبكى الرجال عندما غسّلوه ولفوه،
وصاحت وردةُ راثفارنام! لقد قتلوا روبرت إيمت الشجاع.

ومرَّ الوقتُ وعذبها السجانون ليستنطقوا منها السِّر
أمةٌ وجيلٌ آخر قد بيعا لبشر، على يدِ بشرٍ، مقابل الذهب.
رحل طوني وبعده إيمت، مونرو وهنري جوي،
أُعْدِمَ توماس رسل في سجن دونباتريك.
وجلست تراقب ظلالاً وناحَ قلبها، من أجل رجال الوحدة،
الذين قضوا في سبيل حرية الآيرلنديين.

Twitter: @ketab_n

أشباحٌ في قبري

لحقتُ بركْبِهم في نقطة ما في الطريق من كلير
هيئاتهم مألوفة كأنهم جثث حية
عيونهم الرمادية الغائرة غاصتْ تحت شعُورهم الشعثاء
جمهرةٌ محتضرة من معذبين، مبتلين،
جباههم مرسومة فوق أجسادٍ واهنةٍ، أشباح في الليل هلهلوا إلى غالواي
صدحت كروانات في هدئة الليل، كانت روشين دبْ تحتضر
متعلقة بكفن أمها جلست الطفلة المحتضرة باكيةً.
في الحفرة المجاورة يرزحُ جثمانُ الأم الحُرّ،
هاقد أتت أم ماري
أمامَ النسيم الذي تنهد عبر الليل فوق أرض جحيم حي!

الدرب المتجمد ضرب بقوة الأقدام العارية التي عبرته
بينما في وادي خشب البندق الذي خلفنا تقع بيوت الطبقة الوسطى.
لكن لاشيء تململ أو تجرأ على الحركة عندما استيقظوا، باستثناء فأرٍ متسللٍ

Twitter: @ketab_n

والسيد الإنكليزي تغذى على يد الفلاح واحتسى الخمرة وازداد بدانة.

تحلقنا حول بعضنا البعض في بلدة غالواي بينما كان الليل المحتضر يهم بالرحيل.

فوق الندى شعَّ أول خيوط الضوء حول شجرة الزعرور البري

وعوى كلب عجوز متألماً.. لكن سيده كان قد مات ورحل منذ زمن بعيد

ولم ينبرِ عصفورٌ للشدو قط لأن أسى آخر قد ولد لتوه.

فوق جبين هضبة صغيرة جلست تلك الجمهرة المنهكة بلا حراك

شعورهم الشعثاء تطايرت مع ريح شباط/ فبراير الباردة.

غذوا السير وأرواحهم متورمة، رغم أجسادهم المكسورة

لأنه في خليج غالواي في البعيد جلس مخلِّصٌ، نجمةُ الأمل.

في مرفأ بحرٍ متلاطم الموج جثى قومٌ من الجياع على ركبهم

أطفال كلير المشردين صرخوا وولولت أمهاتهم، أمام البحر المخلِّصِ

«ربنا، دع ريح الأسفار تهبُّ وتنير دربنا

لأننا نتركُ وراءنا روشين دب بحثاً عن أميركا النائية».

فوق صهوة النسيم أتى الهواء المالحُ، صاحت النوارس خائفةً،

باتجاه بوسطن على متن نجمة الأمل أم هاديس؟

Twitter: @ketab_n

سيكشف الزمن من كان على خطأ.
نجمة الأمل، بهدوء لفظ تاجرٌ سيجاره
الأقدار البلوطية للعقود السوداء اللون فتحت طريق جهنم.
ماتت أمهار من الفضة، اختفت خواتم أجيال
لأن في مكان ما في حانة ماكنايت السوداء اللون جُرِحتْ يدهُ الآثمة.
بينما في البعيد جلس ستة أو سبعة أشخاص ضعفاء في قبرهم
أرسل ماكنايت والنقيب الإنكليزي ثلاثة أشخاص آخرين ليلقوا حتفهم
سقطت كل أعشاش الطيور من صراخ الأسى الضامر
في خليج غالواي احتدت المعركة، خافوا من ريح الأطلسي
وفوق طاولة من خشب اللوز، تكدس المالُ اللعينُ
جلس ماكنايت ليأكل ويتأمل في المعذبين وهم يحتضرون.
عشرة أيام بعيداً عن غالواي والريح تعصف في أشرعتها
قابلت سفينة نجمة الأمل المبتلة بالمطر وعواصف شباط/ فبراير.

موتى ورجال كلير المحتضرين يتفسخون في قذارتهم
وفي العتمة الحبرية اللون الشنيعة صرخوا لعودتها،
رائحة الجلد المتفسخ القبيحة علقت في الهواء
محاطين ببحر من قاذورات البشر المتعفنة.
توقف الأطفال الصغار المستضعفين عن الصراخ وهم يتضورون جوعاً

Twitter: @ketab_n

لن يبكوا أبداً بعد اليوم تحت أمواج الأطلسي.
لسبعة أيامٍ هبت عاصفةٌ ودُفِعتْ إلى البحر سفينة الجثامين
وعندما حل هدوء فوق اليابسةِ فقدتْ كلير فَخَارَها.
لن يرى رجل ولا أمرأة من بني البشر بعد اليوم
لا وادياً أخضر اللون ولا حلماً كانوا قد تمنوه.
روشين دب في نومٍ مبلل بالدموع صرخت بأعلى صوتها إلى رعيتها الصامتة
لكن رماحهم بقيت في كتل خشبيةٍ عاريةٍ، ذهبوا كما يذهب الإوز البري.

لكن مع مرور الزمن دفء قلبها المعذب روح صاعدة
نضالٌ نرثه اليوم من أحفادِ أحفادها.
وفي الليل أسمعُ الفأر يذهب متسللاً ونجمةَ الأملِ تمخر عباب البحر قربي
تحولت طاولة البندق ذهباً والرجل البدين لن يسمع ندائي.
ورائحة الجلد المتعفن القذرة، تصرخُ، جحيماً حياً!
إنه جسدي يحتضر في سفينة الجثامين في هذه الزنزانة الوحيدة.

Twitter: @ketab_n

ماكيلن المِقدام

سنبلَ العليق المتشابك،
في الغمرِ والوادي السحيقِ
بمنجلٍ طويل وحادٍ ومدبب،
مشحوذ من دم أهالي أنتريم القرمزي.
سيفٌ باردٌ ولامعَ النصلِ
حزَّ عنق القبيلة وماكوي الدموي
أجل! نقص عدد فرسان اسكتلندا واحداً
كان سيعذب هنري جوي.

ضاعتْ أنتريم! لكننا نهضنا وقاتلنا
كرجالٍ من أنتريم بل وأفضل،
ثمة وميضٌ فوق رؤوس الرماح
وانعتقت أصفادنا من الصدأ القديم.
الدم! والموت! والمعركة اللعينة
ضاعت بلدة أنتريم!
أنا الآن ثائرٌ طريدٌ

Twitter: @ketab_n

ماكيلن من آبوتس كروس.

أحتمي في الغمر في النهار
ليومين من باليكلير
ثلاث ليال في الحقول قرب باليروبرت
كان هناك جنود من الجيش البريطاني في كل مكان.
أكلتُ عظامَ أرنبٍ سريعٍ
أكلتُ حتى العشب
وشحب لوني مثل شواهد القبور
عندما عبر قربي شبح وجندي بريطاني.
تلألأت قناديلهم الصفراء
فوق نبات الرتم، حيث ألقى طوني القَسَم
كانت سماء الشمال مشتعلة
حيث لعلعَ المدفع.
يا يسوع، اقتل هذه الصرخات الزاعقة!
أوه، لنسائنا المعذبات القتيلات
في بادجرز روك في كانموني هيل
أذهبُ أنا، ماكيلن الهارب.

إنها مدينة بلفاست. قرب نبعِ لاغان
أراها هناكَ في الليل

Twitter: @ketab_n

حيث يرفعون عالياً السقالة المشؤمة
ليعلقوا ماكراكن عند طلوع الفجر.
وتنام مقاطعة داون بسلامٍ
على الضفة الأخرى من السبخة السوداء اللون، الميتة.
مع هذا تحرقُ باليناهينش هذه اللية
حيث نهض مونرو وقاتل.

مع ولادة الضحى من بحيرة تروبرز
وقد أتوا من مدينة كاركفيرغوس
هؤلاء الجنود الأسكتلندين والبريطانين
وبدأوا بالصيد.
بعيونٍ سكرانة وقلوب حاقدةٍ
سيحظون برواتبهم المضرجة بالدم
لكن بعضهم سيأخذ المال معه إلى القبر
قبل أن ينالوا من ماكيلن المقدام.

هبط الفجر وجيِّش فؤادي
مثل آيني في الليل،
لكن مونكستاون تهجع وكذا تفعل كلوفرن أيضاً
و وايت آبي بعيدة عن العين.
في مخبأ الرهبان القديسين

Twitter: @ketab_n

أمضي في إثرِ النبعِ
لأروي ظمأي وأنظف روحي
في بلفاست تقرع أجراس الموت.

لونا السنونو الأسود اللامع والبني الفاتح
يشقًّا السماءَ
في مجرى النبع يقبع وجه متلألىء
لثائرِ. إنه أنا.
صه! إنهم يقتلون الضحى
يفرُّ غرابٌ زاعقٌ من قلب الطحالب
إنه وقتُ القتال أو وقت الموت
بالنسبة لماكيلن من أهالي آبوتس كروس.

أتى ثلاثة ذئاب راجلة وفارسٌ على صهوة حصان
سأنقض عليهم في الدربِ،
إنه نصل هذا السيف الإسكتلندي
من سيحمل غضب ماكيلن
لأجل أنتريم وماكراكن!
هزمتُ منطقة كانموني
السيف الباتر قتل ثلاثة منهم
بينما قفز الأرنب البني اللون وتوارى عن الأنظار.

Twitter: @ketab_n

خنجرٌ ملتهب عثرَ على جلدي
وعضّ عظامي المنهكة
قبل أن يسقط الفرسان صارخين
ليموتوا متأوهين ألماً.
النسيمُ يحرك شجرة البندق
البقلة حمراء،
أوه، الضوء السريع والسنونو الفضي اللون
سرقا السماء ورحلا.

إلى مايكل دوير في سل مانتاين
أو يدفعُ الشيطان الثمن
على هذا الفرس الذي يمخر عباب السماء
يمضي ماكيلن من أهالي آبوتس كروس.

Twitter: @ketab_n

خيطٌ متَّقِدٌ

تبكي النوارسُ
تتماوجُ في الرذاذ
فوق محيط عقلي
يطيرها نسيمُ البارحة.

آه! الخواطر البسيطة اللطيفة
عزلة السجين
أن ترى حورية الصخور الذهبية
وأن رغم هذا، تُسْحَبَ بعيداً عنها.

العقلُ لا يعرفُ أبواباً
شمعة تتقد في عتمة الليل
بحثاً عن أخضر أو رمادي البارحة
أو الـ«ياليت» أو «كم تمنيتُ» أو «ربما قد».

في القبر في الأغوار السحيقةِ

Twitter: @ketab_n

يخبو ضوء الشمعة

يقتلُ الموتُ الحياةَ ولا يراه أحد

بينما تنتحب النوارس.

Twitter: @ketab_n

الرحلة

أبحرنا في عام ١٨٠٣
بعيداً عن مدينة ديري الحبيبة
يممنا وجهنا شطرَ أوستراليا وإن لم نغرق
فقد حملنا معنا علامة الأصفاد.
كان اسم سفينتنا «ذا غل»، وكانت تبعدُ أربع عشرة يوماً عن مدينة هِلْ
ونفذنا أوامر نقل المحاصيل
مثل شبحٍ في الليل قالتْ متؤهةً
موقعةً الحزن في قلب العديد من الأطفال.
في أغلالنا الحديدية الصدئة تألمنا على صغارنا
وزوجاتنا الطيبات تركناهن في حزننا
وأشرعتنا أطلقتْ لعناتنا الصداحة
على الإنكليز وعلى ما سيقع غداً.

في فم فويل ودعنا ترابنا
وأصبح لون البحر أزرقاً كلون السماوات.

Twitter: @ketab_n

ضخَّ النسيم شحوباً أصفر اللون في أشرعتنا
واستلقى القبطان سكراناً في قمرته.
نخرتْ «ذا غل» عباب البحر خاطةً أقدارنا
وتلاطمتنا أمواجُ البحر البيضاءِ اللون.
صرخ أودوكرتي، هلعاً من أحلامهِ
بسبب كابوس عن موت روبرت.
أحرقتنا الشمس بوحشيةٍ بينما صبوا العصيدةَ في الأطباق
و دان أوكونور استلقى يحتضر من الحمى.
سِتّون ثائراً اليوم، قاصدين خليج بوتاني،
يا إلهي، كم منهم سيصلُ الضفة الأخرى.
صببتُ جام لعناتي عليهم بينما جابهتْ مجاذيفنا غضبَ البحر
ورقصنا كفراشةٍ على ضوء النار.
مرَّت بنا أحصنة بيضاء اللون عندما عبر الشيطان
آخذةً معها عشرة رجال إلى هاديس في الشفق.
خمسة أسابيع في عرض البحر وبقي منا الآن ثلاثة وأربعون فقط
وبكي الأكثر قوة بيننا كما يبكي الأطفالُ.
يا إلهي، صرخنا وولولنا
لكن كل ما نالنا كان صلاةً واحدةً من حاجٍ.
في قذارتنا النتنة تشتتنا وضعنا في الزمن
راجين أن ينقذنا الله برحمته.
لكن أرواحنا أضاءت عالياً كأنجمٍ في السماء

Twitter: @ketab_n

كنا ثواراً ولم يتمكن أحدٌ من كبح جماحنا.

كنا على وشك أن نضيع كلنا، خسرنا حتى الآن دفعتين من الرجال
عندما صرخَ رجلٌ من السارية، «اليابسة يا شباب!»
هلل طاقم السفينة بينما حلَّ الهلعُ في قلوبنا
وألقيت المراسي وأخذنا بالسباحة
أرضُ فان ديمين هي جحيمٌ للبشرِ
الذين سيعيشون كل حياتهم عبيداً،
حيثُ المناخ جيد والمسدس هو مشرِّعُ القوانين
ولا الريح ولا المطر اعتنيتا بالشجعان.
عشرون عاماً طويلاً مرت وأنهيت حكمي
وأشباح رفاقي تعبر خلفي.
أتيتُ إلى هذه الدنيا ثائراً وثائراً رحلتُ
ستجدوني على صهوة الريح الباردة في الليل.

Twitter: @ketab_n

البحَّار الوحيد

في قلب البركةِ الغافية
يعيشُ البحار الوحيدُ
تشرأبُّ حوله هضابُ أجماتُ السراخس
الجداول والوديان
السماوات حمراء اللون ودوّارة
ملونة بلون الضحى المخملي
رفاقها الفزاعات الشعثاء ترتاحُ
حيثُ طارت الغربان الناعقة.

البحارُ الوحيد لا يتحركُ
ملابسه بالية ورثّة.
آه، بُحْ لي أيها البحار الوحيدُ،
بُحْ لي وقل لي لماذا تبدو بائساً.
هل بسبب مآسي الحياة
أو ذكرى منسية قد وجدتها
أو هل لأنك تصغي إلى الريح

Twitter: @ketab_n

أو لأنك رأيتَ بحارين غرقى؟

آه، أيها البحار الوحيدُ، ثمة نجمٌ ساطعٌ
فوقَ رأسك.
تتلألئ المياه في الغسق
هل هي دموعكَ التي ذرفتها؟
آه، أيها البحار الوحيدُ، العصافيرُ هنا،
تسقطُ ظلالُ الصباحِ.
آه، يا أصدقاء، لماذا عليكم أن تكونوا
مجرد ظل يحتضرُ على حائط زنزانتي الوحيدة.

Twitter: @ketab_n

«وعلى هذا النحو تستمرُ الحياة في الجحيم الحي»

جسدي حطامٌ، قلبي متورم، أكثر تورماً من الألم الذي يدمر جسدي. صوت الرجال الصارخين يمزق قلبي وينقض على عقلي وأرجو الله أن يحين دوري من جديد، لأن من الأكثر صعوبة علي أن أسمع صرخات رفاقي المعذبين من أن أعيش الألم النفسي الذي يأسرُ جسدي المحطم!

الأرضية باردة وسوداء اللون، مع هذا ثمّة دفء حيث ترتع الأجسادُ الحارة العارية في بقع ثخينة حمراء اللون. لكن مع هذا، أشعرُ بالهدوء وعدم الخوف. أعلمُ أني مصدوم وأنه عندما تهرب نوبة الهدوء الصادمة سأصابُ بالرعبِ، مرتجفاً، روحاً عارية في العذاب مرة أخرى، وسيحلُّ علي التوتر كظلٍ أسود اللون لعين، لكني أظن أني لا أكترثُ بعد الآن. لقد قاتلتُ، كلنا قاتلنا في عرينا وسقطنا كالخراف أمام الذئاب، وهكذا سنقبع في دمنا المسفوح وسأصغي بينما تقطع الذئاب الأجساد العارية لسجناء شبان وآخرين في منتصف العمر وهم يبدون كعجائز وربما، أعتقدُ، «سجناء موتى». وتتركُ الذئاب سجناء أموات الأرضية السوداء اللون، الغروية، القذرة، ذات الروائح المقززة من تلك القبور جاهزة الصنع الذين يتداحون في غيابهم عن الوعي وأولئك الهائمين في حالةِ عدم الإحساس الهادئة الضبابية، الحمد الله.

ليس في ذهني إلا فكرة واحدة ـ انتقام وحشي لا يرحم ـ عندما

Twitter: @ketab_n

اسمع صرخات أولئك الذين لم يعرفوا الحياة من قبل قط، فقط القمع والمزيد من القمع ووحشية وحش يحرمنا من حريتنا. لقد قاتلنا من أجل الحرية وما زلنا بكل ما بقي فينا، سلاحنا الوحيد هو روحنا، لكن في عرينا لاتردعُ الروحُ الذئبَ أو تقيها من سوط الهراوة أو ترد عن نفسها اللكمات المنهمرة كالمطر، الساحقة - لا تستطيعُ رفع التعذيب!

لكن روحنا هذه هي الروح التي تقول لي لا تستسلم، لا ترضخ، انهض وواجه ما بجعبتهم، وصرخة أخرى مثيرة للشفقة وملؤها الخوف تخترقُ الهواءَ وسط جوقة اللكمات والضرب المبرح وصوت تحليق البصاق الثقيل والأبواط الملمعة. وأفكر في تلك الأرتال الطويلة من اليهود العراة، الرثي الملابس في وسط غابة الأسلاك الشائكة الرمادية اللون البغيضة وأستطيع أن أسمع صوت أقدامهم، شبه الصامتة، يجرجرون أنفسهم، قدمٌ عاريةٌ للعذاب والوحشية وأصوات التعذيب والموت الثاقبة، الراجفة، الناحبة، الزاعقة، الصارخة وأسمعها بوضوح تام. يصرخون بي من كل جهات الأرض وذئاب داتشو لا تختلف عن ذئاب هذا الجحيم و، يا حبيبي يا يسوع، أليس هذا هو الجحيم بعينه؟ وأعرفُ أني سأموت إن كان لابد من ذلك، كلنا سنموت إذا اقتضى الأمر لنسحق ألسنة لهيب هذا الجحيم، وبأنَّ جسدي ألماً وعقلي ليس لي، لأن الألم يوغل تعذيباً في جسدي. الحطام والهلع في الأجواء والخوف قد خيَّما فوقي وأطبقا على روحي، والصرخات، الصرخات التي تدمر القلب تستمر. تصرخ روحي بكل جوارحها، تنهضُ، لكن جسدي يرجو أن يتوقف كل شيء، يتوسل الرحمة، ويريدُ أن يستلقي فوق الأرضية الباردة، الملطخة بالدماء السوداء اللون ويموت، يريد أن ينام، أو إنه هلعٌ ومحطم وربما يحتضر كل دقيقة، كل دقيقة أبدية. وتقول روحي، انهض، وأنهضُ بينما يسبب لي الألم المزيد من الألم،

Twitter: @ketab_n

إنه ألم الهلع والخوف، الخوف من الخوف، والذئاب تضحكُ وأتسائل هل يعرف الناس حقاً ويفهموا، لأنه لا راحة ولا منفذ. وما أزال أرى أرتال أولئك اليهود ولا أحد يسمعهم غيري، لأني أفهمهم. وأنا ترتعدُ فرائصي بينما يفتح باب قبري على مصراعيه وينقض عليَّ قطيعُ الذئاب العاوية في ثيابها السوداء اللون الموحدة، وأعرف أن هذا ثمن المقاومة، ثمن الحرية، ويصرخ اليهود في عقلي وتأخذهم الصرخات ومعاناة سجناء الرأي السياسين العراة التي تحيط بي بينما تخبو صرخاتهم وتصبح همسات. ولا أعود أكترث بعد الآن لأني أعتقد أنه ليس بمقدورهم إيذائنا بعد اليوم إلا بقتلنا. أكثر من مئة رجل سقطوا في العنبر هتش وفي عريهم يقبعون مضرجين بوحشية ومطحونين طحناً، لكني أشعر بالهدوء وعدم الخوف بينما ينزف وينفطر قلبي. لكن روحي تستصرخُ، تنهض و، يا إلهي، أليس هناك نهاية؟ وأنهضُ، لأن من ينهضُ لا يخنعُ أبداً وعلى هذا النحو تستمر الحياة في هذا الجحيم الحي.

Twitter: @ketab_n

أنشودة حزينة لسوزان

أقفُ في النافذة، أنظرُ إلى الشارع
أبحثُ عن وجهكِ، أترقبُ وقعَ قدميكِ.
تهب الريحُ في الخارج وقد بدأت السماء تمطرُ،
وجودي هنا وحدي هو ما يؤلمني.

أعود بذاكرتي إلى الماضي، عندما كنتِ هنا
وأتمنى لو كنتِ لي الآن، أتمنى لو كنت قريبةً.
أتذكر ليالي الشتاء عندما دفأتني من البرد
وفي الربيع عندما مشينا في الحقول الخضراء تحتَ سماواتٍ من الذهب.

لقد غبتِ، غبتِ، لكنكِ خالدة في ذاكرتي.

في الصيف لعبنا مع الأطفال وأحضرت لنا جين الفتية،
لكن الآن ـ الآن الدنيا وحدةٌ وبردٌ والشتاء يغمس أصابعه من جديد.
الدنيا ظلام الآن، أرى، النجوم تستطعُ في السماء،

Twitter: @ketab_n

و يا إلهي كم تذكرني النجوم باللمعان في عينيكِ.

أنا وحيدٌ، أجل، أكثر وحدة من الريح الباردة التي تهبُّ،
هل أنتِ سعيدة، هل أنت بخير، وحده الله يعلم.
ويا عزيزتي كل الناس يذهبون إلى أسرتهم والأطفال يبكون من أجلكِ
ـ كيف أقول لهم إنك ميتة؟

لقد غبتِ، غبتِ لكنك خالدة في ذاكرتي،
لقد غبتِ، غبتِ لكنك خالدة في ذاكرتي.

Twitter: @ketab_n

باليه المغيب

السنونو الأخير المرفرف يعبر قرب زجاج النافذة الشفاف المغبر.

العصافير الصغيرة الخافقة آبت إلى أعشاشها.

السماء فضية اللون ومخملية والأشياء الأكثر عتمة

قد أخذت للتو بالتسلل فوق السياج الشائك الرمادي الكئيب، هربَ اليوم.

كما لو كانت تطارده كلاب الحراسة النابحة التي شمت رائحة أولى الجرذان التي تجرأت ووقفت فوق الأنابيب،

يتعلق السجين بشواية الفولاذ الوشيعية،

أصابعه أخذت بالإنزلاق يتأمل مدهوشاً في العالم

ملتفاً ببطانيته البالية يقاتل بحثاً عن توازن.

وجهه الشاحب المريض شبه مختفٍ خلف لحيته الضخمة المهلهلة،

خصلات شعره المتلبدة، المتشابكة، تتدلى مثل شرايين.

عيناه شاخصتان بشراسة ومتقدتان وفيهما ملامح ثاقبة لعدم الإحساس بشيء أوبالجنون،

أو ربما مزيج من التعذيب الفظيع والسعادة الصرفة لاستراق نظرة إلى نهار يحتضر.

Twitter: @ketab_n

يسترقُ نظرة من قبره كرجل الكهف المبعوث من جديد
لكن ليس ثمة ملحمة تقطع الأنفاس، مجرد يوم يحتضر
ورقصة باليه المغيب لعصافير الذعرة البديعة
والسماء الآن تنزفُ، لقد جُرِحَ النهارُ،
على نحو قاتلٍ، كاشفاً جرحاً قرمزياً يشبه الغيم وألقت العتمة القبض على السماء.

رقصة الباليه غايةٌ في الروعة.
العصافير الراقصة في ثلاثة أزواج تتخايل بعظمةٍ في النسيم.
يمسكُ السجينُ بالشواية الفولاذية الحارقة مدفوعاً بحماسة الرقص البديع.
يرقصون ويتقافزون، يرقصون رقصة الباليه على أجنحتهم،
هابطين على النسيم، هازين أذيالهم، صاعدين وهابطين على أنغام تغريداتهم.
هي ليست أنشودة إنما أغنية مرافقة كلاسيكية
لم يبقَ لدى النهار سوى نَفَسٌ أرجواني عميق.
لكن حتى الليل قد تعب من كل هذا.

راقصة باليه وحيدة تخفقُ في روعةِ نجمة المغيب،
هاقد أتى القمر ليشاهد،
تنبحُ الكلابُ

Twitter: @ketab_n

والفأر الأول ينسلُ عبر أنابيب الصرف الصحي هنا.

ينسحب الليل الآن، يغيبُ الراقصون مع غياب النهار

والسجينُ، المسكين الماسح عينيه الإثنتين،

لا يستطيع السجين الإمساك بالفولاذ البارد بعد الآن،

يسقطُ في أحشاء قبره المعتم الرطب، كومة من الخرق المثيرة للشفقة.

رقصة باليه المغيب انتهت لكن الجمهور لن يذهب إلى البيت، ربما لن يذهب إلى البيت أبداً.

Twitter: @ketab_n

نجوم الحرية

نجومُ الحريةِ تضيءُ السماوات،
ملكاتُ الماضي غير المتوجات،
ولِذنَ في أرضٍ من البهاء الملكي،
انبثقن من أرحامٍ صوفية.

مجوهرات فضية تثقب العتمة،
عذراوات سماويات متخفيات،
يضرمن في القلوب غراماً ولهباً،
ويوقدن ناراً صاليةً في عيونِ الرجال.

آه، يا نجمة الجمال في بهاء الليل،
لقد حفزتي العبيد ليكونوا ملوكاً،
وأنرتِ دروبَ المعذبين،
من الأحلام إلى الأشياء الحية.
في بِحَارِ الزمنِ تطفين هادئةً،
آه، يا نجوم الأمم الجديدة الفضية،

Twitter: @ketab_n

رسمتِ دمعة لتطلقي بصيرة البشر،
عبر قضبان السجن البائسة.

آه، يا نجمة آيرين، مليكةَ الدموع،
غيوم سوداء اللون قد أسرتْ مولدكِ،
ويموت شعبكِ مثلما تأفلُ نجوم الصباح،
لأن نوركِ قد يهلُّ على الأرضِ.

لكن نجم الغيلية هذا سيولدُ،
وليس بأساليب صوفية،
إنما بأمةٍ يتقد قلبها بضياءِ الحرية،
وليس بأحلامٍ بائدة.

Twitter: @ketab_n

حالمون

عبر ضبابٍ فضي اللون دقت الحرب طبولها
تشو[1] العريق صرخَ طالباً الريحَ
حيث حمل ملاكٌ سيفاً لامعاً،
ضد كل الآثمين.

ورأيتهم على صهوات أحصنتهم يندفعون من آلاف الوديان،
وسمعتُ أغاني حربهم.
العاصفة تهب فوق سهولهم المنبسطة،
وقد ساروا مليون ميلاً بلا كللٍ أو ملل.

وفي مقدمتهم كان آدوه أونيل
وإلى جانبه أدوه روا
أورروير، أو برين، آدوه ماكويدر،

---

(١) تشو تشومن شاعر إيرلندي قديم يعتقد أنه مات سنة ٧٤٧ ق.م اشتهر بقصائده الملحمية الحزينة.

Twitter: @ketab_n

وملوك ألف معمورة.

رأيتهم يسيرون إلى بيرنا بايل
ومن جديدٍ يقعون من صدمتهم،
لأنهم عرفوا أكثر مما كانوا يبحثون عنه،
ولم يعرفوا كيف وإلى أين يذهبون.

Twitter: @ketab_n

قرب صخور دُن آن أوير ـ ١٥٨٠

رأيتُ أشرعتها مندفعةً في الريحِ،
وقد رستْ على الشاطئ قواربها الباسقة،
حسناء إسبانية على تاج كل البحار،
قرب صخور دن آن أوير.

تقلّدوا أسيافاً من الفضةِ وكانوا في أبهى حللهم،
رجالُ الحرب هؤلاء في نياشينهم اللامعة،
شقت أصوات أبواقهم عنان السماء،
قرب صخور دن آن أوير.

طيور سكورافين عضّوا جلودهم الداكنة اللون،
ولم يعرفوا الموت من قبل قط،
وأنشدوا أناشيد المعركة بصوت عال،
قرب صخور دن آن أوير.

أشتدت صرخات النوارس المنذرة،

Twitter: @ketab_n

عندما بدأ وحوش الغرب بالزأيرعلى الشاطئ،
لكنهم لم يسمعوا صوت الإنكليز قريباً منهم قط،
قرب صخور دن آن أوير.

وملك الإسبان يرتشفُ البراندي،
أمم بهيةٌ ترقص في البِلاط،
لكن الإسبان يلعقون الوسخ المالح،
قرب صخور دن آن أوير.

«استسلموا» أتت صيحةُ الإنكليز،
«تأخرتم كثيراً» ردَّ الإسبانيون بكرهٍ،
لأن عناصر الجيش البريطاني كانوا في مكان على مرأى من الجميع،
قرب صخور دن آن أوير.

ثمانمائة فارس إسباني
محاصرين على شاطئ آيرن،
حيثُ ألقوا أسلحتهم وتثبتوا بخوفهم
قرب صخور دن آن أوير.

لكن كتيبة الفرسان الإنكليزية تدخلتْ،
وحنثوا بوعدهم،

Twitter: @ketab_n

عندما ركع أولئك الأبطال الإسبان على ركبهم مصلِّين،
قرب صخور دن آن أوير.

«من أجل الملكة!» صرخوا بشبقٍ دموي،
ذابحين كل الجنود أمامهم،
وقتلوهم جميعاً دون رحمة،
قرب صخور دن آن أوير.

طيور سكورافين الآن تخفقُ فوق القبور الإسبانية،
مقتلة من دماء البشر لا أكثر ولا أقل،
حيثُ لعنتُ اليومَ، الملوكَ والأوغاد،
قرب صخور دن آن أوير.

Twitter: @ketab_n

أسى ضامر

تتساقط دموعها في العتمةِ بينما يهطلُ المطرُ في الليل،
دموع كالفضةِ كمطر من الفضة، متوارية عن الأنظار.
تسقطُ النجوم من عينيها مثل بتلات تهطل مترنحة من السماء،
أليس هناك من يسمع نداء هذه المرأة في كل العالم؟

خاطرة بسيطة صغيرة مرفرفة حالمة قد أججتْ قلب هذه المرأة.
حلم الأمس الذهبي الناعس قبل أن يفترقا.
ما الراحة التي يمكن العثور عليها لبتلة بمثل هذا الجمال والنحول
وحيدةً في غابة مظلمة من الأسى تنتحب مجدداً على فراقه؟
دموع فضية حارة مدرارة تطبع النمشَ على ما كان يوماً بشرةً ولا أجمل،
بشرة أنارت ذات يومٍ بأروع بهاءٍ وسط حلةٍ من شَعر كالذهب.
يتذمر الأولاد ويبكون عن رأفة وحب أبٍ لم يعرفوه قط.

من يرى الدموع الصغيرة لهؤلاء الأبرياء بينما تعصفُ رياح الزمن؟

Twitter: @ketab_n

ما الأسى الذي ستعرفونه الليلة عندما يكون كل العالم نائماً،
عندما، عبر العتمة، يأتي السيفُ الذي يحزُّ عنقَ القلب.
لا أحد يجفف دموعكِ أو دموع أطفالك المتشبثين بفستانكِ،
عندما وقعت مجزرة أخرى في زنزانات العنبر هتش.

Twitter: @ketab_n

نجمُ الحرية الفضيّ

هوى الشعلة القرمزية تسلّق عالياً ليلاقي الليل،
استيقظتْ ملكةٌ على جلبةِ أصفاد في نورٍ بهيٍّ شاملٍ.
في الشمالِ سطع نجم الحرية الفضي فوق رأسها
ثم أتى فارسان اثنان يمتشقان سيفين اثنين ليسفحا دمنا الغيلي القرمزي.

من خلف الجدران البائدة لعتمة تامة إنبثقتْ همساتُ البعض،
خرقة قماش صفراء بالية مركونة جانباً، عيون جاحظة تائهة.
ثم أتت القطعان البرتقالية اللون و «قوات خاصة»، كأنهم شياطين سود في الليل،
واستحالت تلك الهمسات صرخات معركة، «انهضوا!» عندما اندفعَ البعضُ ليحارب.

هطل مطر آب/أغسطس فوق الدمِ البارد الذي سال بغزارة،
لينسال في قلبها ويسقط فوق عظام رجال الفينين البائدين.
تمسّك أطفالنا بتنانير أمهاتهم وصرخوا عالياً

Twitter: @ketab_n

دمعة فينينية من وجهٍ بلا ملامح انذرفت فوق كفن بطل مهلهل.

آه، ومع هذا أتوا كأسلافهم في آلافهم المؤلفة -«لا للإستسلام!»
عوى مسدسٌ في يدٍ راجفةٍ، إنها المقاومة وقد أتت لتشارك.
آه! أضاء النجمُ السماوات العالية، تقدمَ الرجالُ كحكماء الماضي السحيق،
باحثين عن درب الحرية التي كانت يوماً لنا.

في مدينة نيوري وفي كروسماغلن في وديان أنتريم الهاجعة
من فجوةٍ في الشمال، عبر تايرون البائدة إلى شارع بلفاست المحترق،
على قمة هضبة كريغان، في فارمانا النائية حيث نامت بسلامٍ البحيرة العظيمة،
استيقظ غيليو الشمال، شعبٌ ثائرٌ الآن، ليحرروا ملكتهم الغيلية.

وقاتلنا ومتنا، وفوق قبورنا بايَعكِ أطفالنا،
سينصبك غيليو الشمال ملكتهم بكل عظمتك، ملكة مزدانة بالنفائس من جديد.
والليلُ الآن طويلٌ، ألم نمشي طويلاً جداً، بعيداً جداً،
لكننا نسترقُ النظر إلى حيث بهاء الليل فهناك تكمن حريتكَ في ذلك النجم الفضي، الوهّاج.

Twitter: @ketab_n

يَبْقى كل شيء فظيع على حاله

«يبقى كل شيء على حاله ـ فظيع».

هذه هي الكلمات المكررة، على ما يبدو، التي تخرج لا محالة من كل يوم من الأيام التي أمضيها في العنبر هتش في سجن لونغ كيش المركزي على مزقٍ بالية من محارم تواليت ممهورة بطابع الحكومة، تخرجُ إلى رفاقنا في العالم الخارجي. رسائلنا المهرَّبة اليوم وشتْ بالتعذيب الشرير والوحشي الذي اقترفه عشرات السجانين الساديين الطائفيين بحق سجناء الحرب الجمهوريين الذين لاحول لهم ولا قوة؛ وشت عن كيف قاتلنا ليلة البارحة على أبواب زنزاناتنا بالبطانيات محاولين أن نصدَّ مِرشَّ الماء البارد كالصقيع عن إغراق أجسادنا الشاحبة التي تشبه الهياكل العظمية وفِرشنا القميئة، الرطبة أصلاً، الممزقة التي تستلقي فوق الأرضية الإسمنتية الوسخة، الباردة. وعن كيف استسلمنا، غرقنا في البلل، لنعود القهقرى إلى أبعد الزوايا، مطمورين حتى كواحلنا بالماء، لندافع عن أنفسنا بكل ما نملك، «نملكُ روح المقاومة».

نروي حكايات عن الطعام الشحيح، البارد، الذي بلا طعم والشحيح. نعيش حالة جوع دائم. حالة رهيبة، لكن بالنسبة لنا هنا في العنبر هتش فهذا شيء ثانوي جداً ولا قيمة له في نظر السجناء العراة، المضرجين بدمائهم، المطحونين طحناً.

Twitter: @ketab_n

لكن ألم تكن الأمور هكذا بالنسبة لسجناء الحرب الأيرلنديين الجمهورين القابعين في جحور الجحيم البريطانية؟ لا مستقبل في أيرلندا تحت نير القمع، إنه مجرد تاريخ تراجيدي يتكرر في كل عقد. لقد جلب لنا كل عقد نفس القصة الفظيعة عن الوحشية والعذاب الذين تعرض لهما سجناء الحرب الأيرلنديين، رجالاً ونساءً على حد سواء و..، حتى لا ننسى، الجرائم التي تبعت ذلك. لا حاجة لتذكيرنا بالتعامل الوحشي البربري الذي تعرضتْ له آن دفلن، سجينةً ومضطَهَدةً على يد الإنكليز والعملاء على حد سواء، منذ أكثر من ١٧٥ سنة خلت؛ أو العزيمة الثابتة والروح الحرة اللتان تحلتْ بهما الدوقة ماركيفيتش في مقاومتها الراسخة سواء داخل السجن أم خارجه. هو نفسه ذلك التصميم والروح التي نراها اليوم أمام أعيننا في يومنا هذا من خلال الموقف المبدئي للنساء الأيرلنديات القابعات في سجن آرامان، اللواتي يشبهن البطلات الجمهوريات في عقود وقرون مضت برفضهن أن يُهْزمْنَ أو أن يسمحن أن يُعَامَلن أو يصورن على أنهن مجرمات كباقي المجرمين العادين. بالتأكيد لن يهزم أي شيء روحهن وعزيمتهن الراسخة الحرة.

ونحن أيضاً سجناء احتجاج البطانيات الجمهوريين في العنبر هتش نتذكر بشكل جيد رفاقنا من طراز السجين جايمس كونولي الذين لا يعدون بالأرقام، رفاقنا من طراز روبرت إيميت، فرانك ستاغز، تيرانس ماكسويني، ولا ننسى أبداً أنه سواء كان الشيطان الإنكليزي أو خادمه، فالنتيجة هي واحدة دائماً ـ قمع وتعذيب.

نظام حزب فيانا فايل الجمهوري الراهن ومعاملة سجناء الحرب الأيرلنديين الجمهوريين المحتجزين في سجن بورتلاويي هم نفسهم بشكل متميز والفارق قليل أو يكاد ألا يكون موجوداً بين المعاملة التي

Twitter: @ketab_n

يتعرض لها الجمهوريين في أعوام١٩٢١ و ١٩٢٢وآلة الدنانير المجانية (آلة تعذيب خاصة بالسجون - م) التي أطلقت النار في أجنحة السجن وساحة التنفس التي أصبحت مراتع للإعدام....مثلها تماماً حال سجناء الحرب الجمهوريين خلال الثلاثينيات، الأربعينيات والخمسينيات في سجن طريق كرملن... يتتابع التكرار بينما جيل رجال ونساء أيرلندا الحالي يتعفن ويموت ويتم تعذيبهم دون هوادة، والجيل القادم، والأجيال التي ستليه قد تحضر نفسها لملاقاة المصير نفسه ما لم يتم إزالة الطاغية الطاعن في السن ـ بريطانيا ـ، لأنها دون الشعور بالعار ودون أي شفقة ستحافظ على احتلالها واستغلالها الإقتصادي لأيرلندا حتى يوم الدين، إن لم يكبح جماحها ويطردها أحد.

هناك طريقة واحدة للجمها ونزع العدو البائد والمضطهد. مرة وإلى الأبد، الطريقة الوحيدة! هي استخدام القوة في شكل صراع مسلح. نحن سجناء الحرب في العنبر هتش، آراماه، بورتلاوي وسجون طريق كرملن، زنزانات لونغ كيش، إلى جانب رفاقنا السجناء في جحور الجحيم الإنكليزية، قد أخذنا ذلك الموقف ونتابع رفضنا الرضوخ أو الإذعان حتى بعد أسرنا وتعذيبنا. نوقن أننا،إلى جانب رفاقنا في أوغليه ناهيران في الخارج وأنتم أيها الشعب الثائر، تستطيعون وسوف تسطرون نصراً سيغير أجيال المستقبل بإحلال السلام والعدل، السعادةِ والرخاء وليس الإضطهاد.

بالتأكيد يجب أن نتأكد أن ننظر إلى صراعنا الحالي حتى النهاية والخاتمة المكللة بالنجاح بإرساء الدعامات الأولى لجمهورية أيرلندا الإجتماعية، أو بالتأكيد فستبقى «الأمور» على حالها.

«دائماً على حالها! إن سمحنا بذلك».

Twitter: @ketab_n

هواجس من قلب الظلال

العتمة من جديد. رجلٌ تركَ الإحتجاج اليوم. وقالَ للكاهن «إني مغادر». لم يحاول أحد إيقافه، لا أحد يفعل ذلك البتة، الإحتجاج طوعي. إنجيله المهلهل موضوعٌ حيث يستيقظ في عذابه فوق الأرضية القذرة، بالٍ ورثٌ للغاية من كثرة الإستخدام. إنجيل مهلهل، *كتابُ الحقيقة*؟ قرأناه نحن الذين عرفناهم في الجو الجحيمي وصمت زنزاناتنا التي تشبه القبور في جحيم العنبر هتش الحي. لا تغير يذكر من عهد السجن الفيكتوري لـ توم كلارك، اودونوفان روسا أو الشاعر أوسكار وايلد.

كتاب يقي من الجنون أو تدمير عقل المرء عندما يتعلق الأمر بهوس، عبر عزلة تامة وإحباط. يتم إساءة استخدامه. لا شيء آخر ليُقرأ. ننوس بحذر بين حافة الجنون وحافة العقل، كل جزء من حياتنا مسوَّر بالعذاب.

منذ عدة أسابيع وُضِعَ أحد السجناء على مشجب التعذيب في السجن، تركَ الإحتجاج، لم يحاول أحد تغيير رأيه. العديد منا كانوا سعداء وهم يرونه يغادر، لكن مع هذا حزنوا. كان فم السجين متورم جداً لدرجة أنه لم يستطع أن يأكل. كان يموت جوعاً بالمعنى الحرفي للكلمة. ذهاباً وأياباً كان يزرع الأقدام القليلة بين حائط وحائط آخر فيما يشبه النشوة تقريباً. السبب؟ ألم أسنان مبرح ـ رفضوا مراراً أن يعالجه

Twitter: @ketab_n

طبيب أسنان. استخدَموه كرهينة، على أن يوقف إحتجاجه لينال بعض الإهتمام - أن يستسلم مقابل العفو عنه. تركوه في ألمه المضني، وتركوا أنّاته وآهاته ترنُّ في أذهاننا ويتردد صداها في الممرات الصامتة في الليل، طارحة علينا السؤال القديم الآن، «متى سينتهي كل هذا؟ ما هو الثمن؟ ما هو حجم التضحية؟» القبور الصغيرة المتواضعة والأبطال، المؤامرات المنتشرة على طول وعرض بلدنا المحتل والذي لا يزال ينتظرُ الإنعتاق، ربما يحمل الإجابة.

مع هذا أن يفكر المرء بأن دماء الوطنيين الذين لا يحصى عددهم ليس كافياً، أن جيلاً جديداً وأعمى البصيرة يطالب بدماء جديدة ليفتح بصائرهم ليروا الوحش الذي يطبق على أعناقهم ممزقاً قلوبهم.

في الظلال تشعر بالوحدة، والهواجس والذكريات قد تكوْن مرعبة، لكني ما أزالُ أقفُ قرب جايمس كونوللي وستاغ. هواجسي ترن بشكل مأساوي - تركوا رجلاً يحتج اليوم، أخذوه في كفنٍ!!!

العتمة من جديد. ثمة إشاعات عن حصول عائلات على رسائل من حكومة أيرلندا الشمالية وسلطات السجن، رسائل اعتذار، ووقائع حقيقية، كما يقولون.

شعبنا، كما تعلمون، أعادهم، شاعراً بالقرف من وقاحتهم. ماتراه أم سجين في العنبر هتش أثناء زيارتها الشهرية الثمينة لا يسرّ الخاطر ولا يريح البال - شبح لشخص ناحل، شاحب وملتح، بشكل أو بآخر دائماً ما يرسم ابتسامة شجاعة بين وجنتيه الغائرتين. لا تستطيع أي كمية مهولة من الأكاذيب المحبوكة بعناية و الأعذار الواهية أبداً أن تمحو الندبة الغائرة عميقاً في قلب أمي، كونها رأتْ ما فعلوا ويفعلون بي. بالطبع، هناك حمّامات عامة متاحة لكل محتج من محتجي البطانيات، كما

Twitter: @ketab_n

وهناك أيضاً غرف خاصة لغسيل الملابس، غرف طباية ومجموعة غنية من الخدمات الأخرى، لكن ما الثمن مقابل ذلك؟ كل ذلك وفق شروطهم دائماً، شروط تفرضها عصابة من الطائفيين، الذين هم عمادُ الدولة الطائفية ـ «أفرِغوا أوعية الفضلات من زنزاناتكم لو شئتم»، اغتسلوا، لكن كل ذلك على هوانا! «ـ تعرُّوا ـ أو فلترتدوا ثياب السجن الداخلية الموحدة».

كلنا عالمٌ بتصرفهم. إنه نفس التصرف لنفس السلطات القمعية في الخارج.: «خذ شقة من الإسمنت تشبه القبرفي مجمع ديفيس السكني أو فلتعش في الشارع» يقولون. «اعملْ قليلاً أو لا تعمل على الإطلاق ولتتضور جوعاً» أو «لكَ أن تَنتَخب كل أربع سنوات. إن لم يروقك الأمر، فلتتدبر أمركَ» وهذا كل مالدينا كما «يقولون»!!

«إذا كانَ لديكَ تظلّم في العنبر هتش، يقول لك إداريو السجن، اكْتب اسمك هنا لتقابل المدير العام». في الخارج الأمر مشابه من حيث الجوهر، أعني أن «اذهب وقابل عضو في مجلس الشعب». النتائج من كلا الحالتين دائمة متشابهة، لأن مقايس السكن والمعيشة، معايير الحياة، في بلفاست وأماكن أخرى وداخل أسوار العنبر هتش، واضحة للعيان. إن خرجتَ عن السرب سَيُرمى بكَ في العنبر هتش، إن ثرتَ في العنبر هتش ورفضتَ أن يتم تجريمك، يتم تعذيبكَ في محاولةٍ أخرى لجعلكَ تخنع، تقبل، تجلس صاغراً.

أمهاتنا وأنت أيها الشعب المضطَهَدُ لايحق أن يقالَ لكم من باب السذاجة، ويتوقعون منكم في الحقيقة أن تصدقوا، أن لا وجود للتعذيب في العنبر هتش. نفس التعذيب الذي هو حقيقة صارخة عن وضع الطبقة العاملة الوطنية المضطَهَدة المزري! كلنا يعلم السبب وراء

Twitter: @ketab_n

تعذيبنا - لأننا سياسيون إنفصاليون، سجناء حرب، ولن ننحني أو نقبل بالوضع الراهن. سبب وجودنا كلنا هنا واضحٌ للجميع - بسبب الفوضى التي خلقتها بريطانيا في بلدنا الذي تتنازعه الحروب والمحروم اقتصادياً والمستباح. رسائل إلى عائلاتنا، كتلك التي أرسلها معذبي السجناء العراة والسجينات اللواتي لا حول لهن ولا قوة، ليس أكثر من نكات سمجة، نكات سمجة للغاية.

العتمة من جديد، صديقُ الشيطان والظلال ترسمُ وجوهاً قديمةً. ترتاحُ هواجسي في عقل معذَّبٍ من الذكريات والأماكن المحببة. «هل أنت هنا يا ولدي؟» (يخفقُ القلبُ بشدةٍ)، لكنه راي فقط ينادي - «باركوا أنفسكم الآن، راقبوا الطريقَ، وحاذروا ألا تسقطوا».

ليبارك روحَها اللهُ، لقد عشتُ عصرها؛ كم مرة رأيتها تبكي، والآن لا أحتمل أن أشاهد الشيء الذي تحبه يحتضر بشكل مثير للشفقةِ. وبينما يسحلونك من الزنزانة، عارياً، محطماً، دائم الترنح، أسمع صوتاً يقولُ، «ليباركَكَ الله يا ولدي» وأعلم أنها روزي تناديني.

Twitter: @ketab_n

عَدَالةٌ شِعْرِيةٌ

كان ذلك من أكثر الأحلامِ غرابةً، متيقنٌ من ذلك،
من بين كل الأحلام التي سبق ورأيتها،
حلمتُ أني غادرتُ هذي الحياة،
وشعرتُ بسعادةٍ صريحة.
شعرتُ بروحي تصعدُ للأعلى
نظرتُ إلى الأسفل حيثُ كنتُ يوماً،
وكل مارأيته كان العري، التعذيب والألم.

سرعانَ ما وصلتُ إلى البوابةِ الذهبية
حيثُ اصطفَّتْ أرواحٌ أخرى في نسقٍ،
لأقابل الله انضممتُ إلى الرتلِ،
لتحديد قدري،
وشيئاً فشيئاً بينما تقدمنا،
قريباً جداً من البوابة،
رأيتُ البعضَ يدلجُ والبعض الآخر يهبطُ،
يقدمون شهاداتهم للقدر.

Twitter: @ketab_n

ثم أتانا صوتٌ مألوفٌ
تعرفنا عليهِ بسرعةٍ،
كان أكثر الأرواح سواداً في كل النسقِ،
كان ذلك صوت روي مايسُن![1]
سمعتهُ يقولُ للأرواحِ الأخرى
«أنا بحالٍ جيدة، قمت بواجبي فحسب».
صرختُ له من آخر النسقِ
«يا لها من كذبة أخرى، انتظر حتى أخبر الله».
حسناً، وصلنا البوابةَ الذهبية،
حيثُ جلس الله على عرشه
وناداني بطرس
أن أجيء إليهم بمفردي.
بوب، قال الله، «أبليتَ بلاءً حسناً في حياتك الدنيا،
حياةً من التعذيب، الألم والمعاناة،
ألا أعلم أنك نلت نصيبك هناك؟»
«دعه يدخل، يا بطرس»، قال الله،
«امضِ بسلام، يا ولدي،
لأن الله ربُّكَ يغفرُ لكَ

(١) روي مايسن كان وزيرخارجية الشمال منذ عام ١٩٧٦ حتى ١٩٧٦ (هكذا ورد التاريخ في النص الأصلي ـ م) وأشرف شخصياً على برنامج التجريم.

Twitter: @ketab_n

كل معاصيك».

حسناً، كنتُ روحاً سعيدةً
لأن الله الرحيم قد غفر لنا ذنوبنا،
كنت على وشك جمع جناحيَّ
عندما سمعتُ النداء على روي.
«مايسُن ـ يا إلهي بين يديكَ»، يقولُ بطرس،
«أعتقدُ أنك تعرفه حق المعرفة،
ومن خلال لون تلك الروح
لديه الكثير الكثير ليقوله».

«عليك السلام، يا روي»، قال الله،
«هل لديك ما تبوح به؟»
«يا إلهي»، قال روي، «لا بد أن تصدقني،
كرمويل هو المسؤول عن تلك الفوضى،
و مارلن ريس ووايتلو،
شرّدوني بعيداً،
يا إلهي، ماذا كان بمقدوري فعله في الدنيا،
لم يكن أمامي خيار آخر».

«وماذا عن هذه العنابر، يا روي»، قال الله،

Twitter: @ketab_n

وكل هؤلاء السجناء العراة الذين أبقيت عليهم هناك؟
«ألا تعلم»، قال الله، «شاهدتهم،
وقد انتحبوا كل ليلةٍ؟
يا روي، لقد قمت بتعذيبهم
وقمت بحبسهم طيلة هذه السنوات،
عراةً ويتعذبون،
ذرفوا ملايين الدموع».

«ماذا يجب أن نفعل؟» قال بطرس،
«يا إلهي يجب أن تخاتل».
«عدالة شعرية، يا بطرس»، قال الله،
«أرسله إلى العنبر هتش رقم خمسة!»

Twitter: @ketab_n

بَكَتْ المرأةُ

من منزلٍ متواضعٍ في هدئةِ الليل،
هرب ظلٌ مرفرفٌ،
التقط قمرٌ أصفرُ اللون رمحاً مسنوناً،
حيثُ رقصتْ ظلال الليل ولهت.

اشتبك العليقُ بيدٍ راجفةٍ،
وراقبتْ ما يجري بومة مختفيةٍ،
عبر المستنقعات والوديان رجلٌ من الإتحاد،
اندفع خارجاً ليربح حلماً.

ماء باردة سوداء اللون تلاطمتْ
ولعبت حول قصبٍ متناثرٍ أشلاءَ،
من أجل أجنةٍ تحتضر، ابتهلتْ أمٌ إلى الله،
أن ينصر أهل آيرلندا.

مسامير فضية اللون لحذاء بالٍ،

Twitter: @ketab_n

تركت جرحاً في صخرةٍ وحيدةٍ لا حياة لها،
عبر هضاب ملتوية سارَ على قدميه،
ليقاتل إلى جانب طوني.

قاتلَ لستة أيام،
بين أكوام من الأبطال المحتضرين المضرجين بالدم،
وزأر المدفع الإنكليزي،
فوق أشباح العظام الغيلية،
هاقد أراقوا دم أمةٍ.

آلاف سقطوا صارخين من الهلع،
بينما توارى المخبر بجبن،
لكن لم ينجُ أحد من تلك المقتلة الدموية،
ليسمع بكاء المرأة.

Twitter: @ketab_n

روداي ماكورلاي

أنا روداي من أهل دونكاني ـ ماكورلاي ـ ولدتُ في أنتريم!
في هذا اليوم في مدينة تووم أواجه قدري بسبب قَسَمٍ قطعته.
في البلوط هناك فوق هضبة روفري سمعتُ صوت غراب الزيتون،
يتربص ليسرق روحي، إنه بالتأكيد طيرُ الشيطان.

أمي المعمرة تارا المسكينة، تطلق سراح أبي الصامت،
حيث رقص كسفينةٍ فوق موجةٍ غاضبةٍ من الشجرة الوارفةِ البعيدة.
ولم يشعر بشيء أو يسمع بشيء بل حدَّق ميتاً تائهاً،
بينما انزلق إلى يديها الإثنتين الحنونتين، مثلما فعل المسيح من صليبه، !
وكان ذلك عندما هبَّت الريحُ أسفل جبال السبيرنز وعبر الأرض القاحلة،
لأنها ذهبت، المرأة المكسورة الجناح، لتجوب البراري كالرحالة.
لا أحد يدفع لمالك الأرض مالاً، فنحن الأفقر على وجه البسيطة.
آه! كيفَ تشق الضباب لتصرخ وتولول وتقض مضجع تخوم بلدة لارجي.

Twitter: @ketab_n

وأنا روداي من سكان دنياني وقد رأيتُ زهرة الربيع تبكي.
ودمعهتا الندية سقطت فوق أرضٍ شاهدت أمها تحتضر أمام عينيها.
لذلك في دونغور أقسمتُ أن أقفَ أمام ذلك القَسَم،
فداءً لأيرن حياتي، دمي، حبي، ولتحل اللعنة على الملك والتاجر المستغل الوضيع.

في عجلة من أمرنا سحبنا الرمح من تحت هضبة النباتات الأرجوانية،
مع قضبان ممشوقة من الجلد الفضي، أسنان رماح معدةٍ لقتل البشر.
مثل قطعة الرخام الأكثر سواداً عبقت السماءُ بالموتِ، تحلَّقت الذئاب حولنا،
ضحكَ الأيرل الأحمر، زعق غراب الزيتون فوق المشنقة في كاريك تاون.

رغم هذا أتى الناس الصالحون، من بيوت متواضعة قرب الطحالب والوديان الخضر.
أتوا بقلوبٍ تخفقُ خوفاً، رجال الإتحاد هؤلاء المقدامين.
وفي كروسكيز توهجت رؤوس الرماحِ تحت قمرٍ أصفرٍ واشٍ،
بينما مضى العَوامُ (وهناك، هناك حيث ابن الصياد) ليلقوا حتفهم.

أمة الشمال قد نهضتْ، آبو! آبو! توهجت قلوبنا من نارِ الفخرِ،
و لينستر في المسيرة، أولادي، النبلاءُ الفرنسيون في عرض البحر.

Twitter: @ketab_n

في مدينة انتريم هدر المدفع، تشو العجوز انتحب من هول ما رأى،
بكت زهرة الربيع، رقص غراب الزيتون، ركض الموت الزؤام عبر الليل.

في ضباب الصباح الذي أتى في وجلٍ صامتٍ بكتْ الضحكة بمرارةٍ،
لأن ألف روحٍ داست على صدرها وتوقفت القبرة عن الغناء.
على طول بان البائدة بكى الأطفال وصرخ أولستر دون فائدة،
قد نزف قلب لينستر إلى حد الموت، احمرت وجنتا زهرة الربيع ألماً.

آه، أنا روداي من أهل دنيني وهؤلاء المشردين يحملون اسمي.
هؤلاء الأحرار كالملوك الذين يكدون ويكدحون ومع هذا لا يحكموا ولا يملكوا شيئاً.
أحب هذه الأرواح المعذبة اللطيفة، هم! محكومون بالموت منذ الولادة،
أقف إلى جانب طوني وأقف إلى جانب الحقيقة ومعذبي هذه الأرض!

وقد تسرقُ الريحُ دخانَ البارودِ، قد يشطفُ الثلجُ الدماء،
لكن روح الحرية لا تعرفُ تخوماً، ولن تذوي أبداً.
آه، وُلِدَ الربيعُ قربَ البحيرة واليابسةِ عندما تجرأتُ على الإقتراب من سبرنغويل راي،

Twitter: @ketab_n

طامعاً بسقفٍ فوق رأسي وكسرةِ خبزٍ اقتاتها وسفينة تأخذني إلى الأميركيين الأيرلنديين.

أمضيتُ بضع ليال في باليزسكلون، ثلاث أو أربع في بيلاغاي،
ثم عبرتُ البان مع صيادٍ إلى شاطئ أنتريم حيث مسقط رأسي،
قرب المستنقع الذي يتسعُ صادفتُ ماكأيرلن، وله معي عداوةٌ قديمةٌ،
لكنه تمنى لي يوماً طيباً ودعاني لأنزل في ضيافته،

خفق غراب الزيتون ورقص فرحاً وأنا الأحمق الأعمى،
لأني سقطتُ في الجحيم، وقرب نار الشيطان ارتحتُ في مرتعي،
«سنتناول بعض الحساء»، قالتْ روحٌ معمرة، «ودعني آخذُ حذاءكَ»،
وحرَّكت القِدْرَ مراراً ومراراً، ونمتُ من حيلتها.
ماكيرلن اللعنةَ قد أرسلَ رجلاً على الطريق من مونيغلاس إلى تووم،
وركض ديفن الشيطان إلى «ذا روك» طالباً من سام المتوحش أن يصلح قَدَري،
والمرأة التي اسمها ماكأيرلن حرَّكت القِدْر مراراً لكن لم يسخن قط،
حتى أتى عناصر قوات الدفاع البريطانية في معاطفهم الحمراء دون أي تنبيه.

أنا روداي من أهل دونكاني ـ ماكورلاي ـ ولدتُ في أنتريم!

Twitter: @ketab_n

في هذا اليوم في مدينة تووم أواجه قدري بسبب قَسَم قطعته.
في البلوط هناك فوق هضبة روفري سمعتُ صوت غراب الزيتون،
يتربص ليسرق روحي، إنه بالتأكيد طيرُ الشيطان.

فلتكن قلوبكم قوية يا أصدقائي ولا تفقدوا الأمل أبداً طيلة الصراع الطويل لنيل الحرية،
لأن للناس العاديين قضية عادية ضد إثم بريطانيا القديم،
يدق الطبل عالياً، ينزلُ الرعب في قلب البشر، والأغلال تعض ببشاعةٍ وبرودةٍ،
لكن المشانق تنتصبُ بحقدٍ مميتٍ والذعر قد تضاعف مئات المرات.

وداعاً، دنياني! وداعاً، أصدقائي! وبان الحبيبة تحت أقدامي،
آه وداعاً، يا رجال الإتحاد البواسل، هل سنلتقي صدفةً مرة أخرى؟
آه الحبلُ خشنُ الملمس، الهواء عالقٌ في مكانهِ، ويتسائل النهر هامساً لماذا؟
لكنها لا ترى الناس الطيبين الذي أتوا وعيونهم مغرورقة بالدموع.
وشمس الغروب حمراء اللون فوق لسلفيغاليون براي، توارى غراب الزيتون عاراً،
بكت زهرة الربيع على فتى روداي، لانهم ذبحوا ماكورلاي أوغ.
وفوق تخوم لارغي تنتحب إمرأةٌ والليلة ستجول الوادي،
آه يا روداي من سكان دنياني! ـ ماكورلاي ـ من مواليد أنتريم ـ هل سنلتقي يوماً من جديد؟

Twitter: @ketab_n

أمّي الغالية

أمي الغالية، أعرفُ أنكِ دائماً موجودة
لتنيري دربي بعطفكِ،
رعيتني واطعمتني من خبزك وشددتِ عودي
كي أواجه الدنيا وأهوالها.

ماذا أكتبُ لكِ اليومَ
لأن لا كلمات ولا سطور ترد جميل
رعايتكِ لي وتفانيكِ
في السنوات العصيبة التي لم تبقِ ولم تذر.

لا أعرفُ من أين استلهمتِ القوة
لن أعرف أبداً من أين أتيتِ بالصبر،
معاناة وشظفَ عيشٍ دون توقف،
لكن قلبي ليس رؤوماً كقلبكِ.

.

نجماً هادياً لي في الأيام العصيبةِ،

Twitter: @ketab_n

أميرةً ساطعةً كنجمةٍ،
لم تكن الحياة هكذا
لو لم أتعلم ما يختبئُ في لبِّ الأشياء الصغيرة.

لهذا سامحيني، يا أمي، اصبري معي قليلاً
لأني لم أحبكِ بما فيه الكفاية من قبل،
لأن ما منحتني من حياة وحب
أقدِّرهُ إلى الأبد.

Twitter: @ketab_n

داني لِنون

هاقد مضت في حالها حشود الحق الناحبة تلك،
التي تظاهرتْ فوقَ دمكَ،
وفوق دم الأبرياء الصِغار،
ليمرغوا وجه الحريةِ بالوحلِ،
المساكين، السذج المساكين، قادهم جشعُ الآخرين،
أين هم هؤلاء الآخرين الآن؟
لقد رحلوا، يا رفيقي، حاملين معهم فضتهم المضرجة بالدم،
يركعون تحت أقدام أسيادهم.
داني، نحن نشقى في الليالي الطويلة الباردة،
لأن فرائصهم ترتعد من إرادةِ الأحرار.
لكنهم لن يفهموا أبداً ذلك الشيء الذي يصنعُ تلكَ الإرادة،
هو ذلك الشيء الذي يحاولون قتله،
لكنك حيٌّ، يا داني! كلكم أحياء!
وهم يرتعدون، الرفاق، يرتعدون في كل عظمتهم!
لأن هؤلاء الأوغاد الإنكليز لم يصنعوا قبوراً نائمةً،
إنما نجومُ حريةٍ لا يخبو ضوؤها.

Twitter: @ketab_n

أنت تقلبُ العنبر هتش رأساً على عقب
وبسببكَ أنتَ وآخرون
نحن المضطهدين رجالاً ونساءً من لا قيمة لنا سننشيد
جمهورية أيرلندا الإجتماعية.

Twitter: @ketab_n

توم باري

في الجحيم صلينا لأجل روح باري،
نحن المخلوقات المسكينة الراسخة في الألم
ولم نسمع قط جرسه العازف موسيقى قداس الموتى،
لكن سمعنا جرسنا ـ في حمأةِ العذاب.

في أصقاع عالم منستر الشمالية،
تتمايل أجمة الوزال المتواضعة،
ذارفة دموعاً صفراء اللون كالأطفال
لأن رجلاً أسطورة قد مات.

وهي تهبُّ في أروقةِ زمنٍ مضى،
فوقَ ضريح كروسباري و كيلمايكل،
وتبعثُ إلى الحياة صرخةَ معركةٍ،
انضموا إلى باري، تشجعوا ياشباب!

في ضوء مغبر، عبر الضباب، خطوا فوق الهضاب،

Twitter: @ketab_n

خطّ من ناسٍ يفرون،
أشباحُ المقاتلين الذين ماتوا،
لكنها لم ترتح يوماً قط، بواريدهم معلقةٌ على أكتافهم.
الآن يقودهم باري في الليل،
أرواح قوية من كورك بريغايد،
لتعبث في الوديان حتى طلوع الفجر،
عندما ستذوي هيئاتهم الشبحية.

وصلينا الليلةَ لراحة روح باري،
هل سينعتق باري يوماً،
بينما يجوبُ أصقاع منستر القديمة،
نحو أبديةٍ عمياء.

وفي الظلال المعتمة، خلف قضبان السجن،
وحوش التعذيب العجائز يلوحون بأياديهم،
لكننا نسمعُ صوتاً هو صوتنا،
«انضموا إلى باري، تشجعوا يا شباب!»

Twitter: @ketab_n

الزهرة النائمة

باري ميِّت وكورك نائم،
بيعثُ قضية ماكسويني.
والدم لايزال مراقاً على طرقات كيري،
لم تذرهِ بعيداً ريحٌ عاتية.
الأرانب تعبر وحدها، في دروب مقفرةٍ،
حيث ذات يوم احتشد ناسٌ في الليل،
لكن بعضهم ما يزال يهمس باسم ترايسي،
قرب نارٍ دافئة كالقلوب في ضوءٍ متراقص.

زهرة موتى منستر،
اختنقت بدمها،
ومات رجالاتُ باري من صرخاتها،
غائصين في أوحالها.
من يكترث لقبور كيري الوحيدة،
مضى ملكُ كاشيل إلى كلير،
وهذه الحشود من المضطهدين المهانين،

Twitter: @ketab_n

كما دائماً ـ يرتعون عراةً، مساكين ومتروكين لأقدارهم.

باري ميت، ألا يسمع أحد؟
طريقُ كيليمايكل، ـ ما الثمن؟
بينما يحمل الأيرلنديون أغلالهم الصدئة،
التي يرثونها منذ الولادة.
آه! باري ميت فلتنتحب منستر،
شبحه الباكي يأن في الليل،
لكن زهرة منستر ستبرعم من جديد فقط،
عندما ينضم رجال منستر إلى معركةِ الحرية.

Twitter: @ketab_n

مخيم التدريب

عندما يصمم وزير بريطاني أنه لمنح سجناء الجمهورية المطالبين بصفة سياسية يجب تشكيل مخيم تدريب لعناصر آي آر أي، يمكن للمرء أن يخدع بسهولة وعن سابق تصميم بهكذا تصريحات. هذه الكلمات والأوصاف الداعمة لها عن سجناء يلقون محاضرات عسكرية متنوعة وتمارين حربية هي ليست إلا محاولة بائسة لطمر السبب الحقيقي.

سيتم إرغام ضابط جيش بريطاني ليعترف أن قيمة هكذا تدريب نظري هي ضحلة جداً، وأن التجربة الحربية هي ما يصنع الجنود. عدة ضباط آخرون قد اقرّوا أن معظمهم يؤمن أن متطوعاً واحداً من آي آر أي لهو جندي جيد التدريب وكفوء، جندي بمهارات متعددة ومقاتل عتيد ـ أن معظم أعضاء الآي آر أي المحتَجزين هم أصلاً وبشكل ظاهر للعيان مقاتلوا حرية متمرسون. ما يعنيه السيد ريس وتجار الحرب البريطانيين الآخرين وما يخشونه حقاً هو التسيس المستقبلي لهؤلاء الصناديد. هي حتمية تغذي نفسها عبر وعي سياسي بسيط (وهو، إن تحقيق السبب الأصيل لعذاب أيرلندا الراسخ هو ـ بريطانيا) وهي تنمو حتى تغدو وعياً سياسياً بين سجناء الحرب السياسين المحتجزين الذين لديهم نفس مبادئ وقيم، بسبب النزعة الراسخة للحرية، من يتوقون بعنفٍ إلى ما هو أصل الوعي السياسي ـ ألا وهو الحقيقة.

Twitter: @ketab_n

حيثُ توجد الحقيقة، يوجدُ «الحُرُّ». هم الناس الذين لديهم ملكة التفكير ويستطيعون تكوين آرائهم السياسية وأحكامهم بأنفسهم. الناس الذين لن يغررَ بهم بسهولةٍ لكن، الأهم من هذا، هم الناس الذين، وقد حفَّزهم اكتشافهم للحق والحقيقة، سيستخدمون هذا الوعي لمناهضة وتغيير الخطأ عبر تصويب المقاومة ضد قلب السرطان ـ بريطانيا. لهذا، وليس بأي شكل من الأشكال مجموعة من خبراء الحرب المتعجرفين الذين يخشاهم السيد ريس وشركاه إنما المقاتل الأشوس المسلح، المثقف سياسياً، الذي لن يستخدم عقله السياسي لتصويب بندقيته فحسب إنما ليرشد ويعلِّم أهل بلده المحرومين من الثقافة السياسية ليتحكموا بدقة مصائرهم، الوصفة الثورية الأكيدة لهزيمة بريطانيا.

بتلك الغيمة السوداء اللون معلَّقة فوق الحكومة البريطانية وحرية الأمة المضطهدة منذ عصور تبزغُ في الأفق، فإن الحكومة البريطانية، متبنية سياسة عسكرة ـ إعادة تطبيق اتفاق بلفاست ـ التي حاولت نزع الصفة السياسية عن حرب التحرير في أيرلندا لتصويرالنضال من أجل الحرية كنزعة طائفية صرفة، حرب عصابات أو أي شيء يقلل من شأن طبيعته الحقيقية. لهذا السبب، فإن محاولة تجريم سجناء حرب الجمهورية السياسيين في العنبر هتش وفي سجن آراماه ليس سوى وجه سافر لهذه السياسة.

تم تصميم العنبر هتش بشكل بشعٍ لسحق الهوية السياسية للسجناء الجمهوريين المحتجزين، أو لسحقِ مقاومته وتحويله إلى آلة تلقّي مكالمات مبرمجة وعليها علامة إجرام ضخمة ممهورة بالإضطهاد على ظهره، ليتم فيما بعد إطلاق سراحه إلى الشارع، وقد عُولِجَ سياسياً ـ عاقر سياسياً ـ وروحه مكسورة إلى الأبد.

Twitter: @ketab_n

بعد تجربة ثمانمائة سنة من الفشل في إضطهاد الأمة الأيرلندية، ما يزال على الحكومة البريطانية أن تقرّ وتعترف أنه لا يمكن كسر روح الأمة الأيرلندية أبداً ـ أول حكومة بريطانية تفعل هذا ستكون آخر حكومة! رغم هذا فقد مضت أربع سنوات طويلة وما يزال الوضع مستمراً في ردة فعل الحكومة البريطانية المتعجرف كالعادة «خبؤوا غسيلكم المتسخ» الذي تستخدمه بريطانيا لتقوم بما لا يحصى من الجرائم بحق مئات السجناء العراة. لكن السجناء المشار إليهم كغسيل متسخ في العنبر هتش لم ولن ينووا أن يختبؤوا أبداً. لقد قاومنا بنفس الروح الجمهورية الوثابة التي ماتت في قداس على البوابة المفضية إلى نيو روس، التي جابهتْ بطشَ الإمبراطورية البريطانية خلال أسبوع الفصح عام ١٩١٦، و، بكل بساطة، ماتت خلال مقاومة عنيدة في مايكل غوغان وراء قضبان زنزانة منفردة. لكن مع هذا مشحونة بدماء التضحية للوطنيين الأيرلندين، فهي حية بشكل جلي في العنبر هتش وفي منطقة الحرب الشمالية! قد تكون الحكومة البريطانية نجحت في تدميرنا جسداً وإلحاق الجنون ببعضنا الآخر، لكن أفكار كونولي و بيرس هي اليوم أفكار المعذَّبين في العنبر هتش.

اليوم في زنزانات العنبر هتش لغة محتجي البطانيات هي اللغة الحقة للأمة ـ اللغة الغيلية ـ وهي تُحْكى بحبٍ وشغفٍ. منقوشة بشكل خشن فوق الجدران القذرة بكلمات شعرية وتُغنّى باعتزاز. الخطاب الفضي الذي عرفه آباؤنا قد تم بعث الحياة بها في جحور الزنزانات ـ مستقبل صراع التحرر والطريق نحو الجمهورية الإجتماعية يتم خوضه بشغفٍ عبر نقاش أو مجادلة سياسية. كل عنصر من عناصر حياة أمة وخطوب وشؤون واهتمامات الناس يتم مناقشتها بما يسمح لنا. ليس كيف نصل إلى الجمهورية الإجتماعية فحسب إنما ماذا علينا أن نفعل عندما نصل

Twitter: @ketab_n

إلى تلك المرحلة. نحن في العنبر هتش نشبكُ دون توقف مقاومتنا السياسية بالصراع المسلح. لم يوقفنا حتى الآن أي ضرب من ضروب التعذيب. لم يتم نزع التسيّس عنا، لم يتم تجريمنا، إنما ذلك التعذيب المضني لم يفعل سوى شد عود عزيمتنا الثورية وتصميمنا، دافعاً إيانا لتحقيق إنجازات ووصول مستويات لم نحلم من قبل بنيلها قط. لم يتم حتى اللحظة ردعنا عن منازلة الحرية بل بالعكس تسابقنا إلى المقدمة. لقد جربوا تعذيب زوجاتنا ورفاقنا لكن مقاومتهم البطولية غير المسبوقة تدعنا نلتهب فخراً وتجعل كل التعذيب مجرد عبث!

إن وجه بربرية بريطانيا قد تمت تعريته من جديدٍ على مرئا من العالم أجمع.

لقد أكدت أنه ليس فقط علامات الوحشية في العنبر هتش مايبقى منقوشاً في عقولنا نحن السجناء المعذبين إنما ستحترق عميقاً ولأجيالٍ وأجيالٍ في قلوب أولادنا.

العنبر هتش هو الصخرة التي سيلقى فوقها الوحش البريطاني حتفه، لأننا في العنبر هتش نقفُ فوق الصخرة المنيعة للجمهورية الأيرلندية الإجتماعية!

Twitter: @ketab_n

مذكرات

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الأحد ١٩٨١/٠٣/٠١

أقفُ على تخمِ عالمٍ ثانٍ يرتجفُ. يا رب ارحم روحي.

قلبي متألم جداً لأني أعرفُ أني كسرتُ قلب أمي، بيتي ضَرَبَتهُ حالةُ قلقٍ لا يُحْتَمل. لكني فكرتُ بكل الأسباب وجربتُ كل الوسائل لتفادي ما غدا أمراً واقعاً لا فرار منه: لقد حُكِمَ عليّ ورفاقي بأربع سنوات ونصف من الوحشية الرهيبة.

أنا سجين سياسي. أنا سجين سياسي لأني ضحية حرب ضاربة في الزمن يتم خوضها بين الشعب الأيرلندي المضطهد ومخلوق غريب من عالم آخر، مُضطَهِد، نظام غير مرغوب به يأبى أن ينسحب من أرضنا.

أؤمن وأقفُ إلى جانب الحق الذي وهبنا إياه الله وهو حق الأمة الأيرلندية باستقلالٍ سيادي، وبحق أي أيرلندي أو أيرلندية أن يمارس ذلك الحق في شكل ثورة مسلحة. لهذا السبب أنا مضرج بدمائي، عارٍ ومعذب.

في مقدمة عقلي المعذب فكرة تقول إنه لن يحل السلام في أيرلندا أبداً حتى ينتهي وجود بريطانيا المضطهِدة، تاركاً كل الشعب الأيرلندي كوحدة تتحكم بشؤونها وتقرر مصائرها كشعب سيادي، حر العقل والجسد، منعزل ومتميز جسدياً، ثقافياً واقتصادياً.

أؤمن أني لستُ إلا واحداً آخراً من هؤلاء الأيرلنديين المسحوقين

Twitter: @ketab_n

المتناسلين من جيلٍ ثائر يتمتع برغبة متجذرة عميقاً وراسخة لنيل الحرية. أحتضر ليسَ لمجرد محاولة إنهاء بربرية العنبر هتش، أو أن أنال الإعتراف المحق بكوني سجيناً سياسياً، لكن بشكل أساسي لأن ما فُقِدَ هنا فُقِد من أجل الجمهورية وهؤلاء المسحوقين المضطهدين الذين لي كل الفخر لأني أعرفهم على حقيقتهم «شعب ثائرٌ».

لا إحساس اليوم، لا جديد فيما جلبه اليوم ٢٧ أكتوبر/ تشرين الأول (موعد بداية الإضراب عن الطعام الأصلي الذي ساهم فيه سبعة سجناء). السجانون المعتادون ليسوا في السجن اليوم. المجعجعون والذين سيغدون طغاة سيأتون غداً بكل تأكيد، سيأتون مبكراً وسيكونون بأبهى حلة.

كتبتُ ملاحظات أكثر للسجينات في سجن آرماه اليوم. لدي الكثير مما أود قوله لهن، عن شجاعتهن، عزمهن وأرواحهن الصلبة المقاومة. سيصبحن، بما يفعلن، بطلات أيرلنديات من أمثال كونتس ماركيفيتش، آن ديفلن، ماري آن ماكراكن، ماري كاكسويني، بيتس غراي وغيرهن الكثيرات.

و، طبعاً، أفكر بـ آن باركر، مورا كروفورد، روزماري بليكلي، وأشعر بالعار أني لا أستطيع تذكر كل أسمائهن المبجلة.

كان القداس مهيباً، الشباب أبلوا بلاءً حسناً. أكلتُ قطعة الفواكه الأسبوعية المخصصة لي ليلة البارحة. كما قرر القدر، كانت القطعة برتقالة والسخرية الأخيرة، كانت مُرّةً. الطعام متروك عند الباب. حصتي، كما هو متوقع، كبيرة أكثر من المعتاد، أو أكبر من الحصة التي سينالها رفيقي في الزنزانة مالاكي.

Twitter: @ketab_n

الإثنين ١٩٨١/٠٣/٠٢

أنهينا صباح اليوم احتجاج لا للإستحمام وهو ما كرهه السجانون كثيراً. انتقلنا إلى الجناح بي، الذي كان حسب ما يدعون أكثر نظافة.

أظهرنا احتمالاً معقولاً اليوم. يتم تفتيش السجناء لدى عودتهم من الحمّامات، وأربعة أو خمسة سجناء فقط تم تحميمهم، الأمر الذي يؤكد توق السجانين لإيقاف احتجاجنا. ثمة الكثير من النزعة الإنتقامية المثيرة للشفقة من قِبَلِهم.

رأيت الطبيب ووزني ٦٤ كغ (١٤٠,٨ باوند). ليس لدي مشاكل. القس، جون مرفي، كان هنا الليلة. تحدثنا لفترة قصيرة. سمعتُ أن أمي قد تحدثت خلال مهرجان في بلفاست البارحة وأن مارسيلا بكت. شجعني الأمر. لست قلقاً بشأن أرقام الحشود.

انزعجتُ كثيراً ليلة البارحة عندما سمعتُ كلمة الأسقف دايلي (صدرت يوم الأحد، تدينُ الإضراب عن الطعام). يبدو أنه نسي أن الناس الذين قتلوا هؤلاء الرجال الأيرلنديين الأبرياء يوم مجزرة ديري يوم الأحد ما يزالون، كما دائماً، طلقاء بين ظهرانينا؛ وربما يعلم أكثر من أي شخص آخر ما حدث ويحدث في العنبر هتش.

يفهمُ لماذا يتم اضطهاد السجناء هنا ـ سبب تجريمهم ـ ما يجعل الأمر مقرفاً جداً، أعتقدُ، أنه يوافق على ذلك السبب الضامر. تحدَّث

Twitter: @ketab_n

لمرة واحة فقط مؤخراً، عن التعذيب والوحشية التي تحدث بشكل اعتيادي في العنبر هتش. قرأتُ ذات مرة افتتاحية، في أواخر عام ١٩٧٨، بعد إعلان ما سيعرف فيما بعد بـ إعلان الأسقف أو فياتشي «مجارير كاكوتا». تقول الإفتتاحية إن العار سيلحق بالأيرلنديين إلى الأبد إن كان على الأسقف، وأعيدُ ترتيب الكلمات، إن كان عليه إثارة الوعي الأخلاقي للناس حول موضوع العنبر هتش. مضى الكثير من الوقت على ذلك الكلام، الكثير من التعذيب أيضاً، في الواقع فإن العام اللاحق لذلك كان أسوأ الأعوام التي خبرناها.

أتسائل الآن من سيثير الوعي الأخلاقي للكاردينال...

كُنْ شاهداً على كل من الحق والباطل، قف وقل كلمتك. لكن ألا نعلم أن ما يجب قوله إنما هو «سياسي» بامتياز، وليس أن هؤلاء لا يريدون أن ينخرطوا في السياسة، الأمر ببساطة أن سياستهم مختلفة كل الإختلاف، إنها بريطانيَّة.

توفي والد صديقي العزيز تومبوي اليوم. انزعجتُ أيما إنزعاج، وقد أحزنني الأمر.

تلقيتُ عدة رسائل من عائلتي وأصدقائي. قرأتُ تلك التي من أمي فقط ـ كان ذلك كل ما احتجتهُ. لقد استعادتْ روحها المقاتلة ـ أنا سعيدٌ الآن.

صديقتي القديمة سيانا أيضاً راسلتني. تخطر لي فكرة قصيدة، قد أحاول غداً جمع أجزائها في نصٍ واحدٍ.

كلما شعرتُ بالقنوط أفكر في سجن آراماه، وفي جيمس كونوللي. لن يستطيعوا أبداً نزعَ تلك الأفكار مني.

Twitter: @ketab_n

الثلاثاء ١٩٨١/٠٣/٠٣

أشعرُ بتحسنٍ استثنائي اليوم. (إنه اليوم الثالث فقط، أعرفُ هذا، لكن لافرق فأنا أشعر بتحسن عظيم.) سيزورني صباح اليوم مراسلين صحفيين اثنين، دايفد بيرسفورد من صحيفة الغارديان و برندن أوكاثوير من الآيرش تايمز. لم أتمكن من جمع خيوط أفكاري بشكل جيد. ربما كان بإمكاني أن أقول أكثر بأسلوب أفضل. ٦٣ كغ (١٣٨,٦ باوند) اليوم، أم ماذا؟

في السجن قس. أشعر أنه يزنني نفسياً من أجل تاريخ لاحق. إذا كنت أخطأت فأنا آسف ـ لكني أعتقد أنه هو المخطئ. لذلك حاولت أن أنزع فتيل أي فكرة من ذلك القبيل الليلة. أعتقدُ أنه فهمني. لكن إن كان سيقبل بها هو أمر متروك للساعات القادمة. لم يستطع الدفاع عن هجومي على الأسقف دايلي ـ أو على الأقل لم يحاول.

كتبتُ بعض الرسائل لأمي ولميري دويل في سجن آرماه؛ وسوف أكتب غداً. كل الشباب الآن قد استحموا. لكني لم استحم اليوم. كانوا مايزالوا يحاولون أن يخضعوا بعض السجناء على أخذ حمامهم الأول.

دخّنتُ بعض «نفثات من مناديل الحمام» اليوم، النخب الأول للسجائر في العنبر! وضعوا طاولة في زنزانتي وهم الآن يضعون طعامي عليها أمام عينيّ. حقيقةً لم أكترث ولو قليلاً حتى لو وضعوا الطعام على

Twitter: @ketab_n

ركبتي. ما زالوا يسألون أسئلة غبية من قبيل، «هل ما تزال مضرباً عن الطعام؟»

لم أتمكن من بدأ كتابة قصيدتي اليوم، لكن ربما أكتبها غداً. المشكلة الآن أن لدي أفكاراً أكثر.

حصلتُ اليوم على صحف وكتاب. الكتاب هو قصص قصيرة لكيبلنغ مع توطئة طويلة بعض الشيء بقلم و. سمورست موغام. لم يعجبني تعليق الأخير عن الأيرلنديين خلال أكثر فترات كيبلنغ غنى ككاتب: «في الواقع إن الأيرلنديين يجعلون من أنفسهم مشكلة مزعجة». نحن محقين أن نكون مشكلة مزعجة وهو محق في ذلك، فكرتُ، ومما يثير الشفقة أكثر أنها لم تكن مشكلة أكبر! كيبلنغ الذي عرفته، وعلاقته بالجيش الأولستري. سأقرأ قصصه غداً.

الشباب الآن يرتلون التسبيحة مرتين اثنتين كل يوم. ليس لدي شيء آخر الليلة. هذا كل شيء.

Twitter: @ketab_n

الأربعاء ١٩٨١/٠٣/٠٤

سعادة الأسقف مَرّفي في ضيافتنا هذه الليلة. أشعر اليوم بأنني على ما يرام، رغم أني لاحظتُ الطاقة التي بدأتْ تنسابُ من جسدي. لكن ما يزال الوقت مبكراً. أخذتُ حماماً اليوم وقصصتُ شعري، الأمر الذي جعلني أشعر بتحسن. بدوت أصغر بعشر سنوات، يمازحني الشباب، لكنني أشعر أني أكبر من عمري الحقيقي بعشرين عاماً، الضريبة التي لا مفر منها جراء ثمان سنوات من التعذيب والسجن.

لحظة بلحظة أقوم بمتابعة الأخبار وأنظرُ بمنتهى الاشمئزاز والغضب إلى مؤامرة ريغان/ ثاتشر. يبدو جلياً لي أنهم ينوون الالتفاف على النزعة التوسعية الروسية عبر تحقيق التوسع الإمبريالي، ليحموا مصالحهم الحيوية كما يزعمون.

ما يعنونه هو أنهم يمتصون دم موارد أمم أخرى. يريدون سرقة ما لا يملكونه وليتمكنوا من ذلك (كما سيثبت التاريخ لسوء الحظ) سيقتلون المضطهَدين وسيحرمونهم من استقلالهم كأمة. لا شك أن السيد هوري سينصاع للأوامر في أيرلندا عندما تأمره ثاتشر بذلك.

لاحظتُ حالة نادرة اليوم: مُربّى إلى جانب الشاي، وبالمناسبة يحدق السجانون بالطعام، يبدوا أنهم يحتاجونه أكثر مما أحتاجه أنا، حضرتي.

Twitter: @ketab_n

الخميس ١٩٨١/٠٣/٠٥

أرسلتْ الجمعية الخيرية اليوم في طلبي ليخبروني أن أبي تم نقله إلى المستشفى. حاولوا جعلي أجثو طالباً زيارة خاصة من عائلتي. كنت قلقاً جداً بسبب اعتلال صحة أبي لكني مرتاح لأنه في المستشفى. مهما كلف الثمن، عليَّ أن أتابع.

إنتابني ألم أسنان مبرح اليوم أصابني بالقلق، لكنه توقف الآن.

قرأتُ كلمة «أتكيزن» في مجلس العموم حيث وعد أن الحكومة البريطانية لن تتنازل قيد أنملة عن موقفها الثابت. لا يزعجني الأمر لأن عقلي معتاد على أشياء كهذه وأعلمُ أني أتوقع أشياء أكثر، وصولاً إلى الختام المُر.

عثرتُ على بعض الشِّعر في قصص «كيبلنغ» القصيرة، المقاطع المجتزئة من الشعر قبل القصص جيدة جداً. المقطع الشعري الذي عجبني هو:

تخلتْ الأرضُ عن موتها أثناء ذلك المد،

أتى إلى مخيمنا،

وأدلى بدلوه، ومضي في حال سبيله،

وترك قلوبنا تستعرُ.

Twitter: @ketab_n

ابقِ عينك على أخمص السلاح،
لا بد أن نأخذ بالثأر،
عندما يستدعي الله الكل أمامه،
من أجل رفيقنا الميت.

«لا آمل ذلك» قلتُ لنفسي. لكن ذلك الأمل لم يكن حتى مجرد أمل، لكن شيئاً يشبه الخطاب. لدي أمل، بالطبع. على كل السجناء أن يتحلوا بالأمل وألا يفقدوا رباطة جأشهم أبداً. لكن أملي ينبع من النصر المطلق لشعبي المسكين. هل ثمة أمل أعظم من هذا؟

أتلو الصلوات ـ الزاحفة! (وصلاة آخر دقيقة، قد يقول المرء). لكنني أؤمن بالله، وسأجرؤ وأقول إني أنا والله متفقان هذه الأيام.

أستطيع إهمال وجود الطعام المحدق بوجهي طيلة الوقت. لكن لدي تلك الرغبة بتناول خبز بُني صحي، زبدة، جبن هولندي وعسل.أتحدى الطعام فرؤيته لا تؤذيني لأني أعتقد أن «لاطعام يستطيع إبقاء أي إنسان حياً إلى الأبد» وأعزي نفسي بحقيقة أني سأحصل على طعام عظيم في الأعلى (إن كنتُ أستحق ذلك). لكن ما يلبث أن يضربني هاجس فظيع أنهم لا يتناولون الطعام هناك في الأعلى. لكن إن كان يوجد ما هو أفضل من الخبز البُنّي الصحي، الجبن والعسل، إلى آخره، فوضعي ليس سيئاً إلى تلك الدرجة.

رياح آذار/مارس تشتد غضباً الليلة، الأمر الذي يذكرني أني يوم الإثنين بلغتُ سن السابعة والعشرين من العمر. يجب أن أذهب، الدرب قد ابتدأ تواً، وغداً يوم آخر. الآن وزني ٦٢ كغ (١٣٦,٤ باوند) و، عموماً، عقلياً و جسدياً، أشعر بتحسن كبير.

Twitter: @ketab_n

الجمعة ١٩٨١/٠٣/٠٦

لم يأتِ قس لا الليلة ولا ليلة البارحة. منعوني من زيارة محاميٍّ الليلة، كأسلوب آخر من أساليب العزل، الذي، مع مرور الوقت، سيقومون بتطبيقه دون هوادة. أتوقع أنهم قد ينقلوني في وقت أقرب مما توقعت إلى جناحٍ خالٍ. سأحزن لتركِ الشباب، لكني أعرف أن الطريق موحشة وأني سأنتَصر في النهاية.

شعرتُ بفقدان الطاقة مرتين اليوم، وأشعرُ بوهنٍ بسيط.

السجانون لا يشعرون بالحرج من كمية الطعام المهولة التي يضعونها في الزنزانة وأعرف أنهم يُحصون ويزنون كل حبة بازلاء و قطعة بطاطا. الحمقى المشؤمين لا يدركون. الطبيب يجري فحوصاً للعثور على آثار أي طعام آكله. بغض النظر عن ذلك، لا نية لي بتجريب لقيماتهم الشهية.

حتى الآن أنام بشكل جيد، لأني أتفادى النوم خلال النهار. حتى أنه تراودني أحلام سعيدة وحتى اللحظة لا آلام في الرأس ولا صداع. هل مرد هذا إلى وضعي الذهني النفسي، أم أنني سأدفع ثمن ذلك غداً أو بعد غد! أتسائل كم من الزمن سأستطيع الإحتفاظ بهذه الخربشات؟

حكموا على صديقتي جنفر بعشرين سنة. أنا حزين جداً (جنفر ماكان، البالغة من العمر واحد وعشرين عاماً، من سكان حي توينبروك في

Twitter: @ketab_n

بلفاست، حكم عليها بالسجن عشرين عاماً لإطلاقها النار على عنصر من عناصر كتيبة أولستر الملكية.)

لا أشك ولا أندم على ما أقوم به لأني أعرف ما قاسيته خلال ثماني سنوات، وبالتحديد في السنوات الأربع والنصف الماضية، سيقاسيه الآخرون، شباباً وشابات لا يزالون في سن الدراسة، أو الطفلين جيرارد أو كيفن (جيرارد ابن بوبي وكيفن ابن عمته) وآلاف الآخرين.

لن يستطيعوا تجريمنا، سرقتنا من هويتنا الحقيقية، سرقتنا من تفردنا، يحولوننا إلى مخلوقات غير سياسية، يطحنوننا طحنا بشكل ممنهج، يقولبوننا، يجعلوننا روبوتات صالحة مطيعة للقانون. ولن يلحقوا صفة الإجرام بصراعنا من أجل التحرر.

أنا (حتى بعد كل التعذيب) مندهش من الحجة البريطانية. لم ينجحوا قط طيلة ثمانية قرون من كسر روح سجين واحد رفض أن يُكسَر. لم يثنوا عزيمة، لم يحتلوا، أو يسحقوا شعبي، ولن يستطيعوا فعل ذلك أبداً.

قد أكون آثماً، لكني ألتزمُ، وإن لزم الأمر، سأموت ـ سعيداً بمعرفة أنه لن يترتب على الانصياع لما قام به هؤلاء الناس بحق أمتنا العريقة.

توماس كلارك في قلبي وفي خاطري، وكذلك ماكسويني، ستاغ، غوغان، توماس آش، ماكوهي.

يا إلهي، لدينا الكثير لدرجة أن واحداً آخراً منا لا يعني شيئاً لؤلائك الأوغاد، أو هكذا يدعون، لأنهم سيدفعون الثمن يوماً ما.

عندما أفكر بكلارك، أتذكر الوقت الذي أمضيته في الجناح بي في سجن طريق كرملن في أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٧. أدركتُ عندها فقط ما كنتُ أمر به. لا حاجة لتسجيل ذلك البتة، فقد مر

Twitter: @ketab_n

بذلك بعض رفاقي أيضاً، لهذا هم يعرفون أني كنت أفكر أن بعض الناس (ربما الكثير من الناس) يلقون علي اللوم بسبب هذا الإضراب عن الطعام، لكني حاولت ما استطعتُ أن أتجنبه قبل الإستسلام.

أشفقُ على أولئك الذين يلقون عليّ اللوم، وهذا لأنهم لا يعرفون البريطانيين، وأشعر بشفقة أكثر عليهم لأنهم حتى لا يعرفون أنفسهم المسكينة. لكن ألم يكن بينا أناس حرَّضوا على إتهام طوني، إيميت، بيرس، كونولي، ميلوز: ذلك الموقف الإتهامي السيء راسخ أيضاً...

أستطيع سماع الكروان يحلق فوق رؤوسنا. زنزانة موحشة، صراع موحش، لكن، يا صديقي، سار كثيرون على هذا الدرب وهو، كائناً من كان ذلك الشخص الأول الذي سار على هذا الدرب، يستحقُ تحية الأمة. أنا لست أكثر من تابع بسيط. علي أن أقول تصبحون على خير.

Twitter: @ketab_n

السبت ١٩٨١/٠٣/٠٧

تلقيتُ اليوم رسالة سارة جداً من شقيقتي، بيرني. شقيقتي الطيبة. أحبها وأعتقد أنها أعظم شقيقة.

كلي قناعة الآن أن السلطات تنوي تطبيق الحبس الإنفرادي قريباً، لأني لا أستطيع رؤية محاميَّ. آمل أن أكون مخطئاً فيما يخص العزل، لكن لنرى.

لأني فقط أريد أن أمضي أطول مدة ممكنة مع الشباب لعدة أسباب. إن تم وضعي في منفردة، سأقهر الأمر بسهولة.

أتى قس اليوم، مريح بعض الشيء، وأخبرني عن مقالة برندن أوكاثوير في الآيرش تايمز خلال الأسبوع، وقد سبق واطلعتُ عليها. تناقشنا قليلاً حول بعض النقاط المحددة، الأمرغير المريح، طبعاً، بالنسبة إليه. كان لبقاً في طريقته، متبعاً تكتيكاً بحتاً لكنه كان يغلي قلقاً من الداخل بسبب تقريريّ الأسوشيتدت برس ووكالة آر إن (عدد شباط/ فبراير) الذين أطلقا عليه لقب وطني وسط ـ طبقي موَّحِدْ، أو كلمات أخرى تفي بنفس الغرض.

هذا هو رأيي به أيضاً. أتعاطف مع أولاد الله التعساء هؤلاء الذي يجدون أنفسهم يصارعون الفقر، الأمراض، الفساد، الموت ووحشية الإرساليات....

Twitter: @ketab_n

وزني الآن ٦١ كغ (١٣٤,٢ باوند) اليوم، ينقص. لا تقلقني نوبات الجوع، ولست متوجساً من أي شيء له علاقة بالطعام، لكن، قسماً بالله، قد تحسن الطعام هنا. أعتقدتُ أني لاحظتُ ذلك خلال الإضراب الماضي عن الطعام. حسناً، ثمة الكثير لخسارته هنا.

حصلتُ على صحيفة الآيرش تايمز اليوم، لكن لاشيء فيها، ربما لهذا حصلتُ عليها.

أترقبُ رؤية الرفاق في القداس غداً، كل الوجوه التي تبدو أكثر شباباً، إذا استثنينا اللحى، الشوارب، الشعور الطويلة غير المشذبة المتمايلة في خصلاتٍ ثخينة.

متأكد من شيء واحد، تلك المرحلة المشؤمة، من العيون الثاقبة أو المحدقة، العلامة التي تشي بتعذيب منتظم، أين ترحل ـ هذا إذا تمت إزاحتها أصلاً. أتسائلُ إن كان من الممكن حتى إستيعاب أنه يمكن محوها من الذهن؟

أتانا رفيقٌ جديدٌ خلال الأسبوع. أليس محفزاً، أن ينضم ألينا رفاق طيلة الوقت؟

قرأت ما قالته جينفر في المحكمة. (بشأن الحكم عليها، قالت جينفر ماكان: «أنا سجينة حرب جمهورية وحالياً رفيقي بوبي ساندز مضرب عن الطعام دعماً لحقوقي كسجينة سياسية».) تأثرتُ وشعرت بالإعتزاز، إنها رفيقتي. ·

كنت أفكر مؤخراً بـ ماري دويل وأيلن ماكويغن وباقي السجينات في سجن آرماه. كيف أنساهن؟

بحيرةٍ يحدق بي السجانون. يأمل الكثير منهم (إن نطقتْ عيونهم بالحقيقة) أن أموت. إن استدعى الأمر، سأحقق غايتهم، لكنني أقسم

Twitter: @ketab_n

بالله أنهم حمقى. لم ينصفهم أوسكار وايلد لأنهم أكثر وضاعة مما اعْتَقَدَ.

ولي أن أضيف أنه ثمة شيء واحد أكثر وضاعة من السجان وهو مدير السجن. وحسب تجربتي فكلما أرتقى أحدهم في سلم الترقيات المقرف، أو في الرتبة، أو الموقع، فكلما أصبح أكثر وضاعة...

إنها تمطرُ في الخارج، معنوياتنا جيدة، وما زلت أحصل على بعض المجّات من السجائر - مجات شحيحة، أو ما يشبه ذلك، لكن لمن الكمال. التدخين يضر بالصحة. لا أكترث البتة، تصبحون على خير.

Twitter: @ketab_n

الأحد ١٩٨١/٠٣/٠٨

في غضون ساعات سيصبح عمري سبع وعشرون عاماً عظيماً. من سخرية الأقدار سيكون عيد ميلاد سعيد؛ ربما لهذا أنا حرٌ من الداخل. لا أستطيع تقديم أي سبب آخر.

كنتُ في القداس اليوم، ورأيت كل الشباب دون لحاهم، إلخ. قس أمريكي رتل القداس وذهبتُ إلى التجمع. أغمي على واحد من السجناء قبل القداس، لكنه تحسن. سجين آخر تم نقله إلى مستشفى مسغرايف العسكري. هذه حوادث متكررة.

وزني ٦٠,٨ كغ (١٣٣,٧٥ باوند) اليوم، ولا أشكو من أية أمراض. تلقيت رسالة أخرى من بيرني وخطيبها. يفرح قلبي عندما أسمع أخبارها. حصلت على الآيرش تايمز اليوم، وكان فيها بعض الإعلانات الداعمة للإضراب عن الطعام.

هناك طبيب احتياطي قام بفحصي خلال عطلة نهاية الأسبوع، طبيب شاب لم أعرف اسمه حتى الآن. شاب طيب اسمه الدكتور روس. كان هو نفسه الطبيب المعالج خلال الإضراب عن الطعام الماضي.

الدكتور إيمرسن، كما يقولون، مصاب بالرشح.... الدكتور روس، رغم كونه ودوداً، هو في رأيي فاحصٌ لعقول الناس أيضاً. الأمر الذي يذكرني، أنهم لم يطلبوا مني أن أرى طبيباً نفسياً حتى الآن. بالتأكيد

Twitter: @ketab_n

سيفعلون ذلك، لكني سأرفض مقابلته لأني مستقر عقلياً، ربما أكثر استقراراً منه.

قرأت بعض المقالات عن الحياة البرية في صحف متنوعة، الأمر الذي بكل تأكيد أعاد إلي ذكريات عالم الطيور الواعد الذي كنته يوماً من الأيام! كانت ظهيرة مشرقة جميلة اليوم والمساء هادئ. من المدهش ما تكتشفه العيون وما تسمعه الآذان المحتجزة.

كنت بانتظار القبرة، لأن الربيع قد حلَّ ضيفاً علينا. كيف أصغيتُ إلى تلك القبرة في العنبر خمسة، وراقبتُ زوجاً من عصافير الصغنج (طائر صغير مثل العصفور يسمى شرشور أو صغنج ـ م) التي وصلتْ في شهر شباط/ فبراير. الآن أستلقي على ماهو بالتأكيد سرير موتي، ما أزال أصغي حتى إلى الغربان سوداء اللون.

Twitter: @ketab_n

الإثنين ٠٩/٠٣/١٩٨١

أجلتُ الكتابة حتى وقتٍ متأخر والطقس الآن بارد جداً. القس مرفي كان هنا. ناقشته حول الوضع. قال إنه سُرَّ بمحادثتنا، وكان مرتفع المعنويات شيئاً ما، عندما كان يهم بالمغادرة.

بالحديث عن القساوسة، تلقيت رسالة صغيرة من القس إس. سي من منطقة ترالي، مدينة كيري، وبعض الصور المقدسة لسيدتنا. الفكرة أثرت بي. إن كان نفسه ذلك الرجل، أتذكره يلقي محاضرة أمامنا في القفص ١١ منذ عدة سنوات ماضية حول حق حمل السلاح دفاعاً عن حرية أمة المرء المحتلة والمضطهدة. كان يعظُ المرتدين، لكن كل شيء مهما كان صغيراً يساعد في المحصلة.

اليوم عيد ميلادي والشباب يغنون لي أغنية، ليطيب الله قلوبهم. أتجرأ وأذهب إلى الباب، نزولاً عند رغبتهم، لألقي كلمة صغيرة، كرمى لهم. راسلتُ عدة أصدقاء اليوم بمن فيهم شقيقتي بيرني وأمي. اشعر بتحسن ووزني ٦٠ كغ (١٣٢ باوند).

دائماً ما أفكر بجايمس كونوللي، والهدوء العظيم والوقار الذي أظهره حتى آخر لحظات حياته، شجاعته وعزمه. ربما أنا منحاز، لأن هناك الآلاف من السجناء الذين يشبهونه، لكن كونوللي كان دائماً قدوتي.

Twitter: @ketab_n

دائماً ما حملت مشاعر كبيرة للغاية لليام ميلوز أيضاً؛ ولقادة حركة الجمهورية الحاليين، وثقةٌ بأنهم سيبقون دائماً ثابتين على عهدهم. ومرة أخرى، لا أجرؤ على نسيان شعب أيرلندا اليوم، وشعب الماضي القريب الثائر، فهم أيضاً لهم مكانة خاصة في قلبي. حسناً، لدي الآن سنواتي السبع والعشرين، هذا شيء جيد. قد أموت، لكن جمهورية عام ١٩١٦ لن تموت أبداً. انطلقوا نحو الجمهورية وإلى تحرير شعبنا.

Twitter: @ketab_n

الثلاثاء ١٩٨١/٠٣/١٠

يوم معقول بعض الشيء في ظروفي الراهنة. وزني ٥٩,٣ كغ (١٣٠,٥ باوند) ووضعي الصحي جيد. رأيت بضع بطاقات تهنئة بعيد ميلادي من أقارب وأصدقاء في صحيفة البارحة التي حصلتُ عليها اليوم. أيضاً حصلت على كيس من أدوات الحمام اليوم.

لا قِسّ الليلة، لكن كبير الأطباء أطلّ عليّ، قاس نبضي، وغادر. أعتقد أن ذلك يشعره بأنه مهم بعض الشيء.

من خلال ما قرأته في الصحف فأني أزدادُ إضطراباً وأقلق من حقيقة أنه من المرجح أن يكون هناك محاولة فيما بعد لسحب البساط من تحت أقدامنا وهز الثقة بنا ـ إن لم يستطيعوا كسر الإضراب عن الطعام ـ بموافقة على صيغة «ثيابنا حقنا».

هذا، بالطبع، لن يحل شيئاً، لكن إن سمح بحدوث ذلك بدعم من السلطة الكاثولوكية فإن ذلك سيُلْحِقُ بنا ضرراً بالغاً. في رأيي فأنهمَ لن يتمنون تحت أي ظرف من الظروف أن يروا السجناء يحصلون على لقبهم السياسي، أو تسهيلات تجسد، أو تقدم لنا مقومات، لقب سياسي.

أسباب ما سيفعلونه، إن فعلوه، عديدة ومتنوعة، وهي نابعة أساساً

Twitter: @ketab_n

من الرغبة برؤية الصراع الثوري للشعب وقد إنتهى. ستساهم سياسة تجريم سجناء الجمهورية بخدمة هذه الغاية.

إنها الرغبة المعلنة لهؤلاء الناس أن يروا ظروفاً إنسانية أفضل في هذه العنابر. لكن المشكلة هنا ليست إنسانية، ولا هي متعلقة بشروط أفضل أو بتحسين ظروف المعيشة. السبب سياسي محض ووحده الحل السياسي سيحل المشكلة. هذا لا يجعلنا بحال من الأحوال سجناء نخبة ولا نحن (ولم نكن يوماً قط) من مدعي طلب النخبة.

نريد أن نُعَاملَ «ليس كسجناء عاديين» لأننا لسنا مجرمين. لا نعترف بجرمٍ حتى، للتوضيح، يصبح حب المرء لشعبه ووطنه جريمة.

هل يسمح الإنكليز للألمان بإحتلال أمتهم أو يسمَح الفرنسيون للهولنديين أن يفعلوا نفس الشيء؟ نحن السجناء الجمهوريين نفهم أكثر من أي أحد آخر محنة كل السجناء المحرومين من حريتهم. لا ننكر على السجناء العادين حقهم في الحصول أي امتياز من شأنه أن يحسن أو يخفف من محنتهم. طبعاً، لقد استفاد كل السجناء في الماضي من المقاومة التي أظهروها في سجون الجمهورية.

أتذكر هنا الفنيين وتوم كلارك، الذين بالتأكيد كانوا الأكثر فاعلية في إلقاء الضوء عبر مقاومتهم الراسخة على «النظام الصامت بشكل مخيف» في الحقبة الفيكتورية في السجون الإنكليزية.

لسوء الحظ، السنوات، العقود، والقرون لم يسبق أن رأتْ نهاية للمقاومة الجمهورية في جحور الجحيم الإنكليزية مع الصراع الدائم لنيل الحرية في أيرلندا. لقد ضحى الكثير من الأيرلنديين بحياتهم في سبيل الحرية وأعرف أن الكُثيرين، بمن فيهم أنا، سوف يموتون متى دقت ساعة الحرية.

Twitter: @ketab_n

ما أزال بانتظارالنقل من زنزانتي إلى جناح خال وعزل تام. الإضرابات الأخيرة دامت عشرة أيام في الأجنحة مع الشباب، قبل أن يتم ترحيلهم. لكن عندها كانوا مضربين عن الإستحمام وقابعين في زنزانات قذرة. زنزانتي بعيدة كل البعد عن النظافة لكن يمكن احتمالها. الماء دائماً بارد. لا استطيع المجازفة برشح أو زكام. مضت ستة أيام على آخر مرة تحممت فيها، ربما أكثر. لا أكترث.

غداً هو اليوم الحادي عشر ومازال الدرب في أوله. على أحدهم أن يكتب قصيدة عن خطوب الإضراب عن الطعام. أود أن أفعل ذلك، لكن كيف سأنهيها.

يجب أن أذهب لأني أشعر بالتعب.

Twitter: @ketab_n

الأربعاء ١٩٨١/٠٣/١١

تلقيتُ اليوم الكثير من بطاقات المعايدة. بعضها من ناس لا أعرفهم. بالتحديد باقة ورد من القداس ومعها خمسين وردة قداس من السيدة بيرنز من شارع سيفاتبول. نعرفها جميعاً، لا تنسانا أبداً وسوف لن ننساها، ليبارك الرب قلبها الطيب.

أيضاً وصلتني بطاقة معايدة من المراسل برندن أوكاثوير، وبالطبع كان ذلك مبادرة طيبة منه. استلمت رسالة من صديق، ومن طالب من أميركا لا أعرفه، لكن من الجيد أن يعرف المرء أن الآخرين يفكرون به. كان ثمة رسائل مهربة إلى جانب الرسائل من أصدقائي ورفاقي.

وزني اليوم على حاله ولا أعاني من أي مشاكل صحية. بين الفترة والأخرى تنتابني نزعة طبيعية للطعام لكن النزعة أن أرى خاتمة محنة رفاقي وحرية شعبي هي أكبر بكثير بشكل طاغ.

غداً سيجري الطبيب فحصاً لدمي. يبدو أن الدكتور روس قد أختفى وعاد الدكتور إيمرسن...

مرة أخرى، لا شيء يذكر اليوم باستثناء أني أقسمتُ هذا الصباح. كنتُ أيضاً أفكر بعائلتي وأملت ألا يكونوا يتألمون كثيراً.

كنتُ أحاول جمع أجزاء من أقوال جايمس كونوللي اليوم، وأشعر بالخجل لأني لم أنجح في ذلك إنما سأعيد ترتيب كلمات السطور القليلة التي أستطيع تذكرها.

Twitter: @ketab_n

تقول السطور ما فحواه: إن المرء الذي ينضحُ بالحماسة (أو بالوطنية) نحو بلده، والذي يسير في الشوارع بين ناسه، بين هوانهم، فقرهم، ومعاناتهم، والذي (إذا ما اسعفتني الكلمات) لا يفعل شيئاً، هو، في رأيي، شخص منافق؛ لأنك إذا عزلتَ أيرلندا عن ناسها فلن تجدها أكثر من كتلة من العناصر الكيميائية.

ربما الفقر المدقع في دبلن عام ١٩١٣ لا وجود له اليوم، لكن من جديد، مقارنة بيومنا الحديث مقارنة بالظروف المعيشية في أماكن أخرى من العالم، يمكن بالتأكيد أن تكون مشابهة إن لم تكن أسوأ من كلا الشمال والجنوب. بالتأكيد، شيء واحد لم يتغير، هو الإضطهاد الإقتصادي، الثقافي والجسدي للشعب الأيرلندي عينه...

حتى ولو كان هناك ١٠٠,٠٠٠ عاطل عن العمل في الشمال، فإن الأجور الشحيحة التي يتقاضونها ستبدو عاراً مقارنة بأولئك الذي رواتبهم وأرباحهم مهولة، الطبقة المحظية والرأسمالية التي تنام فوق جِراح الناس، عرق جباههم، وكَدِّهم.

لا يمكن لا الآن ولا في المستقبل أبداً أن يتم الحصول على المساواة والتآخي بينما يسود هؤلاء الطفيليون ويتحكمون بأقدار أمة. لا مساواة في مجتمع يقف فوق الخراء الإقتصادي والسياسي إن كان فقط القوي ما يجعلها جيدة أو قادرة على العيش. قارن حيوات، راحة، عادات، ثروة هؤلاء النصابين السياسين (الذي يدعون الإهتمام بنا، نحن الشعب) بتلك التي في يد الناس المحرومين والمضطهدين.

قارنها في أي حقبة من التاريخ، قارنها غداً، في المستقبل، وسوف تسخر منك. مع ذلك فإن عمى بصيرتنا الأزلي يستمر. لا وجود لأي بذخ في العنبر هتش لكن ثمة قلق حقيقي على الأيرلنديين.

Twitter: @ketab_n

الخميس ١٩٨١/٠٣/١٢

الليلة جاء الأب تونر، وجلب لي بعض المجلات الدينية. وزني الآن ٥٨,٧٥ (١٢٩,٢٥ باوند). لم يأخذوا عينة من دمي لأنهم أرادوا أن يضيفوا ذلك إلى فحوصات طبية أخرى. لهذا يقول الطبيب إنهم سيقومون بكل هذا في الأسبوع القادم.

جسدياً أشعرُ بالتعب الشديد اليوم، بين وقت الغداء و أواخر فترة ما بعد الظهر. أعلمُ أني جسدياً أزدادُ ضعفاً. هذا متوقع. لكني على ما يرام. مازلتُ أحصل على الصحف كالمعتاد، لكن لا شيئ فيها يفرحُ القلب. لكني مجدداً يجب أن أعتمد بشكل كلي على قلبي وتصميمي، وهذا ما سأفعله.

وصلتني ثلاث رسائل من الرفاق في سجن آرماه، ليباركهم الله من جديد.

سمعت بإعلان اليوم عن أن فرانك هيوز سينضم إليّ في إضرابي عن الطعام يوم الأحد. أجلّ، أعجبُ وأثقُ بفرانك وأعرفُ أني لستُ لوحدي. كيف لي أن أكون مع رفاق كهؤلاء حولي، في سجن آراماه وفي الخارج.

أفكر بالرفاق في سجن بارتلويز، الخدمات المخصصة للزيارات هناك مشينة. لا شك أن جحر الجحيم ذلك سينفجر في النهاية يوماً ما.

Twitter: @ketab_n

أتمنى ألا يحدث ذلك، لكن تعاطف «هووي» (لقب يُطْلَق على النبلاء في أيرلندا ـ م) مع السجناء هناك لا يختلف عن تعاطف البريطانين نحو السجناء في الشمال وفي السجون الإنكليزية.

اقتنعت مؤخراً، ومع مرور كل يوم تزداد قناعتي بصورة محزنة جداً، أن القدر المشؤم والتعذيب الذي قاساه بطريقة فظيعة فرانك ستاغ ومايكل كوغان.

ربما ـ بالتأكيد أجل! ـ أنا أكثر حظاً بسبب أن هؤلاء الرفاق المساكين كانوا دون رفاق آخرين أو وجه مألوف. لا ينالهم حتى العزاء الأخير بالموت على تراب وطنهم، أيرلنديون وحيدون وعلى أيادي العدو القبيحة المنتقمة عديمة القلب التي لا ترحم. يا إلهي، لكنني محظوظ جداً بالمقارنة بهم.

في بالي قصائد، متواضعة من دون شك، قصائد عن الإضراب عن الطعام وعن ماكسويني، وعن كل شيء قد جيشه في داخلي وفي ذهني الإضراب عن الطعام، لكن القلق يتسلل إليّ شيئاً فشيئاً، وقلبي يريد لكن جسدي يريد أن يكون كسولاً، لهذا قررتُ أن أحشد كل طاقتي وأفكاري نحو تدعيم مقاومتي.

ذلك ليس مهماً. لاشي آخر مهم باستثناء تلك الفكرة التي لا تبارحني والتي تذكرني، «لا تستسلم أبداً». لا يهم كم تسوء الأمور، كم تصبح سوداوية، كم أتألم، كم يعتصر قلبي، «لا تستسلم أبداً»، لا تقنط أبداً»، لا تفقد الأمل أبداً». دع أولاد الحرام يسخرون منك كما يشاؤون، دعهم يرعدون ويزبدون، اسمح لهم أن يوغلوا في إهانتهم، وحشيتهم، حرمانهم، مضايقاتهم المثيرة للشفقة، دعهم يضحكون الآن، لأن كل ذلك لم يعد مهماً أو يستحق أي ردة فعل.

Twitter: @ketab_n

هذه آخر مرة أرد فيها على كل الإجرام الوحشي الذي يسمونه العنبر هتش. لكن، على خلاف الضحكات والغضب، ضحكتنا ستكون بسبب فرحة النصر وفرحة الناس، انتقامنا يسكون تحرير الجميع والهزيمة الأخيرة للمضطهِدين بحق أمتنا العريقة.

Twitter: @ketab_n

الجمعة ١٩٨١/٠٣/١٣

لا أؤمن بالخرافات، وكان يومي اليوم حافلاً. أنا على ما يرام، ووزني الآن ٥٨,٥ كغ (١٢٨,٧ باوند).

لم أكن متعباً اليوم، لكن ظهري يؤلمني بين الحين والآخر بسبب الجلوس في السرير. لم تصلني اليوم الآيرش تايمز، الأمر الذي يدفعني إلى التفكير أنه على الأرجح ثمة شيء ما فيها، لهذا لا يريدونني أن أعرفه، لكني لا أكترث. الليلة أتى الأب، مرّ لبضعة دقائق.

ألقى السجانون اليوم نظرة سريعة على زنزانتي عندما كنتُ في الخارج أحضر الماء. يسترقون النظر دائماً. سمعت عن تقارير عن سجناء تم تبريحهم ضرباً خلال نوبة حراسة في السجن....

لا شيء يتغير هنا.

شون ماكينا (المضرب عن الطعام الأسبق) عاد إلى العنبر ٤، على ما يبدو ما يزال يترنح قليلاً لكنه حي وفي طريقه إلى التعافي، وآمل أن يتعافى بشكل كامل.

أستيقظتُ مع العصافير هذا الصباح والفكرة الوحيدة في ذهني كانت: هاقد أتى يوم آخر، بوبي - يذكرني بأغنية كتبتها ذات يوم منذ زمن طويل.

أضعها هنا على كل حال:

نهضتُ هذا الصباح عندما أتى السجان،

Twitter: @ketab_n

طرق بابي بعنفٍ دون أن ينطق بكلمة واحدة،
حدقتُ في الحيطان، وخلتُ أني ميت،
يبدو أن هذا الجحيم لن يرحل أبداً.
فُتِحَ الباب ولم يغلق بلطفٍ،
لكن لافرق، لم نكن نائمين أصلاً.
سمعتُ عصفوراً ومع هذا لم أر فجر اليوم،
هل لأني كنت دائماً في باطن الأرض
حيثُ رحلت كل أفكاري،
وأين هي الحياة التي أعتقد يوماً أنها موجودة في الدنيا.
صرختي غير مسموعة ودموعي تدحرجت دون أن يراها أحد،
عندما يأتي يومنا سأرد الصاع صاعين.

أغني هذا على نغم «أجلسُ لأشربَ قدحاً»

كانت العصافير تغرد اليوم. رمى أحد السجناء خبزاً من النافذة. على الأقل أحد ما يأكل! كنتُ وحيداً بعض الشيء هذا المساء، مصغياً إلى نعيق الغربان تعود إلى أعشاشها. هل سأسمع القبرة الرائعة؟ ستفطر قلبي.

الآن، أكتبُ، كروانات قليلة تغرد بحزنٍ بينما تحلق فوقنا. أحب الطيور.

حسناً، يجب أن أغادر، لأني إن كتبتُ أكثر عن الطيور فستنهال دموعي وستعود خواطري إلى أيام الصبا. تلك كانت أياماً حلوة، لقد مضت دون رجعة. لكني استمتعتُ بها. تلك الأيام ماتزال في قلبي - تصبحوت على خير، الآن.

Twitter: @ketab_n

السبت ١٩٨١/٠٣/١٤

مرة أخرى يوم آخر رتيب وممل بعض الشيء. وزني الآن ٥٨,٢٥ كغ (١٢٨,١٥ باوند)، ولا مشاكل صحية، قرأتُ الصحف، كلها زبالة.

عشاء اليوم فطيرة وبازلاء، ورغم أن الجوع قد يهيج خيالي (بدت وجبة الطعام مغرية جداً وطافحة)، لا أبالغُ: البازلاء كانت على وشك أن تطفح عن الصحن. إن قلتُ هذا طيلة الوقت للشباب، سيقلقون عليَّ، لكني على ما يرام.

كنتُ أكتب منشور (أنا إنسان أيضاً) وقد سررتُ برؤيته يَغادر الزنزانة. لم أكن لألمسه قط، لكنه كان سبب تجويع مزعج. يا إلهي، من قوته، لو هاجمني المنشور، لكنت هربتُ.

كنتُ سأكتب عن عدة أشياء في ذهني لكن بإمكانها أن تنتظر. أنتظر بفارغ الصبر صحبة الشباب القصيرة في القداس غداً. لا يعرف المرء متى تكون آخر مرّة يراهم فيها.

دخنتُ بضعة سجائر اليوم. ما زلنا نهزمهم في هذا الحيز. السجانون فقط عرفوا نصف ما يجري؛ عبقرية سجناء الحرب السياسين مذهلة. كلما ساء حالهم كلما زادت عبقريتهم. قد تنكشف كل الحقيقة يوماً ما.

فيما يتعلق بي شخصياً، يا ليام أوغ (الإسم المستعار للوسيط بين حركة بوبي ساندز الجمهورية والعالم الخارجي)، فقد فكرتُ أن أنتهز

Twitter: @ketab_n

الفرصة الليلة بالقول لحضراتكم أنتم المجتهدون أني معجب بكم جميعاً هناك وبالعمل المتفاني الذي تقومون به والذي سبق وقمتم به في الماضي، ليس فقط من أجل العنبر هتش وسجن آراماه، لكن في سبيل الصراع بشكل عام.

لطالما تعلمت درساً من عاقل، وهو، أن الجميع، جمهوريين أو غير جمهوريين، لديهم دور خاص بهم يأدونه. ليس لجزء أفضلية على جزء آخر صغيراً كان أم كبيراً، الكل مشارك بشيء ما، كبيرنا وصغيرنا.

أمامنا الكثير للقيام به بمعنى أنه لا يمكن لجزء منتخب أو صغير من الناس أن يقوم به لوحده، وحدها الكتلة الكبرى من الأمة الأيرلندية من سيتأكد من من إنجاز الجمهورية الإجتماعية، وهذا يمكن فعله فقط عبر الجد والتضحية.

لهذا، يا رفاقي، كرمى للأيام، أود أن أشكركم على كل ما فعلتموه وآمل أن يحذوا حذوكم الكثيرون، وأنا فخور من الأعماق كوني عرفتكم فرداً فرداً وأشعر بفخر أكبر عندما أناديكم رفاقي وأصدقائي.

في الختام، لاحظتُ أن السجانين كانوا يصفقون أبواب الزنزانات بقوة اليوم، بالتحديد باب زنزانتي. ربما هذا مؤشر جيد عن عقلية هؤلاء البشر، دائماً منتقمين، دائماً يملؤهم الحقد. أنا سعيدٌ بالقول إني لا أشبههم.

حسناً، يجب أن أذهب لأستريح لأني تعبتُ اليوم في تسريح شعري بعد الحمام.

لهذا سنربح، سننتصر يوماً ما. ليحيا ابطال الآي آر أي.

Twitter: @ketab_n

الأحد ١٩٨١/٠٣/١٥

إنضم فرانك إلى إضرابي عن الطعام. رأيت الشباب في القداس اليوم، الأمر الذي أفرحني. الأب تونر رتل القداس.

مرة أخرى يوم ممل. واجهت بعض الصعوبة بالإستحمام وجلب الماء هذه الليلة.

لدي زيارة غداً وسيكون جيداً أن أرى عائلتي. أتوق أيضاً إلى السير في الهواء النقي، سيرهقني ذلك، لكني آمل أن يكون الطقس جيداً. يجب أن أذهب.

Twitter: @ketab_n

الإثنين ١٩٨١/٠٣/١٦

زيارة رائعة اليوم قضيتها مع أمي، أبي، وشقيقتي مارسيلا. رائعة، بأخذ الظروف الحالية بعين الإعتبار وكل الصعوبات التي بالتأكيد يمرون بها.

كما توقعتُ، تعرضتُ لوابل من المضايقات الشفوية من السجانين ذاهباً وعائداً من الزيارة. نكاتهم السمجة بدت جلية في تهكماتهم الصبيانية، إلخ.

وضعتُ البطانية حولي بشكل جيد لأتقي البرد. وزني الآن ٥٨,٢٥ كغ (١٢٨,١٥ باوند)، لكنني أحرقت بعض الطاقة اليوم خلال الزيارة. لا أشكو من شيء.

لاحظتُ أن عناصر السجن يقومون باستبدال قطع الخبز مقابل قطع من الكاتو، إلخ ـ سارقين الأشياء الحلوة (التي هي قليلة بطبيعة الحال). لا أعرف إن كانت مسألة «كم بإمكانهم أن يصبحوا وضيعين؟» أو «حسناً، هل بإمكانكم أن تلوموهم؟» لكنهم يحسمون الأمر ويختارون الخيار الأول.

تركوا عشائي الليلة عندما أتى القس الأب مرفي. عبارة عن لقمتين من كعكة الجبن الصغيرة.

Twitter: @ketab_n

حصلت على صحيفة الصنداي وورلد تايمز؛ الصحف كانت نادرة في الأيام القليلة المنصرمة.

هنا سجان معين أخذ على عاتقه أن يتحرش بي إلى أبعد حد، وبطريقة جد صبيانية وإنتقامية. لا يقلقني الأمر، التحرش، لكن سلوكه يغضبني من حين إلى آخر. هناك فرق بين التعذيب، وبين الإستمتاع به، هكذا يتصرف.

لم أتعرض للفحص باستخدام المرآة اليوم في الطريق إلى الزيارة - تغيّر مُرحَّب به. على ما يبدو، مع اقتراب نهاية العصيان عن الإستحمام، السجانون المجرمون فقدوا كل امتيازاتهم، إلخ، لا أنسى ذكر أنهم أيضاً يفقدون رواتب ساعات العمل الإضافية وما إلى هنالك. لهذا، ليس استسلاماً، لن يقوموا بالتفتيش باستخدام المرآة بعد الآن، وما يتبع ذلك من وحشية، مذلة، إهانة، إلخ.

لماذا؟ لأنهم لا يتلقون مالاً مقابل ذلك!

ألتف ببطانياتي على الدوام، لكني أواجه صعوبة بإبقاء قدمي دافئتين. لا يساعد هذا على رفع درجة حرارة جسدي، فأشربُ بضع أكواب من الماء. ما زال باستطاعتي تناول السيروم وخمسة أو ستة أكواب ماء في اليوم الواحد دون كثير عناء.

الكتب المتوفرة لي زبالة. سأطالب بقاموس غداً. سأجلس وأقلب صفحاته وأتعلم، أفضل ذلك كثيراً على قراءة الحثالة.

قلما أقرأ الصحف الإنكليزية الغثة، قد أقلب صفحاتها وآمل ألا يفتح أحدهم الباب. نسخة من عدد الأوسشيتد برس والآر إن للأسبوع الماضي تم تهريبها إلى داخل السجن وتم قراءتها بصوت عالٍ ليلة

Twitter: @ketab_n

البارحة (عبقرية سجناء الحرب السياسين مجدداً). استمتعتُ بالإستماع إلى محتوياتها (محكمة ـ انهض عنهم! ـ شكراً يا داني).

آمل حقاً أن يقرأ الناس، يستوعبوا ويفهموا على الأقل بعض الحقائق الموجودة دائماً في صفحاتها. يبدو أن بادي ديفلن يستخدم حيله المعتادة، ولن يخرج للناس ويدعم السجناء...

حسناً، هذا كل ما في جعبتي الليلة. يجب أن أذهب. تصبحون على خير.

Twitter: @ketab_n

الثلاثاء ١٩٨١/٠٣/١٧

اليوم عيد القديس باترك و، كالمعتاد، لاشيء مميز. كنت في القداس، شَعري مقصوص، أقصر من السابق وأفضل أيضاً. لم أكن أعرف القس الذي قرأ القداس.

عناصر السجن كانوا يوزعون الطعام إلى كل العائدين من القداس. حاولوا أن يعطوني صحناً من الطعام. وضعوه أمام وجهي لكنني مضيت في طريقي كأن أحداً لم يكن هناك.

حصلت على بعض الصحف اليوم، وللتغيير وصلتني الآيرش تايمز. أحصل على الأخبار من الشباب بطبيعة الحال.

رأيت أحد الأطباء هذا الصباح، كان من الصنف قليل التهذيب. أزعجني الأمر. كان وزني ٥٧,٧٠ كغ (١٢٦,٥ باوند). لا أشكو شيئاً.

زارني اليوم أحد المسؤولين ووبخني قليلاً. قال لي، «أرى أنك تقرأ كتاباً صغيراً. من الجيد أنه ليس كتاباً كبيراً لأنك لن تنههِ».

من هذا الصنف، من هؤلاء البشر. لعنة الله عليهم! لا أكترث. يوم متعب.

كنت أفكر اليوم بالإضراب عن الطعام. يقول الناس الكثير عن الجسد، لكن لا أثق بهذا.

أعتبر أن هناك نوعاً من الصراع بالفعل. فالجسد من ناحية أولى لا

Twitter: @ketab_n

يقبل الحرمان من الطعام، وهو يعاني طبعاً من اشتهائه كما يعاني من ناحية ثانية من أسباب أخرى تضايقه باستمرار.

الجسد يقاتل بكل تأكيد، لكن في نهاية المطاف يعود كل شيء إلى العنصر الأساسي، الذي هو، العقل. العقل هو الأهم.

لكن من أين تنبع هذه العقلية الحقة؟ ربما من توق المرء للحرية. ليس من المؤكد من أين تنبع.

إن لم يكن بإمكانهم تدمير التوق للحرية، فلن يدمروك. لن يدمروني لأن التوق للحرية، وحرية الشعب الأيرلندي، في قلبي.

سيأتي اليوم الذي سيتحلى كل الشعب الأيرلندي فيه بالتوق إلى الحرية. عندها وعندها فقط سنرى صعود القمر.

محمد الحموي

مارتلشم، إبسوتش، المملكة المتحدة

٢٠١٥/١١/٠٢

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الفهرس

جيري آدامز ٥
يومٌ في حياتي ١٧
قبَّرة السماء أنشدي أغنيتكِ الوحيدة (القبرةُ ومُقاتلُ الحريةِ) ٤٤
خاطِرةٌ في الليلِ ٤٨
رياح ناحبة ٥٠
أزمنة حديثة ٥٢
ماكلهاتِن ٥٤
«هيا، أيها الحمرُ الصغارُ» ٥٦
الحصادُ الذي جنتهُ بريطانيا ٦٠
اللاجئون ٦٢
قوارض الفنيان،... إلخ ٦٤
نَفَقُ الحَبْس ٦٧
مكانٌ للراحة ٧٠
الثائر ٧٢
الأزهار، يا أصدقائي، الأزهار ٧٤
لن نُخدَعَ ٧٦
رفاقٌ في العتمة ٨٠

Twitter: @ketab_n

ثلاثيّة ٨٣
١ ـ مَقْتلة «كاسلري» ٨٥
٢ ـ مَحْكمة «دِبْلوك» ١٢٦
٣ ـ العنبر هتش طاحونة العذاب ١٤٠
الصراعُ من أجلِ البقاء ١٧١
ادفنوني في أغطيتي ١٧٤
نافذة عقلي ١٧٧
نوبة في جناح العنبر هتش ١٨٠
نازلتُ وحشاً اليوم ١٨٦
وحيدٌ ومحكومٌ عليَّ ١٨٩
تحية إلى السجانين ١٩٤
سهرة ليلة الميلاد ٢٠٠
نوبات الحراسة في الجناح ٢٠٥
الخائن ٢٠٧
افْتح صدركَ، ارفع ذقنك ٢١٠
«أنا يا سيدي، أنا السجين رقم ١٠٦٦!» ٢١٢
استراحة من الرتابة ٢١٦
العامل المحظوظ ٢١٩
موسيقى الزمن ٢٢٣
رَجلُ الإتحاد ٢٢٧
علِّموا أولادكم ٢٣٠
السيرُ في نزهة ٢٣٢
وإلى الأمام مضى الأحمق ٢٣٤
النافذة المطلة على عقلكَ ٢٣٦

Twitter: @ketab_n

عزلة مشلول طويلة المسافة ٢٣٩
وردة قلعة راثفارنام ٢٤٢
أشباحٌ في قبري ٢٤٤
ماكيلن المِقدام ٢٤٨
خيطٌ متَّقِدٌ ٢٥٣
الرحلة ٢٥٥
البحّار الوحيد ٢٥٨
«وعلى هذا النحو تستمرُ الحياة في الجحيم الحي» ٢٦٠
أنشودة حزينة لسوزان ٢٦٣
باليه المغيب ٢٦٥
نجوم الحرية ٢٦٨
حالمون ٢٧٠
قرب صخور دُن آن أوير ـ ١٥٨٠ .... ٢٧٢
أسى ضامر ٢٧٥
نجمُ الحرية الفضيّ ٢٧٧
يَبقى كل شيء فظيع على حاله ٢٧٩
هواجس من قلب الِظلال ٢٨٢
عَدَالةٌ شِعْرِيةٌ ٢٨٦
بَكَتْ المرأةُ ٢٩٠
روداي ماكورلاي ٢٩٢
أمّي الغالية ٢٩٧
داني لِنون ٢٩٩
توم باري ٣٠١
الزهرة النائمة ٣٠٣

Twitter: @ketab_n

مخيم التدريب ٣٠٥
مذكرات ٣٠٩
الأحد ٠١/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣١١
الإثنين ٠٢/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣١٣
الثلاثاء ٠٣/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣١٥
الأربعاء ٠٤/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣١٧
الخميس ٠٥/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣١٨
الجمعة ٠٦/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣٢٠
السبت ٠٧/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣٢٣
الأحد ٠٨/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣٢٦
الإثنين ٠٩/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣٢٨
الثلاثاء ١٠/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣٣٠
الأربعاء ١١/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣٣٣
الخميس ١٢/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣٣٥
الجمعة ١٣/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣٣٨
السبت ١٤/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣٤٠
الأحد ١٥/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣٤٢
الإثنين ١٦/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣٤٣
الثلاثاء ١٧/ ٠٣/ ١٩٨١ .... ٣٤٦

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

كيفَ استطاعتْ روحٌ حلتْ في ذلكَ الرهطِ النافقِ من القماشِ أن تكونَ بمثل ذلكَ اللمعان الصلب تماماً، وغير الممسوس؟ بوبي ساندز، لمن لا يجيد الأمل وله أن يتوقف عن القراءةِ هنا هذه اللحظةِ، صنعَ أسطورةً على أوراقِ لفافاتِ السجائرِ ومناديل الحمَّام وهربها خارجَ السجن ليهتدي بها المتعثرون في الإرادة أينما وجدوا وأينما وجد الأباطرةُ المتغطرسون. حملتْ اللفافاتُ والمناديلُ النثر والشعر الذين صمدا بعد رجعةِ الجسدِ إلى حيثُ الطيورِ والمطرِ وأشلاء السماء.

ولِد في سجنٍ، عاشَ في سجنٍ وماتَ في سجنٍ أيضاً. بعد ستٍ وستين يوماً من الإضراب عن الطعام، يكون بوبي ساندز أول من يموت من أصل عشرة سجناء سياسيين ماتوا بعده بساعاتٍ وذلكَ في صبيحةِ مريرةٍ في الخامس من أيار/ مايو لعام ١٩٨١ في العنبر المشؤوم «هتش» في سجن «لونغ كِش» المركزي عن سبعٍ وعشرينَ عاماً.

بهدوء وتصميم، كتب ساندز الأحداث العادية في السجن قبل أن يكتب الأهوالَ الكبرى. كتبَ كمن يحاول أن يسجلَ المرحلة والموقف معاً دون أن يغلب أحدهما على الآخر. كتب بصفاءٍ باهرٍ دونَ أي تعالٍ حِرَفي ربما لم يستطع أن يناله أصلاً. هنا ترجمة خائفة لنصوص ساندز العذبة، يرتكبها سوري مغترب قسراً في بريطانيا، سخرية قَدر؟ أم مشيئة جهنمية؟ يا إلهي مرة أخرى أخيرة، كل هذا القهر كثير، بل وكثير جداً.

تصميم: منال العويبيل
Manalines Design
لوحة الغلاف: فاطمة المحسن

طوى
للثقافة والنشر والإعلام